الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران – السانيا–

كلية العلوم الاجتماعية   قسم علم الاجتماع

مساهمة في معيرة منطق التساكن، مقاربة أنثروبولوجية

الأحياء الجامعية نموذجا

أطروحة دكتوراه موحدة في علم الاجتماع

من تقديم الطالب: **تحت إشراف:**

مختار مروفل   أ. د الجنيد حجيج

أعضاء لجنة المناقشة :

أ.د .عبد الكريم العايدي	رئيسا- جامعة وهران
أ. د . الجنيد حجيج، جامعة وهران،	مقررا- جامعة وهران
د .عبد القادر لقجع	مناقشا- جامعة وهران
د . بلخضر مزوار	مناقشا- جامعة تلمسان
د. محمد شريف	مناقشا- جامعة تلمسان
د. جيلالي حاج سماحة	مناقشا- جامعة مستغانم

الإهـــــــــــــداء

إلى الوالدين الكريمين
متعنا الله برضاهما، أهدي
هذا العمل.

كلمة شكر و تقدير

هذا العمل ما كان له أن يرى النور، لو لم يحضا بتشجيع و بتوجيه السيد المشرف الأستاذ الدكتور الجنيد حجيج، الذي أكن له كل التقدير والاحترام، فأشكره بالمناسبة على حكمته و على أخلاقه العالية و ملاحظاته النيرة، لا أنسى في ذات المقام أن أشكر كل من الدكتور مرضي مصطفى و الدكتور الزاوي مصطفي، اللذان شاركاني بآرائهما و أفكارهما و أنا في بداياتي الأولى من كتابة هذا البحث، أشكر عاليا بالمناسبة أيضا، كل من الأستاذ الدكتور يزلي عمار و الدكتور مولاي مراد، لن أنسى كذلك أن أتقد م بالشكر الكبير إلى الزميلة الأستاذة، من جامعة بوزريعة الأخت الكريمة بن جاب الله زهية، و الأستاذ الصديق جفال نور الدين من جامعة سكيكدة، أخص بالشكر أيضا الأستاذ موسوي عبد الرحمان، من جامعة ex en Provence من فرنسا، و الذي كان له الفضل الكبير، في التأسيس للمشروع البحث هذا، لا يفوتني في هذه المناسبة، أن أتذكر أستاذنا الفقيد الدكتور محمد بن علي، الذي تلقيت منه الكثير من التشجيع و الفكر، الذي استثمرته في انجاز هذا العمل رحمه الله رحمة واسعة، و جعل كل ذلك في ميزان حسناته، للمخبرين و التقنيين الدور المباشر و الأثر الواضح في هذا العمل، أشكرهم بدورهم جميعا، و أخص بالذكر كل من فدول جمال الدين، فاتن عويدات، عائشة بن قروم، جريو أمين، فتحي مغدير، العربي فضيل، سنوسي و عبد النور، و في الأخير الأخ المحترم حماني، يروق لي في مثل هذا المقام أن أتوجه بشكري الجزيل إلى مكتبة CDES، الغالية على قلوبنا، و التي كان لها الفضل الكبير في توفير الوثائق المختصة، التي تشرب منها هذا البحث الكثير، فكامل الشكر إلى مديرها المحترم السيد Janicot Bernard و إلى الطاقم العامل معه . إلى هؤلاء جميعا، أتقدم بأسمى عبارات الشكر و الثناء، " فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله " يقول النبي عليه الصلاة و السلام.

المدخل العام

مقدمة :

كثيرا ما يتردد على مسامعي، الحديث عن الطلبة المقيمين من قبل الناس، فأنا بحكم سكني بالحي المجاور" للأحياء الجامعية " و بحكم معاملاتي اليومية مع هذه الفئة بالأخص داخل مقاهي الانترنيت توفرت لدي مادة خطابية متنوعة، ألهمتني التفكير بضرورة الانتباه إلى المعنى الذي يضفيه الناس على هذه الفئة من جهة، و إلى المعنى الذي يضفونه هم على أنفسهم من جهة أخرى، فمثلا عندما تفتتح السنة الدراسية و يأتي الطلبة أفواجا و فرادى إلى الاقامات، تسمع من قبل الناس أراء مختلفة، و ترى مواقف متعددة في الموضوع، ففي المقاهي المقابلة لهذه الأحياء يتحدث الزبائن و هم ينظرون إلى حراك الطلبة يدخلون و يخرجون من و إلى الإقامة، فمنهم من يقول " لقد عادت النتنات – و هو يقصد الطالبات – مجددا إلى الحي، فستكثر حركة السيارات و يعم الفساد " .

و منهم من يرى عكس ذلك، فالفرص ستكثر في الحي من أجل عقد العلاقات، و منهم من يدخل في نقاش مع جلسائه متحدثا، " هؤلاء الأعراب – و يقصد بهم الطلبة الوافدبن من المناطق العميقة – يأتون إلى هنا لا يعرفون شيء، لكن مع مرور الوقت ينجحون ويحصلون على مناصب الشغل و على السكن هنا فيتحول هم إلى أبناء البلد و نحن الغرباء "، يقول أحد البطالين، لكن هناك من لديه انطباع آخر، فافتتاح الاقامات الجامعية أثناء الموسم الدراسي، قد يمثل لديه فرصة سانحة يتسلل من خلالها إلى المطعم الجامعي، و يستفيد على طول الفصل الدراسي، من الوجبات الغذائية الموزعة على الطلبة بالثمن الرمزي و منهم من يرى في افتتاحها مناسبة جيدة تسمح له بمزاولة النشاط الرياضي، فغياب مرافق التسلية و الملاعب الكروية، في الحي الذي يسكن فيه تجعله يعوض هذا النقص بما تتوفر عليه الإقامة الجامعية، من عتاد و قاعات متعددة الرياضات .

و منهم من يرى في مصلي الإقامة نقطة جذب ديني، " فالشباب هناك مشاء الله يجددون فيك الإيمان والوعي، وذلك خلافا لمساجدنا التي قتلها الغير المؤهلين من الأئمة الموظفين "، يقول أحد الشباب الملتحين، أما الطلبة " الداخليون " فلهم رأي آخر حول أنفسهم، يقول أحدهم و هو يحدثنا عن الفرق بينهم و بين الطلبة " الخارجيين "، " نحن طلبة الأحياء الجامعية، لسنا كغيرنا من الطلبة العاديين، فتحمل المسؤولية و التدرب على مواجهة التحديات و الصعوبات المادية و البيداغوجية هنا، يتطلب صبرا وتجلدا، نحن هنا لا نجد كل شيء جاهز، مثلما هو الشأن في بيت العائلة، فعلينا تجشم الصعاب لوحدنا ".

إذن فنحن أمام أحاديث تثار و أراء تقال و تمثلات و تصورات تركب، و ممارسات ونشاط يتحرك، كل ذلك ينتج من جراء السكن الاقامي الخاص بالطلبة الجامعيين، لقد وجدت في مثل هذا الحراك ما يدفعني إلى بناء موضوع للدراسة الأكاديمية، ألم يقول Bourdieu أن وجهة النظر تبتكر الموضوع، إن التحليلات الأولية لما تقدم، تجعلنا نقول في الوهلة الأولى، أن ثمة شيء ما

بشري من الممارسات و من الذهنيات الخصوصية، ذات الصلة بالحراك الحضري و المجالي، تنشأ من جراء وجود الاقامات الجامعية في المدن و المراكز[1].

فعندما يتفاعل الناس سلبا و إيجابا، مع هذه الفئة و مع مجالها الاقامي على أساس أنهم خارجيين على النطاق العام أو هكذا ينظر لهم في الحس المشترك، و عندما يتصرف الطلبة المقيمين من منطلق أنهم داخلين، فإننا ندرك من خلال هذا التوزيع المكاني أن تداول المجال الحضري مبني على إنشاء هويات متعددة تتقاطع فيها مجموعات إنسانية غير متجانسة، فالطلبة المقيمون يعبرون على أنفسهم بصيغة " نحن" و السكان الحضريون في توصيفهم للطلبة الاقامات يعبرون عنهم بصيغة " هؤلاء أو أولئك " إننا إذن أمام للغة تنشأ بموجب التواجد الحضري، فتنتج حقلا خطابيا خاصا بها، ينهض على الترابطات الموجودة في ما بين الدوال والمعاني التي تصنع أساسا، من ضجيج الشوارع و الساحات العمومية وحركة الناس و تقسيمات المدينة " يقول Barthes.[2]

إن الزخم الذي يعطيه طلبة الاقامات للمكان، وذلك خلال تواجدهم ضمن المدن الجامعية، وما يترتب عن ذلك من نقاشات و محادثات اجتماعية، من دون شك هو مولد للبنية خطابية، تعبر عن كيفيات و أنماط التواجد و التدامج أو الاغتراب في المجال لذلك تستحق هذه المسألة أن ترصد وتدرس، بهذا المعنى يمكننا القول مع Lassault " أن تنظيم المجال من الناحية الإنسانية يمر ابتداء عبر عملية الحكي، التيتعد مصدرا هاما من مصادر فهم لعبة تحديد المسافات و الأمكنة من قبل مختلف الفاعلين، لعبة لأنها مرهونة بدهاء و ذكاء الفاعلين بامتياز "[3].

[1] - في تعريفه للبعد الأنثروبولوجي الحضري ، يقول Althabe لقد بدأت في البحث على كل ما هو أنثروبولوجي في ما هو حضري، ذلك أن الاتجاه العلموي الموضوعاتي، المتبع من قبل كل من Chambart de Law و Lefebvre و Simmel، قد أهمل كل ما هو تبايني و اختلافي، إن أهميه البحث الأنثروبولوجي في مثل هذا المجال، تجعل الباحث يتموقع داخل الحدث و ليس خارجه، مثلما هو الحال في السوسيولوجية الحضرية، أنظر في هذا الشأن Paquot (T), 2008, Conversation sur la ville et l'urbain, P 17, France, collection archi graphie urbanisme, 986 P.

[2]- Barthes (R), 1984, Le bruissement de la langue, Paris, Edition du Seuil, P 258

[3]- Lassault (M), 2007, L'homme Spatial, la construction sociale de L' espace humain, P 234 Paris, Edition du Seuil, P 363

1- ميدان البحث:

بداية لابد من ذكر أن بوصلة بحثنا تنحرف تجاه العمل الأنثروبولوجي الحضري، الذي يركز اهتمامه على العلاقة التي تنشأ فيما بين " المجال الموضوعي، و المجال الذاتي بالاعتماد على الأبعاد الثقافية والرمزية و الآمال إنسانية " [4] ، هذا النوع من الميادين يتطلب تعقب الذهنيات والممارسات المتمخضة عن الفعل المجالي، التي لا تدرك إلا من خلال الانغماس ضمن الحركية اليومية الجارية، و كذلك الوقوف على إفرازاتها الشعورية، أي ما يصطلح عليها Bourdieu باسم " المعرفة البراكسيولوجية praxéologie " [5] .

إن هذا التوجه لا يستعير دلالاته من العقلانية الحضرية، التي تعطي الأسبقية للحجر على حساب البشر و التصوير الغرافيكي graphique و الإحصاء الرقمي و العددي، على حساب امتلاء المجال بالممارسات الإنسانية والدلالات التي تضفيها على المكان، إن الأنثروبولوجية الحضرية في هذا المعنى تمايز و تفرق بين " الحديث على المدينة " الذي كل مادته، " الأنساق الشفوية ذات الأبعاد السيكولوجية والاجتماعية، و بالتالي فهي تفهم على طريقة تحليل البنية الخطابية الخاصة بالفاعلين الاجتماعيين، وما يختزنونه من حمولة زمنية ينقلونها معهم، وهم يعيشون حاضر المدينة بكل تفاصيلها اليومية، هذا الجانب يعد مهما من حيث أنه يسلط الضوء على كيفية امتلاء المجال " [6] وبين " حديث المدينة " الذي يعتمد الرؤية المادية و القياسية في التحليل والمعالجة الكمية .

لنفصل نظريا أين يمكننا خوض هذه التجربة ؟، و بماذا و بمن، يحدد ميدانها المفضل؟، في اعتقادنا أن سؤال " الأين " و" من"وفق المقاربة التأويلية – التي ستتعرض إليها لاحقا بشيء من التفصيل – تستوجب منا إعادة استشكال مفهوم الميدان المتعدد الاشتقاقات والدلالات، فلقد بات معروفا في الأدبيات الأنثروبولوجية خصوصا المتقدمة منها،" أن العمل الميداني فعل لا يلقن ولا يتوارث، إنما يبره عليه" [7] ، ذلك أن الصفة الهلامية و المرنة لهذا الأخير، تتطلب فنا من التعامل الشخصي، " يفرغ فيه الباحث شيء من خياله و من مشاعره، وذلك من أجل إعادة ابتكار المعطيات الممكنة "[8] ، بهذا المعنى فان السعي وراء البحث عن الميدان و عن أرضياته المتعددة، تدفع بنا إلى الخروج على التقاليد الكلاسيكية المتعلقة بهذه المهنة، حيث كانت مشاريع البحث

---

4 - Bonnin (PH), " pour une ethnologie sociale de l'espace et sociétés Espace et Société, 2000 PP 113-149 .

5 - Bourdieu (P),1972, Esquisse d'une théorie de la pratique, P…, Paris, librairie droz, geneve, 269 P

6- Le Petit (B), Pumain (D), (coordonné par), 1993, P 293, Temporalités urbaines, Paris, Anthropos, 316 .

7 - أنظر القسم الأول من كتاب Céfai (D),2003, L'enquête de terrain, Paris, La découverte, 624 P. لكن هذا لا يعني عدم الاستفادة من تجارب الآخرين، و الدراسات الرائدة و الناجحة التي يمكن استلهام منها النماذج لا النتائج، مثلما سيكون تعاملنا في هذا الإطار مع الطرق و المناهج المتبعة من قبل الباحثين المحترفين في مثل هذا التخصص

8 - مرجع سبق ذكره، Affergan (F), 1999, p 23

تعنا بالأساس، بإحداث توازن موحد بين موضوع الدراسة و العمل الميداني و إنتاج النص، إننا نفضل بحسب هذا المعنى و بحسب ما تمليه، براغماتية البحث ومصلحته – في مثل تجربتنا المتواضعة – أن لا نتقيد محصورين بمكان واحد أثناء فعل إجراء التحقيق يروق لي في مثل هذا التصور أن أستعير مفهوم " الأماكن المتعددة " multi site من عند George Marcus أحد رواد تيار مدرسة ما بعد الحداثة، ففي معرض حديثه عن مستقبل الأنثروبولوجية الثقافية و كتابتها في مرحلة ما بعد Malinowski ، يقترح علينا Marcus النموذج البديل الذي يسميه باسم "المشاريع الثانية "، والتي تقوم على نقد المشاريع الكلاسيكية، المقتصرة في نظره على دراسة الحالات كجزء من التجربة الإنسانية، و تعرضت إليها التخصصات الأخرى بطريقة التجريد المتفوق، عند هذه النقطة يكمن في نظره ضعف الممارسة الاثنوغرافية الكلاسيكية، ذات الطابع التجزيئي.

إن المشاريع الثانية البديلة تقترح طرائق مختلفة في الأداء المهني، " فهي تفضل الاشتغال على الأماكن المتعددة، كمجالات تحتضن المتغيرات الخاصة بالوحدات الثقافية، التي تتواجد في أماكن محددة، حيث يتم التركيز هنا على نفس الموضوع، لكن في سياقات متعددة "، إن خصوصية الأماكن المتعددة تكمن " في إنتاج شروط معاصرة في البحث، تسمح بما يسميه Appadurai(A) بتتبع الحدث و ابتكار أرضيات جديدة له " following or tracking "، بتعبير آخر " التقاط كل شيء أينما وجد" tout partout "[(9)] .

بهذا الإيضاح السريع فان ميدان البحث المحقق فيه من قبلنا، لا يتقلص بالضرورة في جهة محددة، إنما تتعدد مناطقه و تتوحد مواضعه، لذلك تجدنا تارة نشتغل في وهران و تارة نسجل في معسكر و تارة أخرى نقابل في بلعباس أو الجزائر العاصمة، فالحدود الوحيدة– بحسب مقولات تيار ما بعد الحداثة–[(10)] هي الحدود الثقافية و ليست الجغرافية، هذا عن مفهوم المكان الذي يعد جزء أو ضلعا أوليا من تعريفنا للميدان البحث، أما الضلع الثاني فيتمثل في الفئة المستهدفة، إنهم هنا الطلبة المقيمون المتواجدون على أرض الاقامات الجامعية و المرئيون على مسرح الحياة الحضرية، الضلع الثالث في تعريفنا للميدان يتمثل في الموضوع المفكر فيه، إننا نقصد بذلك ذات الطالب المقيم كعنصر حضري، إذ لا يمكننا فصل الحياة التربوية عن الحياة الحضرية و المدينية عن بعضهما البعض، فهذه لا تتم إلا بتلك، إن الوظيفة التربوية في الحضيرة و المشاركة في حياة المدينة، أمرا أساسيا في تغذية و تنمية الحيز العمومي، فالثقافة العارفة داخل المراكز و الحواضر الكبرى مسألة ضرورية، تتدخل بشكل حاسم في بناء المجال السياسي الديمقراطي التعددي.

9- Marcus (G), au-delà de Malinowski et après Writing culture: à propos du futur de l'anthropologie culturelle et du malaise de l'ethnographie http://www. ethnograhiques.org/2002/Marcus.htlm (consulté le 7/02/2008).

10 - أنظر حول هذا المعنى : Gagné (N), " théorisation et importance du terrain en anthropologie ", Anthropologie et Sociétés, Vol.25, N 3. 2001:103-102

و كذلك في تكوين النخب و الإطارات الحاكمة والمسيرة، أما الضلع الرابع و الأخير في تعريفنا بميدان البحث، فيتمثل في " المنهج الأنثروبولوجي التفسيري " الذي نتوخى من خلاله إنتاج المعطيات الفكرية والأمبريقية على حد سواء هذا المربع المشكل من المكان و الفئة المستهدفة والموضوع المفكر فيه، بالإضافة إلى منهجية البحث هو ما يحدد مجال دراستنا في هذا المشروع [(11)].

[11] - يرى Copeans، أن للميدان أربعة وجوه: الوجه الأول يتمثل في المكان، الوجه الثاني يتجلى في نمط معين من الممارسة و السلوك (اجتماعية و علمية)، الوجه الثالث، يتمثل في الموضوع المحدد العنوان، و أخيرا تتبع تقاليد علية تمكن الباحث الدخول الدخول في مهنة التخصص. ص 12 . أنظر: Copeans (J),1999, L'enquête ethnologique du terrain,Paris,EditionNathan,P128 .

2- منهج البحث:

إن الولوج ضمن الممارسات الحالية و كيفيات التسكن داخل الاقامات، من قبل شباب الطلبة وأنماط انتشارهم و توزعهم في الحواضر بشكل غير متجانس، أمرا يتطلب صبرا و روية من أجل بناء جسور الثقة اللازمة لإجراء التحقيق والتعمق فيه، لكن السؤال الذي يواجهنا هنا، هو وفق أي ناظم يتم خوض هذه التجربة ؟، كيف تركب وحدات البحث؟، و بأي منطق؟، بداية لا بد من ذكر أن احتراف العمل الأنثروبولوجي، " يعني تشخيص و فهم الخلافات و التباينات التي تنمو في جو من التردد و من التوتر،(...) و تحديد الخطوط المقسمة لذلك، و الوجوه الممثلة له والأقاليم التي ترسم حدوده و نطاقه وتحليل التحولات الجارية بداخله " [(12)].

لقد اقتضى منا تحمل هذه الخبرة على الأرض، مدة ست سنوات تقريبا، جمعنا فيها أربعين مقابلة منظمة وملاحظات مباشرة و نقاشات و دردشات متعددة ومتنوعة، الواحدة منها مقصودة و الأخرى عارضة هذا ناهيك عن سلسلة المقابلات التي استجمعتها في البداية، التي تشبه الحمل الكاذب الذي لا يقع، إذ سرعان ما تخليت عنها، بعدما بدت لي أنها تنحرف بكثير عن " زاوية الهجوم " المتصلة بموضوع بحثنا، و إن كنت قد أفدت منها في التدرب و التمرن على مقابلة الآخر والتعاطي معه و الاستفادة منها في ما بعد، كوثائق ثانوية أوظفها كلما دعت الحاجة إلى ذلك .

3- سياسة العمل الميداني:

إن بناء المقابلات حتى تثمر و تنتج، يقتضي منا تتبع " سياسة ميدانية " مركبة تؤخذ في الحسبان عدة عناصر أساسية لا يمكن الاستغناء عنها، يمكننا في هذا السياق أن نستفيد من تجارب الباحثين السابقين في مثل هذا العمل، مع ما يتلاقى و مقتضيات البحث عندنا، أشير هنا إلى ما كتبه (O) De Sardan حول التحقيق الميداني و صرامة البحث الكيفي[(13)] في نقاط :

أولا، إن عملية تنظيم المقابلات تستوجب مراجعة المعلومات المقدمة من قبل " المخبر المفضل "، فلا يكتفا بمرشد واحد في هذا العمل، بل ضرورة تنويع الأشخاص الذين لهم علاقة بالموضوع المعالج و إعادة الربط في ما بين المعلومات، لأن الاختلاف هنا يعطي عدة دلالات مثاله : في بحثنا عن أوجه الاستعمالات المختلفة للمجال الحضري من قبل الطالب المقيم، تتبعنا عدة سير

12- Augé (M), 2006, Le métier de l'anthropologue, sens et liberté. P 9:39:40 Paris, Edition Galilée, 68 P.

13- De Sardan (O. J.P), La politique du terrain, sur la production des données en anthropologieEnquête sur les terrain de l'enquête, 1995, (en ligne), url: http//enquete.revues.org/document263.html.consulté 5/4/2012

مختلفة، اكتفينا في البداية بتقديم بعض الإشارات الوصفية و التسجيلات الأمبريقية الدالة، بعد التأكد من مفعوليتها في سياقات مختلفة، أعدنا فتح مسارات مطولة بعناوين مختلفة تبرهن كلها على التصرف و التواجد المتعدد للطلبة المقيمين داخل المدينة، حالة سميرة و صديق و نور الدين وآخرون تبدو نموذجية هنا .

ثانيا، في ما يسميه De Sardan بالمجموعات الإستراتيجية، وما اشتملت عليه من مواصفات خصوصية، كرابطتها ذات طابع الأمبريقي و البراغماتي المحض، و كعدم تشاطر أفرادها نفس المصلحة و لا نفس التمثلات، لا يتوافق مع وضعية بحثنا تماما فالطلبة المقيمون الوافدون من أماكن شتي بحسب ما تفيدنا به مضامين المقابلات، يتوزعون في ما بين التضامنات الميكانيكية التقليدية حيث تلعب الانتماءات المناطقية أو الرمزية الدينية دورا فاعلا، في توحد المصالح و بناء العلاقات الانتقائية، حالة تقسيم الأجنحة في الإقامة و حالة الطالب المتدين مثال على ذلك، لكن في ذات الوقت اختلا ف الأهداف وطرق تحقيقها تنتج في ما بين الطلبة المقيمين نوعا آخر من التضامن القائم على البعد العضوي الذي يجعل من تحقيق المصلحة الفردية أساسا في بناء المجموعة، إن حالة الطلبة المنشطرون بين مواصلة الدراسة و بين مزاولة الأنشطة المهنية قصد التربح إن بداخل الإقامة أو بخارجها دليلا على ذلك .

ثالثا، داخل المجموعات الإستراتيجية التي ينبغي أن تكون محط اهتمام الباحث و هو ينظم مقابلاته، هناك أشخاص هاشميون غير مرئيين لا ينبغي إغفالهم، فهم يشكلون مناسبة جيدة تسمح بتنويع وجهات النظر، من جانبنا فان " عينة " بحثنا لم تقتصر فقط على " الأشخاص المصدريين " الذين يشكلون نواة المجموعة الطلابية المقيمة، من ذلك مسئولي التنظيمات الطلابية أو الذين تتعدد و تتنوع أنشطتهم، و لا تقتصر فقط على البعد الواحد في الحضور والظهور، لقد عقدت في ذلك عدة مقابلات مع الطلبة الأكثر انطواء و انعزالا، و تعرفت منهم على ممارسات، لا يمكن الاستهانة بها في رسم الحراك الاقامي أو الحضري، المتناقض الذي يجمع في كنفه قوة الدمج وقوة العزل في آن واحد .

رابعا، الاستمرار في مزاولة العمل الميداني ذهابا و إيابا، و استئناس نشاط المقابلة، من شأنه أن يوصل إلى أشخاص آخرين فيعطي للباحث خيارات عدة، تمكنه من التعرف على أهمية وعلى نجاعة المخبرين و المبحوثين، فتتولد من خلال هذه الممارسة أرضيات جديدة و مواضيع مفيدة أقول إن أغلب المبحوثين الذين اشتغلت معهم، جاءوا بفضل المخبرين الأوائل الذين سجلت معهم، فمثلا داخل مقهى الانترنيت المجاور للأحياء الجامعية الثلاثة، و الذي كنت أرافق زميلي العامل فيه بالاستمرار، أكسبني علاقات قريبة جدا مع الطلبة، فكنت أتعاون معهم في أبحاثهم وأحيانا يستغلون صداقتي في وساطات لدى الأستاذة أقدمها لهم، خاصة تلك التي تتعلق بالنقطة أو بمسائل أخرى، عقد الثقة هذا كان نافعا بالنسبة اليا حيث تعاون معي الطلبة بشكل مشجع في التعرف على الأشخاص، و ذلك بحسب المواضيع التي كنت أشتغل عليها .

خامسا، الإشباع و يقصد به القيام بدورة كاملة حول جميع المعطيات المجموعة، و ملاحظة ما إذا كانت هنالك ثغرة مالم تسد، يأتي ذلك مع نهاية العمل، و مراجعة العناوين و الفصول المكتوبة حيث يبقى هذا المبدأ، الضامن المنهجي الوحيد لاستكمال ما يسميه De Sardan " بخارطة الزوايا " la triangulation المشار إليها، هذه المسألة لم نغفلها في عملنا حيث أبقينا الاتصال ولم نقطعه مع المبحوثين، إن بطريق الهاتف أو بطريق الانترنيت، نسألهم كلما بدا لنا نقص ما ونحن نكتب ونصيغ صفحات هذا العمل ،ثمة إشكالات أخرى متصلة بالبناء الأمبريقي، تعترض سبيلنا و تقتضي منا وضع جمل إيضاحية أخرى نرفع بها اللبس، فالقيمة الكمية و العددية للحجم المقابلات و مسالة التمثيل وذكر الأسماء وإنتاجية النص الأنثروبولوجي كلها مواضيع تحتاج منا تقديم أجوبة مقنعة و صارمة .

حول الحجم الكمي للمقابلات هل هو مواتي أم لا للتمثيل مجتمع البحث ؟، نقول أولا في المقاربة النوعية مثلما هو معروف، لا يشترط الاشتغال على عينة كبيرة الحجم كما هو الحاصل في مناهج سبر الآراء، " إن عينة من ثلاثين إلى أربعين مقابلة، يكون عدد أفرادها قد تم انتقاؤهم بعناية جيدة، يكفي من أجل تحقيق الغرض (...) إن الفرد هنا هو من يصبح ممثلا عن المجموعة التي ينتسب إليها، وذلك لمشاركته لهم نفس الثقافة "، إن عدد الثلاثين مقابلة من شأنه أن يقودنا إلى عالم من التمثلات و الممارسات المختلفة والحقيقية، التي تختزل عموم المجموعة ، فقط ينبغي مراعاة في مثل هذه المسالة، مبدأ التنوع الذي يعتبره كل من Simon (M) و Michelat (G) وDonégani (j) في نصهم المشترك تحت عنوان " (14) représentations du champ social, attitudes politiques et changements socio-économiques " على أنه يحل محل التمثيل، في هذا المعنى فان تتعدد اتجاهات و غايات الطلبة بحسب انتماءاتهم الهوياتية و المهنية و كذا الترفيهية، يعد الفيصل في حسم هذه المسألة، فداخل عينة بحثنا يوجد الطالب المنضبط ذو الوجهة الأحادية و الطالب العامل في مختلف المهن، و الطالب المتدين والطالب المتحرر، و الطالب النقابي، فالتمثل هنا يسبق التمثيل الكمي و ليس العكس.

عن ذكر أسماء الأشخاص و ليس الشخصنة، فنحن أولا أمام شأن إنساني نوعي، فلا يجوز من وجهة نظرنا مثلما يفعل البعض تحويل الأشخاص المحقق معهم إلى مجرد أرقام أو اشارت ينعدم أثرها أو يحو وجودها داخل النص، لقد عاب Bensa (A) على الأنتروبولوجية الكلاسيكية تنكرها للفاعلين، بقوله " إن تعمد الأنثروبولوجي، إقصاء كل من له صلة ببحثه ومحو الأشخاص المعنيين و المحقق معهم، ليخلو له الجو بعد ذلك حتى يطرح تفسيراته، فيبنيا معرفة مجردة صورية، ويعرضها على أنها حقيقية " (15)

14- Duchesne (S), 2000, Les méthodes au concret, P 11, France, P.U.F. 126 P

15- Bensa (A), 2006, La fin de l'exotisme, Essai d'anthropologie critique, P 304, France ToulouseAnacharsis. 364 P

هو مجانب لأخلاقيات العمل الأنثروبولوجي، الذي يعتبر وجود الفاعلين (المحقق معهم) في النص قطعة أساسية، تعطي للتخصص مصداقيته، لذات السبب تعمدت ذكر المبحوثين بأسمائهم، حتى لا تكون حقيقة النص غير حقيقة الواقع، هذا ناهيك عن تبني ذات التقاليد من قبل أعمال أنثروبولوجية جادة معاصرة، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر أعمال : Le poutre(D) وBeaud (S).

4- الأنثروبولوجية التفسيرية :

عن طبيعة النص الأنثروبولوجي و منطق كتابته و نسجه، و المعايير التي يخضع لها، فمن المهم وضع هذه المسالة في إطارها الابستيمولوجي، إن محاولتنا في مثل هذا السياق، تنتمي – مثلما أشرنا أعلاه – إلى المقاربة التفسيرية التأويلية، ما هي مفردات هذا الفن؟، و كيف يستفاد منه عمليا في مشروع بحثنا ؟ يلخص لنا Geertz (C) في مقاله المؤسس الموسوم باسم " la description dense "[16]، المقاربة التفسيرية، في أكثر من موضع، لنتوقف مليا عند أطروحات هذا الرجل و نفهم منه، مغزى الاتجاه التأويلي في العمل الأنثروبولوجي، فماذا يقصد بداية بمسمى" الوصف المكثف " ؟.

إن الوصف المكثف بالنسبة لـ Geertz هو عبارة عن برنامج متكامل، يبحث في الكيفية التي ينتج من خلالها الناس بناءات المعنى و الدلالات التي يرتبونها هم أنفسهم عليها، إن الاثنوغرافي – بحسب Geertz -، لا يواجه أفعالا اجتماعية موضوعية بقدر ما يواجه بنا متعددة و معقدة فمن خلال مثلا رجل السوق فقط – كما هو الحال في ميدان بحثه بالمغرب- يمكن للباحث أن يفهم و يستوعب المجتمع ككل، فالفعل الاجتماعي الواحد أو الرمز و الدلالة الواحدة، كاف حتى ينفذ الباحث إلى قلب المجتمع، إن هذه المؤشرات بالنسبة إليه، هي بمثابة القطرة الملتقطة من المحيط،، أي بمعنى مأخوذة من نفس الجذع، فلا يمكن بحال عزلها عن باقي السياق الثقافي الذي أخذت منه، فالأنسب هنا بالنسبة إلى الباحث أن يستند في الفهم، لا على العلوم التجريبية الباحثة عن قوانين، إنما على علوم التفسير الباحثة على المعنى، هذا التأول دفع بـ Geertz لينظر لكل شيء على أنه نص، و أن المجتمعات مختزلة في معاني و أن المعنى هنا مطروح للتفكيكle codage و أن النظرة الموضوعاتية الصرفة للواقع هي محل شك و ارتياب، وأن النظرية هي حاجز أمام فهم الأخر و دلالاته أثناء دراسة المجتمعات .

إن المدخل الناجع و السليم في فهم المجتمع من وجهة نظر Geertz، يرتكز بالأساس على تفاعلية ذات الباحث (المؤلف) مع ذات المبحوث(المحقق معه) في آن واحد، فالنص الأنثروبولوجي هنا هو ذو طبيعة " سياسية وشعرية poétique et politique"، أي بمعنى يجمع بين وجهة نظر المحلي و بين التفسير المعرفي .

16- Geertz (C), " la description dense, vers une théories interprétative de la culture ", Enquête / 6 - 1998 / PP. 73-105.

إن اعتبار المجتمع – من وجهة نظر- Geertz – على أنه كل من المعاني، و ليس من الأشياء ومنحه الأولوية المهيمنة للدلالات و الإشارات و الرموز، على حساب ما هو موضوعي وملموس، " جعل من الأشياء تنزلق نحو المعاني، والأدوات تتدحرج نحو المواضيع، هذا التصور لم يترك من باب للاقتراب من المجتمع و فهمه، سوا طريق التأويل، فتأويل هو المفتاح الذي تروج له نبوءات ما بعد الحداثة " (17).

خاصية كتابتنا أنها تستلهم من هذا التصور طريقة بناء النص، حيث الدلالة و المعاني التي يضفيها المبحوثين على حراكهم و مراسهم، مع تعقب مبناها و مغزاها من قبلنا، ثم إعادة بسطها و نشرها على الورق، بشكل يبدو فيه هذا الأخير، كساحة مليئة يضج فيها صوت الباحث المختلط بأصوات الآخرين، " و ذلك في وقت و آن متزامن و متعا صر " (18)، لكن ألا يوقعنا هذا في ما يسميه Garfinkel (G) " بالبلادة الثقافية " (19)، حيث يصبح " الباحث المحلي " معها سجين تمثلات يتقاسمها مع مجتمعه، تؤدي به في الغالب إلى السقوط داخل وهم المعرفة الظرفية وشفافية المجتمع ؟، في الحقيقة هذه الوضعية تبدو كصعوبة كضرورة، تواجه "الأنثروبولوجي في عقر داره "، خصوصا إذا ما علمنا أن التقاليد الأنثروبولوجية، منذ Strauss(S) لا تقر بممارسة هذه المهنة، إلا لمن تمكن من الابتعاد في الزمان و في المكان بمعنى آخر نحن أمام إشكالية، تضعنا مباشرة في وجه السؤال التالي، كيف يمكننا التوفيق بين الاتصال الغامر و الانفصال اللازم؟، نعتقد أن القراءة النظرية في النصوص الكونية، البعيدة عن المحل و تراكماته الضاغطة، و ما تحمله من ذكاء خارجي " نوطنه " نحن في مواضعنا ذات الطابع المحلي، بشكل نقدي و ليس تقليدي، وحده الكفيل بحل هذه الازدواجية، و يكسبنا " النظر البعيد " الذي يتحدث عنه Strauss، و الذي يعد شرطا أساسيا من أجل الدخول في المهنة.

---

17 - مروفل مختار " أنثروبولوجية المغرب : بيرك / بورديو / جالنر و جارتز نموذجا "، التدوين، ديسمبر 2010، العدد 2 ، ص ص 41-46

18-إن المعلومات التي يحصل عليها الباحث - تقول الكاتبة – هي ثمرة التواصل الجاري بينه وبين المبحوثين، و عليه فان طول المدة التي يستغرقها عمل التحقيق، و سر حصول الغرض منها، يرجع بالأساس إلى حقيقة واحدة، تتمثل في كون لذلك تعيب الكاتبة على une co-temporalité في البحث، عاشا في نفس الوقت، لقد كان بينهم تعاصر الأنثروبولوجي الكلاسيكي و هو يتجه إلى كتابة وصياغة ما استجمعه من معطيات بشكل متزامن مع مبحوثيه، عدم الرجوع إليهم و التحقق من عدم الوقوع في زمنيتين منفصلتين و مختلفتين، زمنية النص المكتوب و زمنية الواقع الميداني أنظر

Johannes Fabien, 2006, Le Temps et les autres, P 90, France, Toulouse, Anacharis, 313 P

19- De Fornel (M), Orgien (A), Quéré (L), L'Ethnométhodologie une sociologie radicale, P 67, Paris, collection " recherches ", 444 P.

5- إشكالية البحث:

بعيدا عن الأطروحات التربوية التي اهتمت بشأن التعليم العالي، و كيفية تنظيمه و تطويره والدراسات المتعددة، الخاصة بمبدأ تكافؤ الفرص و اللامساوات الاجتماعية و وظيفة إنتاج الشهادات وتحويل الامتيازات الاجتماعية، من على جسر المؤسسة التعليمية، التي حققت فيها الدراسات الغربية سبقا وإبداعا منقطع النظير، و ذلك بدأ من أعمال : Bourdieu و Passeron سنة 1964 وBoudon سنة 1973، Berthelot سنة 1983، 1993، ووصولا بكتابات 2001, Felouzi 2003 و Duru-Bellat 2003 وآخرون من المعاصرين [20] بعيدا أيضا عن الدراسات المادحة أو القادحة التي أولت عنايتها لتقييم مدى جدوى وجود المؤسسة الجامعية على المستوى المحلي مادامت مقطوعة الاتصال بالحياة الاجتماعية و الاقتصادية ككل [21] بعيدا عن هذه الأطروحات الكثيرة التداول و الرواج، فهي على أهميتها، لم تلتفت إلى الشروط المحالية و المؤثرات الحضرية، التي تتدخل مباشرة في إجراء العملية التعليمية [22].

حول هذه المسألة يأتي اهتمامنا وبناء موضوعنا، الخاص بالا قامات الجامعية و مكانتها السوسيو حضرية، فماذا نعرف عن هذه الأفضية، المتواجدة بين ظهراني نسوجنا الحضرية؟ ماهي الإضافة الأنثروبولوجية التي تلون بها نشاط و ديناميكية الحياة المدينية ؟، لندع هذا النوع من الأسئلة التمهيدية جانبا، فهي ذات بعد تجريدي لا يمت بصلة، مع أسئلة الكيف الفينومونولوجية التي يرى فيها Wettgenstein القدرة على مواجهة الظواهر الاجتماعية والأكفأ من حيث تحقيق مشاريع البحث الإنساني، و عليه فان رؤيتنا للاقامات الجامعية على أنها أحياء تتوفر على مختلف المرافق المادية والتنظيمية الضرورية، و على أنها أماكن مفتوحة على مجمل الأنشطة الحياتية، يجتمع في كنفها فئات متجانسة عمريا و متحدة مهنيا.

---

[20] - أنظر حول هذا الموضوع مجلة Enquête المختصة، حيث كرس العدد الصادر في 14 ديسمبر 2005 سلسلة من المقالات صدرت تحت عنوان " من الجامعة حتى الحياة العملية " تتبع فيها الباحثون مختلف المراحل التي عرفتها الجامعة، وذلك بدأ " من علاقتها بالثقافة ثم علاقتها بالجمهور الطلبة، ووصولا إلى علاقتها بالحياة الاقتصادية، التي أصبحت في مركز النقاش المتصل برهانات الديمقراطية من جهة، و رهان مهنية التعليم العالي من جهة أخرى "، Enquête, de L'Université à la vie active, 1986, (En Ligne), mis en ligne le 14 décembre 2005 .URL: http:// enquéte.revues.org/document51 .html. Consulté le 8 juin 2011.

[21]- Mairi (L), 1994, Faut-il fermer l'université ?, Alger, ENAL. 222 P

[22] - لم نجد حول هذا الموضوع سوا دراسة واحدة اهتمت بعلاقة الأحياء الجامعية بالوسط الحضري ، أنظر في هذا الشأن، Ville et université ", Espaces et sociétés, N 80-81, 1-2, 1995 .

لكنها متباينة تنظيميا وفكريا، تبني روابطها و تضامناتها تارة وفق المعايير التقليدية، و تارة أخرى وفق القيم الفر دانية و ذلك من أجل المحافظة على التوازن و الخوف من ضياع المعالم ، أو بحثا عن كيفيات تسمح بالاندماج المهني و الاجتماعي كل المعيش اليومي هذا، الذي تتميز به الحياة داخل الاقامات الجامعية، يجعلنا نرتب أسئلة البحث الرئيسية التالية و نطرحها على النحو الآتي : كيف ينظم الطلبة الداخلين مجال إقامتهم الجامعية؟، كيف يطورون القبليات الاجتماعية ذات الطابع الحضري و ذلك انطلاقا من خبرتهم الإقامية؟، كيف تبنى الذهنيات السكنية من داخل الإقامة ؟ .

6- فرضيات البحث:

الاقامات الجامعية ليست مجرد مراقد، يستعملها الطلبة الوافدون على المدن الجامعية قصد النوم وتجديد النشاط، ليعودوا في الغد إلى مقاعد الدراسة، بل هي محل مفضل لتجريب و اختبار أنساق و قيم عملية متعددة، تواكب الطالب الشاب طيلة مرحلته الدراسية، البعيدة نسبيا عن العائلة و الزاماتها العرفية، في الإقامة يؤسس التسكن بحسب التقسيم ألمناطقي الأصلي للطلبة والانتماءات العقدية و الممارسات الحرة وكذلك التخصصية الدراسية أو حتى التوجهات الفردية التي لا تخضع بالضرورة إلى الانتماءات الجماعية، هذا البعد الانتقائي الذي يعيد تشكيل المجال السكني، مرتبط أيضا بأساليب الحراك و التموضع الذي يظهر به طلبة الاقامات في سياق المدن و الحواضر، إن الاقامات الجامعية هي سكنات شبابية بامتياز، فالتجريب و الاختبار هو سيد الموقف، فلا المعايير التقليدية و لا الأحكام الدينية و لا الرغبات المنفتحة، هي من تضبط ممارسات الطالب المقيم بشكل مسبق ذلك أن تأثيرات المكان ذات الخصوصية الجيلية، التي تنعدم معها التراتبيات العمرية أو تكاد، تجعل من المرجعيات و القواعد محل امتحان وتفاوض وإعادة ابتكار.

من هذا السياق تستقي الاقامات الجامعية سمعتها و مكانتها الاجتماعية، داخل السياق الحضري الذي تتواجد فيه، إن احتضان المجال الاقامي لأعداد كثيفة من الطلبة، يجعل من المكان مخزنا مهما من التجارب الثرية، التي تعكس مختلف الوجوه المشكلة لنوعية الطالب الاقامي، فالطالب الجاد الذي لا يهمه سوا النجاح و التفوق، و الطالب المحبط الفاقد الصلة بالدراسة إلا بالحد الهزيل الذي يضمن له " غلق السنة "، والطالب قليل الظهور في الفصول ومدمج بشكل غالب في مهن تجارية أو حرفية والطالب المهووس بالتسلية و الترفيه، المنجذب نحو المتع والرغبات والطالب المؤدلج، و الطالب المسيس والطالب النقابي، كلها وجوه تتقاطع و تتلاقى على أرض الإقامة الجامعية، تتفاعل في ما بينها، تتضامن يعانق بعضها أفكار بعض، وتتصادم أحيانا أخرى، إننا أمام مجموعات غير متجانسة في الفكر و الفعل منفتحة على قبليات اجتماعية متعددة تسمح للطالب المقيم تدريجيا بأن يتنقل بشكل مرن من وضع إلي وضع آخر، في تجريب امتلاك الفضاء واستئناس العلاقات فيه وتمثلها، عند حدود هذه التوصيفات يرتسم المجال السكني الاقامي الذي يلقي بظلاله على الحياة المدنية والحضرية في مشهدها اليومي .

7- خطة البحث:

نعتقد أنه بعد التردد الدءوب بين النصوص و الكتابات، و انتقاء الأنفع و الأنجع من الوثائق الأكثر تخصصية، و قراءتها بتبصر و استخلاص لأساساتها، و بين عقد اللقاءات الحية وملاحظة مجتمع البحث مباشرة، و محاولات فهمه و الغوص في أعماقه، ثم الاشتغال على تركيب ذلك ضمن للغة مباشرة وروائية [23]، بات من الضروري علينا، إفراغ هذا الجهد في نماذج متسلسلة وخطة محددة، لقد ارتأينا أن يخرج هذا العمل في ثلاثة أقسام، القسم الأول منه مخصص للمدخل التمهيدي، الذي نشرح فيه بشكل مفصل أدوات التحليل المفاهيمة، الموظفة من قبلنا في إنتاج المعطيات النظرية و الميدانية على حد سواء، العنوان الثاني من هذا القسم يتصل بتعريف المفاهيم المفتاحية التي ارتكزت عليها أرضية البحث ،أما العنوان الثالث فلقد جاء ليضيء لنا الملمح التطوري – في شكل ومضات سريعة –، المتعلق بتهيئة المجال الجامعي بالجزائر، عند هذا الفصل نكون قد خطينا أول خطورة حقيقة في تصور ساحة الموضوع .

القسم الثاني من أطروحة البحث، وقف على كيفيات و أنماط الظهور في المدينة، من قبل الطلبة المقيمين، و التي سطرناها في أربعة عناوين رئيسية، العنوان الأول أسميناه باسم الطالب موضوع الحضرية، العنوان الثاني كان اسمه التمرن على الحياة الحضرية العنوان الثالث عبرنا عنه باسم المدينة : الإغراء و الجاذبية، أما العنوان الرابع و الأخير، فاصطلحنا عليه اسم الاستعمال الناضج للمدينة الفصول الأربعة المذكورة تحمل نفسا أمبريقيا يوطن المسألة في حيزها المكاني و الزماني .

أما القسم الثالث و الأخير من البحث، فلقد اشتمل هو الآخر على أربعة عناوين أساسية   نذكرها بشكل متسلسل على النحو الآتي : الأجنحة و التوزيع الأنثروبولوجي، الحجرة مكان للتنشئة الاجتماعية المنظمات و المواطنة الطلابية، ثم أخيرا و ليس آخر المصلي و علاقته بتنظيم الحي ، هذا القسم بفصوله الأربعة يلج بنا إلى قلب الإقامة الجامعية و يعرض علينا فصول التنشئة ومنطق تسيير المجال .

---

[23] - البعد القصصي والروائي في التصور الأنثروبولوجي للميدان مسألة أساسية، ذلك أن الحياة المجتمعية في حقيقتها اليومية هي حياة قصصية و روائية ، حيث تبنى أجزاء صورتها المتفرقة من أخبار وروايات مؤسسة، إن فهم الحياة اليومية بهذا المعني، يقتضي الوقوف على قصصها وحكاياتها، وكيفيات ظهورها على مسرح الحياة، ليعاد تركيبها وصياغتها بعد ذلك وفق رؤية عارفة. لتوسع في هذه المسألة أنظر
Farrugia (F)," Le syndrome narratif : Théorie et Terrain ", Cahiers internationaux de Sociologie, 2009, Vol.CXXVII, PP 269-289.

القسم الأول

المدينة و الجامعة: تثبيت المصطلحات

- ❖ مقدمة القسم الأول
- ❖ الفصل الأول: مفاهيم متصلة بموضوع الدراسة
- ❖ الفصل الثاني: المدينة و الجامعة
- ❖ خلاصة القسم الأول

مقدمة القسم :

مما لا شك فيه أن خصوصية البحث الأنثروبولوجي، التي ترتكز على التنقيب في ما هو جزئي وتفصيلي، تعتمد في الأساس على تدارس الحالات الوضعيات، فهي بمثابة المادة الخام الضرورية لبناء المواضيع وطرح النماذج، إن " الاحتراف " في التخصص يوجب النظر إلى الظواهر المجتمعية على أنها "كيانات هلامية، و ليست كيانات صلبة " [1]، تقتضي الفهم والتأويل و ليس العد والتصنيف الجامدين، لا يتعلق الأمر بطبيعة الحال، بإقصاء جانب على حساب جانب آخر، بقدر ما يتعلق بترتيب العلاقة في ما بين الوسائل و الغايات، فالجوانب الحسابية هي أدوات تحضيرية ومقدمات تأطيرية و ليست غاية في حد ذاتها، هذا ما علمناه على الأقل، في تداولنا للمعرفة الأنثروبولوجية، وفق هذا المنطق الكيفي نتعامل مع الموضوع المقترح في بحثنا، فإشكالية الطالب المقيم في الأحياء الجامعية، المنتشرة في وسط المراكز والحواضر الكبرى، يستوجب حصر الآليات المفاهيمية الأساسية، التي تشكل أرضية التحليل الأنثربولوجي الخاص بمنطق و بممارسة الطالب المقيم داخل المدن، لذلك فان مفهوم التجربة ومفهوم امتلاك المجال و التضامن و الطلبة، تعد عناصر مرجعية، نعتمد عليها بعد مناقشتها في نسج الوحدات الخاصة بتشكيل النص

هذا التصور المنهجي و الفكري يبدو لنا مهما .

لنشخص بداية أرضية الموضوع، و لنتحدث على مسرحه و عن أحداثه المتراكمة في الزمان و المكان ذلك أن ثلاثية الطالب، الإقامة و المدينة، هي أجزاء رئيسية من تاريخية تشكل الفضاء الاجتماعي، الذي نساهم فيه من جانبنا، بإعادة طرحه و مطارحته ، ربما لأول مرة من المنظور الكيفي الأنثروبولوجي الذي يمجد الجوانب الذاتية الخصوصية، في إنتاجية المجال الحضري فثمة روابط عميقة تشكلت عبر فترات زمنية مختلفة، ساهمت في بناء الوجهة المجالية التي تتواجد عليها الصورة الحضرية اليوم، إن علاقة المدينة بالجامعة و بالا قامات الطلابية التابعة لها، هي من الوجوه النادرة التداول في النص الأكاديمي، فحضرية الطالب الجامعي عموما والمقيم في الأحياء الجامعية خصوصا، تفعل بشكل ملموس فسيفسائية الحياة الحضرية الموصوفة في أدبيات علم الاجتماع الحضري بالكثافة و بالتعدد la densité et la diversité هذا ما يشغل بالنا في هذا البحث، ونود نفض الغبار عليه، فنقف على مكوناته و نكشف أسراره لكن ليس قبل ضبط " المجهر " الذي نلاحظ به ونبصر .

[1] Fabien J.-L, Pour en finir avec la réalité unilinéaire : le parcours méthodologique de Andrew Abbott, Annales HSS. Mai-Juin 2003, N 3, PP 549-565.

تمهيد:

من الناحية العملية، فان تجربة البحث التي خضنا فيها، ارتكزت بالأساس على المزاوجة التفاعلية في ما بين النص المكتوب و النص الحي المعيش، " فالكل نص " بحسب تعبير Geertz أعيد تركيبه وبنائه على ساحة الورق، بهذا المعنى فان المفاهيم و المصطلحات المقتبسة من النصوص المختصة، هي في حقيقتها إعادة لبناء واقع مدروس بصيغ مدمجة عارفة، هذا التصور يدفع بنا للتساؤل، نحو فن تركيب النص، فكيف يمكن الجمع في آن واحد بين الصفة الأدبية للوثائق المكتوبة، و بين استعمال الكلمات المنتجة من قبل المبحوثين ؟، بتعبير آخر، كيف تبنى الصلة بين " اللغة العالمة " و" اللغة الطبيعية "، بين التحليل و بين السرد و ما ضرورة ذلك ؟، في الحقيقة ينظر للمسالة بالأساس، من جهة وزاوية وظيفة البحث ذاتها، التي لا تخرج في مجملها عن ثلاثة مقاصد، يرجى تحقيقها من ممارسة فعل الكتابة و هي زيادة المعرفة و تقدمها، جلب الاعتراف وفرض الباحث للذاته ضمن وسطه المهني، ثم الوصول إلى أكبر عدد ممكن من القراء و المتتبعين .

بناء على هذه المعايير، فان الباحث ملزم بإتباع نظام المراجع، أي ما يصطلح عليهRené Lourau في علوم الإنسان باسم " النص المؤسساتي "، حيث درجت الجامعات منذ وقت طويل في التمييز بين ما هو علم و ما ليس بعلم ،على الاعتراف فقط بالصفة الأكاديمية لفعل التناص l'intertextualité، الذي يقصد به في الواقع، اللعب بما قد قيل أو سبق و أن كتب من قبل، بفضل هذه اللعبة أو بواسطتها، يستطيع الباحث أن يكون له الحق في الكلمة و في الكتابة، فيؤخذ فرصته و يقرأ هو الآخر بدوره من جديد " [1] .

تحت هذه الاضائة السريعة التي نستند عليها في تركيب نص بحثنا، نقدم المصطلحات المرجعية التي نسجت على أرضها خطوط هذه الدراسة، نشير هنا أن تعاملنا مع تلك المفاتيح لم يكن بطريقة التلميذ الذي يلقن فيحفظ فيقول و يكتب، إنما بطريقة " المجتهد " الذي يحلل و يناقش ويقتبس أو يضيف أو يرد فالفصل و الحسم يعود بالأساس إلى السياق الحي، و الأولوية في الترتيب أو التركيب، هنا للبعد الأمبريقي، الذي يتدخل في تحديد الدلالة و المعنى النصي، هذا بإيجاز عن منطق صياغة البحث لدينا لنستعرض الآن وحداتها المتتالية على النحو الآتي .

1- Perrot (M), De la Soudière (M- De), " L'écriture des sciences de l'homme : enjeux " Communications, 58, 1994, PP. 5-21. www.peresse.fr/web/revues/home/prescript/comm_0588- 8018_1994_num_58_1_1875 (consulté le 17 décembre 2011).

1-امتلاك المجال:

فلسفيا فان مفهوم الفضاء، ينشأ من التصور الوجودي الذي يمنحه للإنسان، بمعنى أنه يستحيل تصور وجود الإنسان بمعزل عن و جود الفضاء المحتوى فيه، فهذا الأخير شرط في وجود الذات البشرية يفصل لنا Heidegger هذه المسألة ابتداء من تفكيكه للمفهوم الزمنية، لب تعريف الإنسان و محتواه فيقول أن المجالية la spatialité و إن كانت تنشأ ضمن البعد الزمني إلا انه لا يمكن تقليصها أو اختزالها فقط داخل هذا البعد، فهو يشملها بالقدر الذي يضمن تكونها وإنشائها، إن توبولوجية الإنسان بحسب Heidegger تعرف ابتداء، من الذاتية المجالية المستمرة في الزمان و ليس بمنئي عنه، و في إخراجه للمسألة عن إطارها التجريدي و الميتافيزيقي البحث، يقول أنه لا معنى للتأمل العالم، إلا إذا أدرك ضمن يوميات الإنسان، و في وسط اهتماماته و في الوقوف أيضا على الوضعية البدئية، في علاقته مع العالم، حيث التعاطي مع الأدوات و الأشياء، يتم من خلال إعادة تأهيل و تكييف هذه الأخيرة، بحسب الحاجيات الإنسانية الممكنة، إن ما يشخص عملية اقتراب الإنسان من الفضاء، عند Heidegger هو قدرته على الاقتراب مما هو بعيد، هذا الفعل هو نتاج ممارسة علمية و تقنية بحتة، منحتنا في الأخير المكان Dasein [(2)].

في علم الاجتماع فان مصطلح امتلاك المجال يقصد به، " بناء العلاقة مع الفضاء بالاندماج في واقعه المعيش، و القدرة على التجدر فيه، وطبعه بالبصمة الإنسانية، كما يعني أيضا تهيئته و القدرة على التصرف فيه و تحويله " [(3)]، لكن بحسب Chambart de Lauwe، فان الغالب عند المجتمع اليوم هو الشعور بالغربة في المكان، و تلاشي الإحساس بالانتماء إليه، لذلك تتحدث عن مفهوم عدم الامتلاك، بدلا من الحديث عن مفهوم امتلاك المجال، في المقاربة الماركسية ينظر للمجال ضمن نمط الإنتاج و إعادة الإنتاج، فبالنسبة لـ Lefebvre فان امتلاك المجال، " يدرس ضمن مفهوم المجال الاجتماعي، المبني على علاقة إنتاج و إعادة الإنتاج الاجتماعي، سواء تعلق الأمر بالجوانب البيوفيزيولوجية، التي تنظم علاقة الجنسين أو علاقات إنتاج و إعادته، المتعلقة بتقسيمات العمل وتنظيمه، فهو إذن - أي المجال - ذو وظائف اجتماعية متراتبة " [(4)]، يتحول من صفته الطبيعية المتوحشة إلى الصفة الإنسانية، وفق مدخلات إعادة التركيب المنتجة اجتماعيا، بحسب الحاجة والضرورة الممكنة .

في المقاربة العلم سياسية تطرح المسألة بشكل مختلف، فالسلطة و الجيوسياسية و الصرع، ثلاثية لا تنفك عن تحديد مفهوم الإقليمية، إن البناء السياسي في مثل هذا السياق، يعني المزاوجة بين البناء الإقليمي - محل ارتكاز السلطة - و البناء الهوياتي - محل ارتكاز المجموعات الاجتماعية - كشرط مسبق في تأسيس الدولة الأمة، و عليه فان المسألة الجيوسياسية هي نتاج للتكوين

2- Dastur (F), " Heidegger, Espace, Lieu, Habitation ", Les Temps Modernes, Juillet-Octobre, 2008, PP 140-157

3- Chambart de Law, P.-H, 1976, Transformation de l'environnement des aspirations et des valeurs. P 217, Paris, CNRS. 222 P.

4- Lefebvre (H), 1981, La production de l' Espace, P 41, Paris, Edition Anthropos 485 P

الإقليمي، مسألة الهوية في مثل هذا الإطار تصبح عبارة عن تعبير إقليمي بالأخص في حالة الصراع مع كيانات هوياتية مغايرة، " إن امتلاك المجال في التصور السياسي يعني امتلاك الصراع، و ضبط التوازن في مابين الإقليم و الهوية " [5].

في المقاربة البسيكو سوسيولوجية نجد الاهتمام بالموضوع، يولي الأهمية للخارطة الذهنية التي يرسمها الفاعل المجالي، فمن خلال استعمال هذه التقنية التي تسبر أغوار التمثلات، يمكن للباحث إدراك النقاط التي يتردد عليها المعنيين، لقد باشر هذه التجربة العديد من الباحثين، نذكر من بينهم على سبيل المثال دراسة Felonneau (M), حول الطلبة و أقاليمهم، حيث سلطت الباحثة الضوء على المحددات البسيكو سوسيولوجية، الخاصة بامتلاك المجال من قبل هذه الفئة، فتوصلت إلى وجود علاقة مباشرة، بين أنماط امتلاك المجال و بين أنماط الاندماج فيه، إن الإقليمية – بحسب الكاتبة – هي عبارة عن مجموعة من الممارسات المجالية الخصوصية، التي تشكل مكون أساسي من مكونات القابلية الاجتماعية الحضرية لدى الطلبة، و هذا بحسب متغير الجنس و السن والشعبة والمشوار الدراسي، و كذلك الأصل الاجتماعي و الثقافي و الجغرافي الخاص بالطلبة المحقق معهم[6]

في المقاربة الأنثروبولوجية، فان تحليل علاقة التدامج الحاصل بين الإنساني و المكاني، تتطلب التفريق بين مسألتين أساسيتين: الأولى امتلاك المجال، وفق النظرة الموضوعاتية الكارتيزية cartésienne التي تعتبر المجال على أنه امتداد جيومتري محكوم بنسق من الإجراءات التحكمية المطلع عليها من الخارج المسألة الثانية، تنظر إلى امتلاك المجال من منطلق الاضفاءات الذاتية، حيث المحدثات و التواصلات الخطابية، المتعلقة بمختلف الاستعمالات اليومية للمكان، تجعله مشحونا بالجوانب العاطفية و التذكرية يمكن الرجوع في هذه المسألة، إلى أعمال Halbwachs و أطروحته التي ترى في المجال و في الذاكرة الجماعية، معنا واحدا، " فالناس بحسبه و هم يرسمون شكل تواجدهم على التراب، يرسمون معه ذكرياتهم " [7]، هذين التصورين الموضوعي و الذاتي في امتلاك المجال، مسؤولان عن تحديد مسيرة الفرد الإقليمية.

على كل إن مسألة التشبث بالمكان من عدمه، ووتائر الاندماج فيه المختلفة و المتعددة، ذات الصلة بميدان بحثنا المتميز بالتردد الدائم بين المكان الجغرافي الأصلي و المكان الاقامي الجامعي، يدفع بنا إلى وضع صورة العلاقة مع المكان و امتلاكه في السياق الأنثروبولوجي، حيث مسألة " الهنا " و"الهناك " بحسب تعبير Geertz تعد موضع إشكال[8] ، ذلك أن الهنا كمحل للتأليف و التغليف الأول لذاتية الطالب المتنقل يخضع لعملية امتحان و ارتهان، و ذلك عندما يتجه إلى الهناك، حيث لا يخضع

5- Thual (F), " Territoires et Identités ", Identités et Histoires, (Janv.- Juin), 1998, N 16 PP 23- 27

6- Felonneau (M), " Les Etudiants et leurs Territoires " Revues Françaises de Sociologie XXXV. 1994, 533-559

7 - Halbwachs (M), " la mémoire collective et le temps ", Cahiers internationaux de Sociologie, Vol 101, 1996 PP 45-65

8 Geertz (C), 1996, Ici et Là- Bas, L'anthropologue comme auteur, Paris, Editions Métailié , 152 P -

المجال الموضوعي في إعادة استئناسه و امتلاكه، إلا للمبادرات الفردية أو الجماعية التي لا تمتثل بالضرورة إلى أي محددات مسبقة، تتدخل في رسم حدود الطالب المقيم في الأحياء الجامعية، لفهم تفاصيل هذا الإشكال و تجلياته على الأرض، يكفي أن نصغي فيه إلى الطلبة المعنيين،- موضوع بحثنا - و إلى ممارساتهم المعبرة عن استثمارات المجال و كيفية التواجد فيه .

2-التجربة الطلابية:

حول مفهوم التجربة الطلابية، فهو مقتبس من اتجاه سوسيولوجي، ينظر للطالب على أنه ممثل وليس عون، بمعنى أنه يتعارض مع المحددات المؤسسية المسبقة، المستوحاة من تقاليد التيار البنيوي، مثلما يبتعد عن الاتجاهات الوظيفية الكلاسيكية، إن مفهوم التجربة الطلابية الجديد في علم الاجتماع، يمنح الأولوية، في فهم الواقع الاجتماعي، على أنه صناعة تاريخية، تبنى بحسب الاختلاف - في حالة الطلبة - في المستوى الدراسي، و بحسب السياق المؤسساتي، و التجارب المتباينة و المتعددة داخل الوسط الطلابي، إننا أمام واقع تاريخي يركب بحسب الوضعيات والظروف، و ليس بحسب الشروط المملاة مسبقا .

لقد اخترنا في دراستنا، هذا الاتجاه المتصل بتيار علم الاجتماع التجربة، ذلك لإمكانية تكيف ذات المفهوم مع وسط الطلبة المقيمين، على وجه الخصوص، حيث توفر هذه الشريحة الميدان الخصب الذي تنتعش فيه مختلف التجارب، فتعدد الخبرات المجالية و أساليب الانخراط في المكان وأنماط الاندماج الحضري، في ممارسات الطالب المقيم، كلها ظواهر تقرأ في إطار المبادرات الشخصية و الجماعية التي تخص الممثل وحده، إننا بفضل مفهوم التجربة، كما أعاد بنائه Dubet (F) في دراسته الخاصة بالوسط الطلابي [(9)]، نحاول جزئيا استلهامه، في بناء خطوطنا النظرية، التي نستعين بها في تحليل الحقيقة الاجتماعية المعقدة، ذات الصلة بالاستعمالات المختلفة للمجال الاقامي و الحضري، على حد سواء من قبل الطلبة، إن النموذج الآتي الذي سنذكره في شكل نقاط، سيساهم في بناء مفهوم التجربة الطلابية ويبرر اعتمادنا على علم الاجتماع التجربة التعليمية :

---

9 - حول النماذج و الأنماط الخاصة بالكيف الذي يتمثل به الطالب، يضع Dubet (F) ثلاثة أبعاد يراها محددة لتجربة الطالب و هي على التوالي العلاقة بالمشروع، العلاقة بالاندماج العلاقة بالوجهة، تحت هذه العناوين يرسم لنا الكاتب سبعة وجوه مختلفة، هذه الوجوه هي من تعبر اليوم عن مختلف الأشكال الخاصة بالطلبة الجدد بحسب بحثه، و لا بأس أن نذكرها هنا باقتضاب شديد: 1-الطالب الحقيقي: يعرف على أنه صاحب مشروع وصاحب وجهة معرفية كما يتميز باندماج قوي بالوسط الجامعي. 2-: طالب يجمع بين التوجه المعرفي و بين امتلاك مشروع لكن علاقته بالحياة الجامعية ضعيفة. 3- طالب يجمع بين الاندماج و بين وضوح المشروع لكن وجهته المعرفية ضعيفة. 4- طالب له مشروع لكن ينقصه الاندماج والوجهة. 5- طالب يتميز بقوة الوجهة والاندماج لكن مشروعه لا يبدو مؤكدا. 6- طالب بلا مشروع مهني، بعيد عن الحياة الجماعية لكن لديه وجهة معرفية تبدو كمغامرة شخصية.7- طالب بلا مشروع و لا وجهة لكنه جد مندمج بالحياة الجامعية. أنظر :

Dubet (F), " Dimensions et figures de l'expérience étudiante dans l'université de masse ", Revue Française de Sociologie, Vol 25, 1994, PP 551-532.

1 – إن مفهوم التجربة الطلابية يقطع الصلة، مع المفاهيم الكلاسيكية ذات التحديد المسبق للفعل الطالب كمفهوم السمت L'Habitus و الرأسمال الثقافي مثلا، اللذان يعتبران دليلان سلوكيان يحبسان الطالب ويمنعانه، من حق المبادرة و الدخول في تجارب مغايرة، تكون وليدة التفاعل والتقاطع داخل المجموعة فيتمكن من بناء استراتيجيات ذاتية غير موروثة .

2 – إن مفهوم التجربة الطلابية، يمكن من بناء علاقة في مابين الأبعاد الذاتية و الأبعاد الموضوعية فيجعلنا على وعي بتعقد التجربة الإنسانية، و بانفرادية المعيش الطلابي .

3- مفهوم التجربة الطلابية ينطوي على ثراء، بالأخص عندما يوضع في اتجاه معاكس للتجارب أخرى يستكشف منها منحى التحولات، و الممارسات الفر دانية المستقلة و الذاتية .

5- الفر دانية التي تسمح التجربة بانبثاقها، وتشجع على تتبع خيارات في الوجهة، و في المشاريع و كذلك في أساليب العيش المتعددة بالنسبة للطالب المقيم، لا تمنع من أهمية تشكل عناصر جماعية تتدخل في بناء الرابطة الاجتماعية المجالية، حول هذه المسالة تعد التنشئة الاجتماعية موضوعا أساسيا، يتدخل في إنشاء هويات متباينة، بهذا المعنى فان مشهد الحياة الجماعية الخاصة بالطلبة المقيمين في الأحياء الجامعية على وجه الخصوص، يعد مسرحا هاما تتجلي فيه هذه البناءات الهوياتية .

4- دينامية التجارب، الخاصة بالطالب المتردد بين بيت العائلة و سكن الإقامة، من شأنها أن تفتح المجال أمام هذا الأخير أ ن يركب أنماط عيش، لا هي عائلية تخضع للتقاليد و أعراف الأسرة

العتيدة، و لا هي فردا نية " مارقة " لا يضبطها شرط و لا قيد، لكن هذا لا يستثني في ذات الوقت، من باب التجريب و اكتساب الخبرة، الانعتاق الواسع في تبني تجارب حياتية يحكمها التصرف و الممارسة الحرة .

5- موضوع التجربة يمنح الفرصة الكاملة للطالب، حتى يعبر عن وجوده بين أقرانه الذين يطبعهم التمايز و التنوع، فالطالب المنضبط أحادي المشروع، و الطالب المتعدد المهام، و الطالب الذي أولوياته فوق دراسية، وغيرها من الوجوه، تجعلنا نتساءل، هل تجربة الطالب هي تجربة مرتبطة فقط بالمشروع المهني و التخرجي ؟، نعتقد أن حرية الطالب المتولدة من فعل التجريب واختبار الحياة، وعلاقة ذلك بالمشاريع المهنية، يصعب فهمها ما لم نرجع و نعطي الكلمة للطالب المعني .

3-الطلبة:

ظهرت شريحة الطلبة كمفهوم إلى النور بشكل جدي، مع أحداث 3 ماي 1968 التي عرفتها فرنسا حيث استطاع الطلبة استجماع شرائح واسعة في صفوفهم، من ثانويين و شباب من أوساط الضواحي الشعبية، أعلنت عن نفسها تحت غطاء من الأيديولوجية الثورية البروليتارية، التي ارتمت في أحضانها الحركة الطلابية في فرنسا، كما في عدة مناطق من العالم، التي ركبت موجة الماركسية من أجل تحقيق المصلحة العمومية، لقد حددت الحركة الطلابية وجهتها منذ البداية، فهي لم تكتفي بتعريف نفسها، على أنها مكون أساسيا في المجتمع ينبغي الالتفات إليه، بل طرحت نفسها كبديل يود الانقلاب على الكهول والنضج، " فمطامحها أكبر من أن تحصر عند سقف الحقوق الفئوية، إنها تحمل على كاهلها الدفاع عن المصالح العمومية لكافة الشرائح

الاجتماعية والإنسانية أيضا، مدمجة في ذلك آمالا و أحلاما مراهقة مع حاجيات الثورة "[10]، هنا تكمن أصالة أحداث 1968، لقد كانت تمثلات الطلبة الثوريين في تلك اللحظة منقسمة، بين التوجهات الليبرالية لدول الغرب الديمقراطي من جهة، و بين التصورات الاشتراكية الحرة الماركسية الخاصة بالدول الشرق والعالم الثالث، إن البعد الثوري و الاحتجاجي أكسب المجموعة الطلابية هوية خاصة تعرف بها، لكن كيف يمكن الفصل سوسيولوجيا في مابين الطلبة كشباب خاص له مميزاته التي ينفرد بها و بين مفهوم الشباب الذي يشمل مختلف التوجهات، المنضوية تحت نفس الفئة العمرية؟ في الحقيقة إن النظر في تعريفات الخاصة بالطلبة، و نقاط التوازي بينها وبين تعريفات الشباب على المستوى السوسيولوجي لا تكاد تنحصر، وذلك بسبب التقاء المسارين على طريق واحد، فالجامعة كالثانوية مكان تنتعش فيه الخبرة الدراسية مع الخبرة الشبابية في آن واحد، شباب الأحياء الشعبية الذي يخضع إلى تأثيرات المكان في تنشئته، هو الآخر يطور نفس الخبرة الشبابية، إن الخيط الرفيع و الوحيد الذي يفرق بين المفهومين يستشف في الحقيقة مما تقوم به المؤسسة التكوينية الرسمية، من فصل و تحديد بين الجانبين .

فالجامعة على سبيل المثال هنا، هي الأداة التميزية الوحيدة في هذا الموضوع، حيث تقسم الشباب إلى صنفين، " صنف ينتمي إلى مؤسستها، تنظمه وتوزعه بحسب المؤهلات، بحيث تصبح التجربة الشبابية بداخلها، تعرف من خلال الانتماء إلى مجموعة عمرية محددة، و من خلال استثمار الوقت داخل مشاريع و استراتيجيات متعددة، تمنح الحق في الانتساب إلى الجماعة" [11] و صنف آخر شاب، لكنه يفقد الميزات و الشروط ذاتها، التي تجعل منه طالبا ينتمي إلى المؤسسة .

10- لا ينفي مع وجود ظاهرة ماي 1968، التي تحولت إلى نصب تذكاري، يؤرخ للميلاد جديد و ظهور مجوعة الطلبة على مسرح الحياة الاجتماعية الحديثة، من وجود حركات مماثلة في بقاع شتى من العالم، يمكن الإشارة هنا مثلا، إلى ميلاد ثقافة الأحداث المراهقين، والتي انبثقت اثر وفاة شخص الممثل الأسطورة الشاب ج. دين، في الولايات المتحدة الأمريكية وذلك سنة 1955-1956 في أوربا الشرقية نجد صورة أخرى عن تلك الموجة، تجسدت على سبيل المثال في ظهور من يسمون باسم " المتمردون من دون سبب "، الصحوة السياسية الأولى في اسبانيا شهدت هي الأخرى ، انطلاقتها من مجال الجامعة، في الاتحاد السوفيتي السابق، الحركة الطلابية المعارضة و المضادة للنزعة الستالينية، استطاعت أن تحضى بتعاطف واسع من قبل الطلبة امتدت حدوده إلى بولونيا هنغار في فرنسا " المؤتمر الوطني الطلابي حول مشكلة الجزائر، الحرب على الجزائر، في الوقت ذاته كان الطلبة سجل أول مقاومة متنامية له، في صفوف الطلبة الذين خرجوا رافضين الجزائريون يشكلون الرصيد الأول الذي يزود ثورة التحرير بالنخب و الإطارات التنظيمية. Morin (E), "Culture adolescente et révolte étudiante. Annales. Economies, Sociétés, Civilisations. N 3, 1969. PP765-776, www.peresse.fr/web/revues/home/prescript/article/ahess/

11- Dubet (F), " Des jeunesses et des sociologies le cas français ", Sociologie et société, 1996, Vol XXVIII, PP 23-35 .

ثم إن ما ينفرد به الطلبة من مكانة، تميزهم عن باقي الشباب تمنحهم نوعا من الامتياز الغير المعمم الذي يستثنى منه الآخرون، " فقدرتهم على متابعة الدراسة، تعني الاستفادة من شروط مهنية خاصة تمكنهم من قضاء أغلب الوقت في العمل التعليمي، إن مسألة الضمان الاجتماعي والمنحة والإقامة والأنشطة الثقافية المتنوعة أحسن دليل على ذلك " (12) .

إننا إذن أمام هوية طلابية خاصة، معرفة ذاتيا " بما يميزها من اهتمامات و ممارسات و تنشئة مشتركة و اكتساب متزايد في الاستقلالية " (13)، هذه الشروط من شأنها أن تجعل جموع الطلبة الذين تقيدهم رزنامة زمنية محددة، أن يكتسبوا مكانة خصوصية نابعة، عن تدربهم وتمرنهم على أدوار و سلوكيات ناضجة، يذكر هذا في إطار رؤية تنظر إلى مؤسسة الجامعة، على أنها جهاز تحكمه المعايير و القواعد والشروط المهذبة و الملزمة، ذات الأهداف التكوينية التي تبني المؤهلات وتزود المجتمع بالأطر الكفئة القادرة على التسيير و القيادة .

لكن هذه الرؤية لا تجد كل التأييد من قبل باحثين آخرين، ف Feouzis مثلا يرى أن الجامعة كمؤسسة تعليمية عامة، أعجز من أن تطلع بهذه المهمة، فهي في نظر من يعتادها من الطلبة عبارة عن جهاز ضعيف، حيث يصدم هؤلاء وهم يخطون خطواتهم الأولى ضمن مجالها – و هذا على عكس ما اعتادوه من قبل في الثانوية – بعدم وجود معايير واضحة و ملزمة، لسان حالها يقول دعه يمر دعه يعمل، فكل شخص في كنفها يعد حر في نفسه و في تصرفاته، إن فضاء الجامعة بهذا المعنى، يضع الطالب أمام مسؤوليته الفردية، ليتدبر بنفسه المخارج و الحلول، ما دامت المؤسسة لا تقترح عليه أهدافا و أدوارا محددة، تمكنه من الانخراط فيها، و ذلك ضمن برنامج مسطر متصل بالحياة المهنية و الاجتماعية على حد سواء، هذا لا يبدو مؤكدا و لا موثوقا به في نظر الطالب المرتبط بهذه المؤسسة .

و عليه فان ضعف الصفة المعيارية وغياب معالم واضحة، من شأنه أن يسهم في نشوء فردانيات جديدة على أرض الجامعة تكون اعتباطية الظروف التي يتربى عليها الطالب و يعتاد في عين المكان، مصدرا رئيسا لها، فالغيريات المتعددة التي تتشكل و الاتجاهات و المشارب التي تبرز، ما هي في الحقيقة إلا تعبير في العمق، عن حالة صدمة الواقع المنتج للشعور بالإهمال و التسيب .

انه إحساس طبيعي بمؤسسة لا تمد أفرادها بالقيم و الأهداف المزمع تحقيقها، " عند هذه نقطة بالذات يكمن الفارق في ما بين التعليم الثانوي، و التعليم الجامعي (...) فينشأ ما نسميه بشرط الطالب الذي يتأسس بمجرد أن يكتشف هذا الأخير، و هو في

12- Chamboredon, J, C, Classes scolaires, classes d'âges, classes sociales, les fonctions de scansion temporelle du systèmes de formation, Enquête Revues.org/ document 144, html .consulté le 4 avril 2012 .

13- (Erlich (V), 2004 " L'Identité étudiante : particularités et contrastes ", (sous la dir), Dubet (F), Dechavanne (E), 2004, Comprendre les jeunes 139, France, P.U.F, 328 P.

السنة الأولى من دخوله إلى الجامعة هذه الحالة "[14]، و بالتالي فان ضعف الإدماج المعياري الموجود في الجامعة، يدفع بالطالب إلى ابتداع أساليب أخرى في التكيف والاندماج، متعددة الأنماط و السياقات، تسمح له بإثبات وجوده بمستويات مختلفة، ضمن مجالها ومجال العلاقات البينية الخاصة بجماعة الطالبة .

وجه الطالب اليوم إذن، هو ليس بالوجه الوريث مثلما قدمه Bourdieu، يسعى إلى التميز من خلال انسجامه مع ذاته ومع رأسماله الثقافي، الذي تزينه الشهادة، على العكس من ذلك تماما فان الطالب اليوم، لا يهمه بالدرجة الأولى امتلاك الثقافة و لا المعرفة، بقدر ما يهمه الحصول على الشهادة و على عمل و تأتي بعد ذلك المكانة الاجتماعية، إن التعليم الجامعي العام المفتقد للأهداف و المبتعد عن سوق العمل مع كثرة الشهادات و ابتذالها، و إن كانت في الحد الأدنى تشكل حماية من البطالة، ساهم بشكل مباشر في إلحاق الضرر بصورة الجامعة اليوم، فوضع شرعيتها على المحك، مثل هذه الظروف جعلت من الطالب يتصرف بشكل نفعاني و يتعامل مع الدراسة بأسلوب فرداني، لا علاقة له لا من قريب و لا من بعيد مع مسألة السمت الثقافي، التي كانت تسيطر على الفكر التربوي كما من ذي قبل.

هذه المفاهيم و التصورات تضعنا على عتبة وعي جديد و مرن، يسمح بفهم أثر " انكشاف " مجال الجامعة و خواءها الواسع من المعايير، على نشوء غيريات تكيفية متعددة تعمل من ذاتها على منح الوجه الراهن الذي تظهر به الجامعة اليوم، هذا مع مراعاة الفروق و التباينات التي تتميز بها كل تجربة على حدا، ان مفهوم هوية الطالب و شرط الطالب و مشوار الخبرة الجامعية أدوات تحليلية مهمة، نوظفها نحن في ميدان دراستنا، " فمبحوثينا " على اختلاف وجوههم و توجهاتهم يبنون شروط وجودهم الطلابي انطلاقا من أرض الإقامة الجامعية بصور شتى، يكفي فقط الاستماع إليهم و ملاحظتهم عن كثب، حتى نتمكن من استخراج المسارات المتنوعة .

4–التضامن:

أمام التجمع العددي الكثيف للطلبة داخل أسوار الاقامات الجامعية، و التشابه الموجود في ما بينهم خصوصا على مستوى السن و المهنة و الابتعاد الجزئي عن بيت العائلة، تتحول الإقامة نفسها إلى بيت عائلة ثان لكن من نوع آخر، حول هذه المسألة يأتي الحديث عن نوع التضامنات الاجتماعية التي تتصف بها هذه الجموع، و عن الروابط و أشكال القابليات الاجتماعية لدى أفراد يوصفون علي أنهم " أشباه ونظراء " و أنهم من طبيعة واحدة، على ضوء هذا التوصيف نعيد مراجعة مفهوم التضامن الاجتماعي الذي طرحه Durkheim في أطروحته الموسومة، باسم تقسيم العمل الاجتماعي التي كتبها سنة 1893ونرى كيف يمكننا التعامل معها في مجال بحثنا، لكن ليس قبل نقدها وإعادة غربلتها، لنرى كيف يؤصل الرجل هذا المفهوم .

[14]- Felouzis (G), 2001, La condition étudiante, Sociologie des étudiants et de L'Université, P 60,61, Paris, P.U.F. 300 P.

في تشخيصه للمجتمعات و تصنيفه لها إلى تقليدية و حديثة، يرى Durkheim [15] [15] أن المجتمعات السابقة عن الحداثة، عرفت تدني على مستوى تقسيم العمل، المرتبط أساسا بالتقسيم الجنسي وتباين الأجيال فالمجتمعات التقليدية التي لم تعرف هذه التجربة، تخضع آليا إلى سلطة كبار السن و ليس إلى الشباب، كما أن الضمير الجمعي فيها و الدين، مرجعيتان أساسيتان تطال الجميع و لا يمكن لأحد أن يشذ عنها، فالناس ضمن النمط التقليدي ككتلة واحدة، تحكمهم عناصر أولية طبيعية، تتمثل في الدم و الدين واللغة و الأعراف، و ما إلى ذلك من عناصر تنتسب إلى المؤسسات العتيقة، في مثل هذا الظرف يكون الجميع تحت سلطة التضامن الميكانيكي المسيطر، لكن بمجرد ما يبدأ التباين يدب في مختلف مفاصل الأنشطة الاجتماعية فان التقسيم الاجتماعي للعمل سيجعل من الضمير الجمعي ينحصر و يتراجع وستعمل التخصصية من جهتها كذلك على تعميق الفارق .

عند هذا الظرف لم يعد التضامن الميكانيكي اللاعب الأوحد، إنما سيزاحمه هذه المرة التضامن العضوي ويضيق من حجم سلطته و نفوذه، لأن التشابه لم يعد السمة الوحيدة بل أضيف إليها الاختلاف، فتراجعت مع هذا السياق الجديد الهوية، ليحل محلها التكامل، فنحن إذن أمام مورفولوجية اجتماعية لا تقارن مع النموذج الانقسامي المتصف بالبساطة، إنما مع نموذج يقارن بالتنظيمات المعقدة كالجهاز العصبي على سبيل المثال، إن المستفيد الأكبر من هذا التطور الحاصل هو الفرد، الذي كان من ذي قبل ذائبا لا يرى في المجموعة، و لا يعترف به إلا وسط الحس المشترك العام مع الآخرين .

إن جهود هذا الأخير وتقدم تقسيم الاجتماعي للعمل، يسمحان له بالظهور و بالاعتراف الذي أصبح في صالحه وليس في صالح الشخص، لكن تفتت البنا التقليدية و بناء على أنقاضها كيان جديد، ألا ينتج عنه اختلالا و افتقاد للتوازن؟، في مثل هذا الوضع يدافع Durkheim عن أطروحته و يعطي مبررا جديد للتقسيم الاجتماعي للعمل، الذي يرى فيه البديل الوحيد في تحقيق الاندماج و التضامن، ليس لأنه يحدد نشاط كل فرد على حدا من خلال التخصص و توسيع التفرع فيه الناتج عن تقسيم العمل، بل أيضا لكونه يضاعف هذا النشاط و يعمقه و يستمر فيه، أما ما يحدث من أعراض مرضية des pathos، فان سببه يعود بحسب Durkheim ، لا إلى تقسيم العمل الاجتماعي و التضامن العضوي المنتج عنه، إنما إلى انعدام الصلة في مابين توزيع الوظائف الاجتماعية، و بين توزيع التفاوتات الطبيعية الذي يفترض أن تجسر الأخلاق الهوة في ما بينهما.

بمعنى آخر، إن عدم تكافؤ الفرص يعود سببه، إلى عدم حصول الفرد على مكانته الملائمة مع إمكانياته الطبيعية، عند هذا الوضع يتولد الشعور بحالة عدم الشرعية المسنودة بفعل القوة، يسميها Durkheim هنا بحالة الاغتراب l'anomie، لكن من جهة ثانية فان مبدأ عدم تكافؤ الفرص في مجتمع تحكمه سلطة الاستحقاقات la méritocratie، لا يمكن أن يضمن

---

[15] - هذه العناصر مستوحاة من قراءتنا للنص التالي : " Durkheim, la société et le sacré, ou la fondation " من كتاب، Tarot (C), 2008, Le symbolique et le sacré, Théories de la Religion, Paris, Editions La découverte/M.A.U.S.S. P. 910

المساواة في ما بين الفرص، فتطور تقسيم العمل ذاته يفترض فتح الباب أمام المزيد من عدم المساواة، هذا وضع مشروع بحسب Durkheim، يمليه منطق الاستحقاقية العقلانية، و يترتب عليه شرعنة عدم التكافؤ في المكانات الاجتماعية .

ثمة تناقض صارخ هنا ينطوي عليه تحليل Durkheim، فهو من جهة يعتبر أن عدم المساواة في الأماكن يعود سببه إلى تقسيم العمل، لكن من ناحية أخرى يؤكد على تنامي الشعور المتواصل بحالة اللامسواة، فهل تكافؤ الفرص هنا، يكفي في الحد من هذه الوضعية ؟، " ثم من الصعب أيضا قبول الأحكام الدوركايمية المسبقة، التي تفترض أن آمال الأفراد، تنسجم بشكل آلي مع مواهبهم أو تطلعاتهم الطبيعية، إن Durkheim يدفعنا للاعتقاد، بأن التوزيع الطبيعي للتطلعات يمكن أن ينسجم بشكل تلقائي مع توزيع المكانات السوسيو مهنية، و ذلك لمجرد أن يكون هناك تكافؤ في الفرص، في حين أن جانبا من تكافؤ الفرص لا ينتج بالضرورة هذا الانسجام " (16).

من الصعب التسليم مع Durkheim، أن الحداثة التي منحت ميلادا جديدا لمفهوم الفرد، قد أزاحت عن طريقها كل الأوليات les primordiaux المشكلة للرابطة الاجتماعية، ذات التضامن الميكانيكي، إن تيار الأوليات الجديد Le néoprimordialisme يرى عكس ذلك تماما، فعلى سبيل المثال شهد منتصف القرن العشرين على الصعيد السياسي، في الولايات المتحدة الأمريكية تصاعدا جديدا " للسياسة الاثنيات "حيث يجتمع أفرادها على مواصفات نضالية تضامنية ذات حس مشترك موحد، ما يقال على هذه الفئة يقال أيضا، على الحركات النسائية والحركات الايكولوجية التي تجمعها قوانين موحدة، يمكن إدراجها تحت اسم العناصر الأولية، الحركات الدينية و الأصولية في أمريكا و في العالم العربي و الإسلامي موجبة هي الأخرى لإعادة النظر في مفهوم التضامن العضوي، الممجد لمبدأ الفر دانية الحديثة، ذلك أن هذه المجموعات تدمج أفرادها، على أساس من التضمن الميكانيكي و ليس العضوي، فلا مجال إذن للحديث " عن تراجع على مستوى التضامن الميكانيكي ذو العناصر الأولية، كل ما هنالك أن هذه العناصر، أخذت شكلا جديدا، لا ينبثق بالضرورة من مبدأ التشابه، ولا من مبدأ التباين الأساسيين في مفهومي التضامن الميكانيكي والعضوي على حد سواء" (17) .

في ماذا تفيدنا التقسيمات المفاهيمية الدوركايمية منها و نيو- دوركايمية على مستوى أرضية بحثنا؟، هل جموع الطلبة المتشابهين يتماهون مع التضامن الميكانيكي، أم أن اختلاف تجاربهم وتعدد مسالكهم المفتوحة تتناغم أكثر فأكثر، مع مفهوم التضامن العضوي ؟، ماذا يعني قولنا طلبة داخليين interne ، هل نحن أمام هوية خصوصية جديدة، عناصر رباطاتها ليست لا من الأدوات القرابية الميكانيكية، ولا من العناصر الفر دانية النفعانية الحديثة ؟.

---

16 - Besnard (PH), Massimo (B), Vogt (P), (sous sa dir.), 1993, Division du travail et lien social, La thèse de Durkheim un siècle après, P 201,203 Paris, P.U.F. 329 P

17 - نفس المرجع، Smelser (J) " le lien problématique entre différenciation et intégration ", P 269.

في الحقيقة إن الحالة التي يتواجد عليها الطلبة المقيمين، في مجال بحثنا، ليست أحادية البعد، فعلى الرغم من أن مجال الإقامة يبدو محتكرا من قبل النظراء، الذين يجمع بينهم التعاون والتكامل المهني، فانه لا يمكننا القول أننا أمام نوع من الاندماج العضوي المحض، فالتجارب المتعددة المكرسة على أرض الإقامة، و تميز البعض عن البعض الآخر بالانخراط في التزامات مجموعاتية متباينة، يوحي بمورونة العلاقات و بازدواجية الدمج الاجتماعي، فالانتماءات الدينية و المناطقية، كالانتماءات النقابية والتخصصية الدراسية، أو حتى الانتماء إلى العلاقات الحرة، لا تخرج في مجملها عن سياق هذه الازدواجية، لكن هذه الاندماجات ليست وحدها المتدخلة في ضبط المكان و تنظيمه، إن استبدال مقر العائلة بمقر الإقامة ينتج أحيانا، حالات اغترابية anomique خطيرة، تترجم في عدم قدرة الطالب المقيم على التكيف مع أحد الأشكال المذكورة، فيتجه نحو الانعزال والانطواء وعدم الخوض في ما يخوض فيه النظراء، فيكتفي بالحد الأدنى من التعاطي مع الوضع المتواجد فيه اضطرارا .

إن مفاهيم التضامن الاجتماعي المشروحة أعلاه، هي ذات صفة حيوية في مجال بحثنا، تسمح لنا بفهم كيف تتركب العلاقات و الروابط البينية على أرض الإقامة، فأوجه المتضامنات ترسم خارطة الانتشار والتوزيع التي ترسم مشهد المجال السكني داخل الحي الجامعي .

المدينة و الجامعة:

تعد المسألة البيداغوجية و إعطاء التكوين، من المهام الأساسية التي تطلع بها المؤسسة الجامعية فالطلبة و هيئة التدريس و الإدارة، مكونات ثلاثة استحدثت لتحقيق ذات الهدف، لكن السؤال الذي يواجهنا هنا، هو تحت أي شرط من الشروط المادية يتم إنجاح هذه العملية ؟، فالنشاط البيداغوجي ليس بالعامل الوحيد الذي يتمحور حوله وجود الطلبة، فالخدمات الاجتماعية (C.O.U.S) والأحياء الجامعية و الأعمال الثقافية الخ... كلها عوامل تؤكد على أهمية البعد المجالي وتأثيراته على المردود التربوي، فلم تغفل العلوم الاجتماعية بمختلف تخصصاتها هذا الجانب وذلك منذ أزيد من قرن حيث انتبهت، -كما هو الحال مع مدرسة شيكاغو- إلى أهمية المؤثر المجالي على الممارسات الاجتماعية [(1)].

بهذا المعنى فان تسطير الأهداف البيداغوجية، يتضمن أساسا الأخذ بالحسبان، الحيز الجامعي واستعمالاته المختلفة و ذلك في علاقته بالسياق المديني والحضري ككل، دون إغفال الحمولة الزمنية التي نشأ فيها، إن الحياة المعرفية والحياة الحضرية وفق هذا المعنى، شرطان متلازمان لا يمكن الفكاك بينهما أو تجاوزهما، أثناء أي عمل تحديثي للمجتمع وتنمية شروطه الفكرية و المادية .

إن التفكير في مثل هذا الموضوع، يتطلب الوقوف على عدة نقاط أساسية، منها العلاقة التي تجمع تهيئة مجال الجامعات و المرافق التابعة لها بالمجال الحضري، و الأبعاد السياسية والاجتماعية و كذا الثقافية التي تشكلت على اثر هذه العلاقة، من هنا نتساءل: كيف تدخلت السلطات العمومية في الجزائر، في تهيئة الخارطة الجامعية ضمن الحواضر و المدن الكبرى؟ إلى أي مدى يمكن الحديث عن تكامل مجالي، بين الفضاء الحضري و الفضاء الجامعي؟، أي نوع من القابليات الاجتماعية، تفرزها الأشكال المادية الخاصة بالمجال الجامعي، و ذلك في إطار سياسة تسيير و تنظيم هذا القطاع الحيوي؟ .

سنتحدث في هذا العنصر عن أهم المحطات التاريخية، المتعلقة بتعمير المدن و الحواضر ماديا و ديمغرافيا بالوسائل و المعدات الموجهة أساسا لتكوين بنية جامعية و نخب إنسانية نوعية، أنيط بها فعل النهوض و الارتقاء بالمجتمع وفق الشروط الوطنية

---

[1] -في حقيقة الأمر إن مسألة العلاقة في ما بينا المجالي و الاجتماعي و أيهما أسبق، كانت دوما محل نقاش و جدال في ما بين المختصين في هذا الباب، فعلماء الاجتماع الحضري في فرنسا من أمثال Lefebvre, Halbwachs, Le Petit, Remy, Maffesoli, Noschis وغيرهم وعلى الرغم من اختلاف مواضيع بحثهم و مقارباتهم، إلا أنهم مجمعون على أهمية المؤثر الاجتماعي و قدرته التحكمية في البنا المجالية، و ليس العكس، على نفس الدرب سارت مدرسة شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية، في العشرينيات من القرن الماضي، حيث اعتبرت الوسط السكني، على أنه صورة ثقافية للمجموعات التي تقطنه. حول هذا الطرح أنظر على سبيل المثال

Lannoy (P), 1996, Le village périphérique, un autre visage de la banlieue, spatialisation du quotidien et représentations sociales, Paris, Edition, L'Harmattan, 217 P

و الدولية، و ذلك بعد العقود الطويلة من التخلف والجهل التي طالته من جراء الهيمنة الاستعمارية، إن الجامعة الجزائرية اليوم وعلى الرغم من مرور خمسين سنة من الاستقلال، لا تزال في أدنى السلم بحسب التصنيفات الدولية المختصة [2] ، و ذلك بسبب العراقيل البيروقراطية وسوء التسيير، الذي طال هذا القطاع الحيوي منذ لحظة تأميمه و إرجاعه إلى الحضيرة الوطنية.

1) تهيئة المجال الجامعي، لمحة تاريخية:

تميز القطاع العمومي الخاص بالتعليم العالي في الجزائر، غداة الاستقلال ما بين 1962-1971 بالتوجيه و المراقبة السياسية، ففي إطار ثلاثية الثورة الصناعية و الزراعية و الثقافية، تبنى المخطط الخماسي الثاني، إستراتيجية دمقرطة التعليم العالي حيث شرعت الدولة بموجب ذلك في تدشين

سلسلة من البنايات التحتية ذات الصلة بالقطاع الجامعي، فبدأت سنة 1977 ببناء تسعة أحياء جامعية، لكن التزايد المتسارع لأعداد الطلبة، و التأخر في تسليم المنجزات دفع بالسلطات العمومية تبني مشاريع مستعجلة، فواجهت هذا الإشكال بابتداع لأول مرة المراكز الجامعية القريبة .

في ذات الوقت واصلت السلطات العمومية مجهوداها، حيث أعدت من أجل استقبال 99.500 مقعدا بيداغوجيا، تسعة جامعات و ستة مركز جامعي و خمسة معاهد، كما وفرت في هذا الإطار48.500 سرير، ترجمت في انجاز خمس و عشرون حيا جامعيا، و سبعة مراكز صحية جامعية أي ما مجموعه 7.100 سرير، و ذلك من أجل إتمام مشاريع البنية التحتية. على مستوى ولايتي وهران و قسنطينة، فان مشاريع التهيئة باشرت أعمالها داخل الجامعة، حيث تم تخصيص بعض الأجنحة للإيواء الطلبة و ذلك سنة 1975 .

يأتي ذلك في انتظار إتمام انجاز ثلاث أحياء جامعية في وهران، و التي استقبلت بالفعل الطلبة في نفس السنة، تواصلت مشاريع الدولة في هذا الاتجاه، فتعززت ولاية تيارت بجامعة خاصة بالدراسات التقنية حيث استقبلت سنة 1975 حوالي 8.000 مقعدا بيداغوجيا، هذا إضافة إلى إنشاء الأحياء الجامعية التابعة لها، في نفس السنة انطلقت أشغال جامعة باب الزوار U.S.T.A حيث شملت معها بناء الأحياء الجامعية، و من أجل تدارك التأخر والنقص في الانجازات، تم بناء مراكز جامعية

---

2 - لم تظهر و لا جامعة مغاربية واحدة على لائحة الخمسمائة جامعة، في التقييم العالمي الشهير الذي يجريه سنويا معهد التعليم العالي التابع لجامعة " جيو تونغ " بشنغهاي (Shanghai Tio Tong)، و لا حتى في تصنيف منظمة المؤتمر الإسلامي سنة 2006-2007، الذي اعتمدت شروط التصنيف فيه، على الجودة الأكاديمية، و الممارسات الجيدة والسياسات العلمية المتبعة من قبل كل دولة على حدا، للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، أنظر: الصديقي سعيد " الجامعات العربية و جودة البحث العلمي : قراءة في المعايير العالمية "، المستقبل العربي 2007 العدد الرابع، ص، ص 70- 93 .

مؤقتة في كل من تيزي وزو و باتنة، سطيف مستغانم وبلعباس، مع اقتراب نهاية المخطط الخماسي الثاني سنة 1977، تسارعت أشغال البناء في هذا القطاع، حيث تم انجاز معهدين الأول للهندسة المدنية و الثاني للاكترونيك، إضافة إلى بناء مكتبات و أحياء جامعية أخرى وذلك في كل من تلمسان، تيزي وزو و سطيف.

لكن على الرغم من الانجازات المذكورة أعلاه ، فان الدخول الجامعي، سنة 1976-1977 تميز بصعوبات كبيرة، و ذلك بسبب الاستعمال الكثيف من قبل الطلبة للمرافق الموجودة، بمعنى آخر إن اصطدام الطلبة بضعف و بقلة الأماكن المتاحة في الإقامة، و في السكن الجامعي، تسبب في إشكالات تنظيمية و تسيرية ، " حيث سجل حجم الإيواء، في هذا الإطار، تأخرا كبيرا بلغت درجته 30 نقطة ،مخالفة بذلك توقعات التخطيط، الرسمي لها، لقد بلغ النقص في ذلك حدود 8000 سرير، الشئ الذي أثر سلبا على المر دودية البيداغوجية و من ثمة على نوعية الشهادات الجامعية، و ذلك بسبب الاكتظاظ وسوء التسيير الإداري " (3).

2) في الثمانينيات:

لم تختلف فترة الثمانينيات عن العقد الذي سبقها، بل كانت نتاجا حقيقيا لحصاد السبعينيات وسياسة إصلاح التعليم العالي المتعثرة، حيث ازداد الانفجار الديمغرافي في الجامعات بنسب مهولة، فمن 50.000 ألف طالب مسجل سنة 1978 إلى 100.000 في الدخول الجامعي 1984-1985، ليقفز سنة 1990-1991 إلى حدود 200.000 طالب ،أي بزيادة في متوسط حجم النمو بلغت 8.500 طالب في المرحلة الأولى و 16.500 طالب في المرحلة الثانية، لقد تزامن ذلك مع الأزمة المالية الخانقة التي عرفتها البلاد في تلك الفترة، ما أدى إلى توقف المشاريع وتعطل التنمية في مختلف القطاعات، هذه الوضعية زادت من تعميق الأزمة على مستوى المؤسسة الجامعية، وأدت إلى هجرة الأدمغة، خصوصا بعد سياسة تعريب التعليم العالي، التي انتهجتها الدولة، و ذلك في الوقت الذي كانت فيه جل " النخب النوعية " مكونة في غير اللغة العربية .

أمام تنوع المعضلات المادية و الديمغرافية، و حالة الاحتقان و التذمر الاجتماعي، الذي عرفته البلاد في الثمانينيات وذلك بسبب استفحال أزمتي البطالة و السكن، لم يكن أمام القائمين على الشأن الجامعي من تدبير، " سوا الاهتمام و التركيز على ضمان مقاعد بيداغوجية للطلبة الجدد كحد أدنى يمكن لسلطات العمومية، أن توفره لمواطنيها، وذلك مقابل الحصول على السلم الاجتماعي داخل الجامعة (4)، إن التسيير الإداري للجامعة في مثل هذا المناخ، أعطى الأولوية للكم على حساب الكيف

3- Bennoune (M), 2000, Education culture et développement en Algérie, Bilan et perspectives du système éducatif, Algérie, P 394 . Edition, Marinor- E.N.A.G, 769 P .

4- Ghalamallah (M), " L'université algérienne, genèse des contraintes structurelles, conditions pour une mise a niveau ", Les cahiers du cread, N 77/ 2007, P 40-52

فاستبدلت مقاييس الكفاءة والاستحقاق في التفوق و التكوين الجامعي الذي يمنح الأولوية للبعد العلمي و البيداغوجي، إلى مقاييس ومعايير تعطي الأسبقية للأحجام والأعداد، التي يحتاج إليها الخطاب السياسي الرسمي في المناسبات هذه الظروف المتراكمة، أفقد المؤسسة مصداقيتها و قيمتها، فالمسؤولون لم يكن يعنيهم سوا الأرقام والأعداد التي أفرغت المؤسسة من محتواها و حولتها إلى مجرد واجهة، مقطوعة الصلة بالحياة الاجتماعية ككل .

إن المناخ العام الذي كان يطبع الحياة الجامعية في فترة الثمانينيات، ميزته حالة التدهور الشديد على مستوى الخدمات الاجتماعية، وغياب قوانين واضحة تضبط العمل البيداغوجي، وتدني مستوى الدراسة وانتشار حالة الإحباط و التذمر،بمعنى آخر لقد كانت الشروط ناضجة لحدوث غليان وانفجار اجتماعي توج في الأخير بأحداث أكتوبر 1988 الشهيرة .

3) في التسعينيات:

استمرت الوضعية على مواصلة التراجع، و استمر معها التزايد الديمغرافي على مستوى الجامعة في المقابل، لقد ارتفع عدد الطلبة من 200.000 ما بين 1990-1991 إلى 543.000 ما بين سنة 2000-2001، لكن في المقابل لم تعرف البنا التحتية و المرافق الأساسية نفس التقدم، بل كثيرا ما كان المتاح منها عرضة للإهمال و إلى التسيب، إن الجامعة في فترة التسعينيات، هي مثال للعزلة و للسوء التوجيه و عدم الاستقرار، لقد فقدت المعنى و الفعل التربوي في الوقت الذي فقدت فيه وجهتها الاجتماعية، لقد تزامن ذلك مع تدهور الوضع الأمني الذي انخرط فيه المتناحرون على السلطة في البلاد، و أدى ذلك إلى تهديد حقيقي و خطير ينذر بانهيار كيان الدولة ووحداتها المؤسسية، فلم يعد من اهتمام لدى المسؤولين في مثل هذه الحالة، سوا التفكير في المحافظة على الجانب الشكلي والمظهري للجامعة، و هذا بغض النظر عن الأوضاع المزرية و الحادة، التي طالت شروط الحياة و شروط العمل الخاصة بالمعيدين وبالطلبة على حد سواء ، لقد قدرت الوزارة عدد الذين تركوا البلد واتجهوا نحو الخارج مابين سنة 1990-1991 بألف أستاذ باحث جلهم من الأطباء و العلميين و التقنيين.

تزامن ذلك مع موجة العنف الدامي، التي شملت مختلف أرجاء البلاد، حيث كان للجامعة نصيب منها راح ضحيته الكثير من الأساتذة و الباحثين و الكتاب و الصحفيين، إلى درجة أن أصبح ذلك سمة بارزة و اتجاه مقصود ومخطط له من قبل صناع الموت في البلاد، أطلقت عليه الصحف آنذاك اسم " التطهير الفكري " intellectocide [(5)] ، فأصبح الجامعيون الذين لم يكتب لهم الخروج و النفاذ بجلودهم بعيدا عن أرض الوطن، في أوضاع من الخوف و الرعب لا يحسدون عليها، فبين الهروب من

[5] - عرفت سنة 1993 سلسلة من الاغتيالات، طالت عدة وجوه من الجامعيين والمثقفين، كان من بينهم الصحفي الطاهر جاووت والمختص الاجتماعي الجيلالي اليابس في 16 مارس، ثم الطبيب و الكاتب، لعدي فليسي في 17 مارس و المختص النفساني محفوظ بوسبسي في 15 جوان، بعدها بيومين تم اغتيال المختص الاجتماعي محمد بوخبزة، على اثر هذه الاغتيالات الممنهجة، تأسست في باريس يوم 22 من شهر جوان 1993، الهيئة الدولية للمناصرة المثقفين الجزائريين المعروفة باسم CISIA .

هذا الشعور الدراماتيكي، إما بالهجرة أو بالانطواء على الذات أحيانا، أو بالمواجهة والتحدي و رفض الاستسلام للوقع المرير أحيانا أخرى، اتسم سلوك وموقف النخب الجامعية التي بقيت في البلاد في فترة التسعينيات لقد لخص الصحفي و الكاتب الطاهر جاووت حينها هذه الوضعية، بمقولة أصبحت في ما بعد شعارا شهيرا، يؤرخ للمكانة المثقفين في تلك الفترة، حيث قال " إذا قلت تقتل، و إن لم تقل تقتل، فلتقل ولتقتل " فكان هو من بين الأوائل المغتالين الذين دفعوا الثمن، وذلك في يوم 3 مايو من سنة 1993 .

4) في الألفية الثالثة:

بعد مشاهد الدمار و الظلام التي عاشتها الجزائر طيلة العقد الأخير من الألفية الثانية، انتقلت البلد إلى مرحلة جديدة تميزت بنوع من الاستقرار السياسي و المالي، الناتج عن قناعة المتناحرين السياسيين في انعدام الأفق و المخرج، الذي راهنوا عليه طوال العشر سنوات من تبادل الخراب والقتل، و لجوئهم الأخير إلى " الوئام و المصالحة " الوطنية، ترافق ذلك مع انتعاش نسبي في أسعار النفط العالمية، الشيء الذي انعكس بالإيجاب على تحسين مؤشرات التعليم، فارتفعت نسبة الانخراط في التكوين و ازدادت أعداد الجامعات و المراكز، و ارتفع معدل الإنفاق على التعليم العالي وعلى مرافق التابعة له، و على الخدمات الاجتماعية، حيث انتقل من نسبة 0.18% سنة 1997 إلى 1% سنة 2000 ، أي بزيادة بلغت 31 مليار دينار جزائري من عموم الناتج الوطني الخام PNB، في هذا الإطار دعمت البنية التحتية الخاصة بالتعليم العالي، و ذلك إلى غاية سنة 2006-2007 (6) بـ 27 جامعة و 16 مركز جامعي و 11 معهد عالي و 4 مدارس عليا، يأتي هذا الارتفاع في حجم النمو ضمن إطار مساعي الوزارة المتفائلة التي تود " تطهير الوضعية و ذلك، بالرجوع إلى المقاييس العالمية في تنظيم مؤسسات التعليم العالي " (7).

هل هناك من مبشرات تنبأ بذلك؟، أم أن العملية لم تخرج عن إطارها الشكلي المعتاد؟، في الحقيقة أن الهوة لا تزال شاسعة بين ما يتصوره المسئولون و بين ما ينتظره المجتمع من الجامعة من جهة، و بين ما تنظمه المراسيم والقوانين المكتوبة و ما يتسم به الواقع الحقيقي من جهة أخرى، ففي الحالة الأولى" لا يزال التوجيه الجامعي للطلبة غير منتجا، و ذلك بسبب انعدام حقيقي للرغبة في التحصيل، المترتب أساسا عن استشعار عام منتشر، يستلهم تمثلاته من حالة البطالة الموجودة في أوساط الشباب المتخرج"(8).

---

6 - أنظر الجدول (2) يبين عدد الهياكل و المؤسسات الجامعية في الجزائر خلال الفترة 2000-2007. عن موقع وزارة التعليم العالي و البحث العلمي في الانترنيت

7 - وزارة التعليم العالي، إعادة تنظيم التعليم العالي – اقتراحات – مديرية التعليم و التكوين الجزائر نوفمبر 2001 ص،ص 15-16.

8 - Derguini (A), " Vers quelle cohérence et quelle différenciation du système de l'enseignement ", Les cahiers du cread, N 77/ 2007, P 40-52

إن احتكار الدولة للقطاع التعليم و عدم إشراك " الفئات الميسورة من المجتمع " في هذا المجال الحيوي، - بما أن الوزارة الوصية تتحدث عن الرجوع إلى المقاييس العالمية - من شأنه أن يثبط و يفوت الفرصة على استحداث، انطلاقة حقيقية يلتقي فيها المجتمع بالمعرفة، " إن تحرير الطلب الاجتماعي و نوعيته، هو في لب أي ديناميكية تعمل على إنتاج المجتمع" [9] ، فعدم تكافؤ العرض في ما بين الطلب الاجتماعي وحاجته الحقيقية في المعرفة، يؤدي آليا إلى عدم تكافؤ بين المؤسسة الجامعية و بين المجتمع ككل، هنا تصبح الجامعة بلا معالم و الطلبة بلا أمل، فينقطع حبل الوصل بين التنمية و التكوين و تصبح الاهتمامات و الأولويات خارجة عن النص .

أما عن الحالة الثانية فما زلنا نشهد، على أن الهاجس الأول للمسؤول الجامعي في تسيير هذا القطاع، هو التأمين الهادئ و الرتيب، البعيد عن أجواء المشاكل و الإضرابات، و إشاعة الاضطرابات، و ليس التفكير في العلمية و النوعية و الفعالية البيداغوجية، النجاح الأكبر بالنسبة إليه، هو الخروج بموسم دراسي منتهي في آجاله المحددة، دونما اختلالات أو مطبات تعترض هذه الغاية، فلا يضر مع توفر المداخيل المالية وارتفاع أسعار النفط !!، غياب المستوى وتكوين النخب الفاعلة، فلا ضير إذا مع هذا المناخ، من الإبقاء على حالة الاستقرار الجامد، بدلا من الديناميكية الخلاقة التي توصل المجتمع بالجامعة، و تمكن من السير على طريق التنمية الحقيقية.

5) الإصلاح و أثره على الطلبة :

إذا ما أردنا توصيف نوعية الطلبة الذين تعاقبوا جيلا بعد جيل على الجامعة في الجزائر، فلا بد من ربط ذلك بالتحولات التي عرفها تسيير هذا القطاع الحيوي في البلاد، إن مرحلة الإصلاحات الكبرى التي بدأت سنة 1971 و شملت مختلف القطاعات، بحسب الأستاذ جمال غريد، عملت من جانبها على إعطاء للجامعة وجهة تنتعش فيها " الثقافة الوطنية "، فالمرحلة هي مرحلة الحماس الوطني التي تبنتها دولة الحزب مع مطلع الاستقلال، لذلك ستؤسس لظهور جيل جديد من الطلبة لم تعرفه الجامعة الجزائرية من قبل، أين كان " الطالب الكلاسيكي " - يقول غريد- ذو المواصفات البورجوازية المشبع بالقيم المدنية والحدثية، و المتحدث باللغة الفرنسية، يملأ المكان ويكون رؤية مجتمعية مستقبلية، انطلاقا من مجال الجامعة معقل ثقافته و حصن أفكاره الرئيسي .

إن إصلاحات 1971 المفعمة بالروح الوطنية التحررية، نظرت إلى الجامعة على أنها لا زالت تقبع تحت سلطة الاحتلال لذلك وجب تحريرها و تخليصها من " الاغتراب الثقافي و العلمي وجعلها تتوافق مع حاجيات البلاد "، هذا المشروع كان له بالغ الأثر على الطالب الكلاسيكي الذي نحيا جانبا، فاستسلم للتهميش وسار في طريق الزوال و الاختفاء، فالظرف لم يعد يخدمه لقد

[9] - نفس المرجع، Les cahiers du cread, N 77/ 2007, P 40-52 .

دقت ساعة أفوله، و إخلائه للمكان للصالح نوع آخر من الطلبة، إنها ساعة مجيء " طالب الأغلبية"، - يواصل غريد قائلا – الذي جاء مع بداية السبعينيات من مناطق عميقة في البلاد، فهو معرب اللغة ذو ثقافة إسلامية، هذا التباين في الأيديولوجيات و الرؤى، حول الجامعة إلى مكان صراع واستقطاب في ما بين الجانبين، فطبيعة النزاع كانت تعبر في عمقها، على خلاف موجود بين رؤيتين متباينتين حول مشروع المجتمع و التصور المستقبلي له .

لذلك كان الطالب الكلاسيكي ينظر إلى طالب الأغلبية، على أنه ريفي غير متمدن و أنه غير مؤهل للتيسير المجتمع، في حين كان طالب الأغلبية ينظر إلى الطالب الكلاسيكي، على أنه تغريبي مونسلخ عن القيم الوطنية التي قامت من أجلها ثورة التحرير، عموما إن الجامعة التي عهد إليها تحديث المجتمع بحسب غريد تقف اليوم في حالة دفاع، وذلك بسبب سياسة الهيمنة والاستئثار " الدولتي "، الذي أمم القطاع التربوي مثلما يؤمم قطاع التصنيع والمحروقات، فلم يرى في الجامعة سوا مجرد قطاعا من القطاع الصناعي و التقني البحت، الذي يجب عليه الاعتناء ببناء الطالب المنتج فقط ، وليس الطالب المثقف المبدع في المجتمع ربما يعود سبب فشل سياسة التحديث إلى هذه الإشكالات [(10)] .

على الرغم من جدارة ووجاهة هذا التحليل، و عمق توصيفه للوجوه الطلبة الذين جسدوا الجامعة ما بين سنة 1960 و سنة 2000 ، إلا أن الكاتب لم يذكر لنا كيف و لماذا تحولت النخب الكلاسيكية بعد انسحابها من الجامعة، و تركها للمشروع المجتمع الحدثي الذي كانت تنافح وتناضل من أجله، إلى نخب صالونات و فنادق و مواقع، فابتعدت بذلك كثيرا عن المجتمع وعن همومه، و اكتفت بالتنظير و التسطير الفوقي و الإطلالة عليه من فوق الشرفات الأيديولوجية التي لا يفهم الكثير من أفراد المجتمع للغتها و لا معانيها؟ في المقابل لماذا تساوق أجيال الطلبة المتعاقبون على الجامعة، بما فيهم بعض الفرنكوفونيون و تناغموا مع أطروحات الطالب الأغلبية ؟.

الذي " تكدح " و تلاحم مع عموم الطلبة، و هو يواجه معهم مطبات الحياة الجامعية و بؤس شروطها المادية و المعنوية هذا بغض النظر عن طرحه الشعبوي و تصرفه الانفعالي، ثم ما هي حصة الطرفين من المسؤولية في إفراغ الجامعة من محتواها العلمي و الكوني ؟، أليس الهوس بالأدلجة والترسيخ العقائدي، الذي راهن عليه الغريمين للعقود طويلة، من أجل تحقيق فتوحات طوباوية غير واقعية، و هذا على حساب الالتفات والانكباب على الشروط الملموسة، التي تحقق النهوض الحقيقي؟، والاجتهاد في ابتكار عقد جديد في ما بعد الاستقلال، يسمح للكل بالعيش معا بشكل متسامح ومتعاون، بدلا من الممارسة الاقصائية التي اتبعها

[10] - حول هذا الموضوع و المفاهيم المدرجة أعلاه، أنظر

Guerid (D), L'exception de Algérienne, la modernisation à l'épreuve de la société, Alger, Edition de Casbah, 334 P.

طرف ضد الطرف الآخر، أليست هذه هي مبادئ التمدن و التحضر، الذي كان يمكن للجامعة أن تلعب فيها دورا رائدا ومؤسسا ؟، أذكر هذا ليس من باب جلد الذات، أو مناصرة فريق ضد فريق آخر، فهذا ليس شأننا علميا، إنما من باب التحليل و التفكير، و إلا فكيف يمكننا تفسير تعرض النخب الجامعية في فترة التسعينيات إلى القمع و للاغتيال و التهجير، مثلما سبق و أن رأينا ، أليس ذلك نوعا من العقاب المجتمعي لهذه المؤسسة، التي فشلت في بلورة ما يسمح للكل، أن يحي وفق قناعاته بشكل ديمقراطي تداولي يضبط فيه التمايز، في ما بين الحيز العام و الحيز الخاص، بشكل مفكر فيه جيدا.

إن التوصيفات المختلفة للأشكال للطلبة، المفرزة أساسا عن أنماط ذهنية التسيير و تنظيم المجال الجامعي، هي في الحقيقة واجهة لإشكالات تعتمل في العمق، تعبر عن كيفيات انقسامية و تجزئوية في تداول المكان وتحقيق الاعتراف فيه، يمكن لهذه المسألة أن تتضح أكثر عندما تكون الجامعة مسرحا للتناحر سياسيا .

6) الجامعة الجزائرية بوتقة للصراعات السياسية :

لم يكن يدور في خلد صانع القرار في الجزائر و ذلك ما بين سنة 1980- 1988 سوا الانشغال بمسألة التعريب و جزأرة الجامعة، فعقد لذلك الندوات و الملتقيات الوطنية التي غالبا ما شهدت اختلافا وتناحرا إيديولوجيا حادا بين الجناح الفرنكوفوني و الجناح العروبي، إن إعطاء الأولوية لمثل هذه المسألة غالبا ما كان يفوت الفرصة على مدارسة المصاعب الحقيقية التي كانت تعرفها الجامعة .

إن حرف الاتجاه نحو ما هو ذاتي و مشاعري، على حساب ما هو موضوعي وواقعي، ربما يعبر عن عجز في مواجهة المشاكل العالقة، ذات الطابع المادي و التي كانت تحتاج إلى حلول مستعجلة تنظم الحياة التعليمية و الشروط الاجتماعية الخاصة بالجسم الجامعي ككل، مثل هذه الوضعية كانت مدعاة للتشرذم والتجزئة و الانقسام على أساس هوياتي و أيديولوجي، كيف ترجم ذلك على أرض الجامعة ؟، ومن هم رواد المشهد الانقسامي ؟.

قبل الإجابة على هذه التساؤلات لا بد من ذكر، أن الشحن العقائدي بمختلف مشاربه ومذاهبه الذي كانت الجامعة مسرحا و مخبرا له، لم يكن ينتج مقولاته النضالية بمنأى عن المكونات الأيديولوجية و الفكرية التي كانت موجودة في السلطة فالتوجهات الوطنية و الإسلامية والاشتراكية و الديمقراطية، كلها مكونات عبر عنها الخطاب الرسمي السياسي، و لم يتنكر لها أو حتى استغربها، فأين يكمن الاختلاف إذن؟، و لماذا الانقسام مادام الكل متفق و لم يختلف على نفس الرمزيات ؟، نعتقد أن منشأ الشرخ، يعود في استعمال المواقع و المشروعيات، بمعنى آخر مثلما استعملت السلطة الشرعية الثورية، استعمل الإسلاميون من جهتهم شرعية المساجد واستعمل الطلبة الجامعيون على اختلاف مشاربهم، أيضا مجال الجامعة في إثبات مشروعيتهم .

كل يبحث عن مشروعية ينتزع من خلالها حق، كان قد احتكر من قبل السلطة، و ذلك بموجب سياسة التأميمات التي شملت كل المنافع المادية والرمزية، ضمن هذا السياق يمكننا قراءة وتحليل مجرى الأحداث التي ميزت الجامعة في الفترات السابقة و عند هذا المعنى يمكننا أيضا تعزيز افتراضنا بالقول، أن الحق في المكانات كرس ابتداء من الحق في المكان، فالجامعة كعتاد مادي وما له من بريق، من شأنه أن يشجع و يحفز و يدفع برواده، نحو هز المشهد السياسي الذي جلب إليه اهتمام المسئولين بحيث تعاطوا مع انشغالاته و همومه، هذا بغض النظر عن المخرجات المترتبة على هذا التفاعل، على الأقل هذا ما تبدى به المشهد في العقد الثامن من القرن المنصرم .

تفصيلا لهذا الموضوع، بإمكاننا القول أن الجامعة الجزائرية، في ثمانينيات القرن الماضي كانت ساحة للتناحر السياسي والأيديولوجي بامتياز، بين السلطة و الطلبة من جهة، و بين الفصائل الطلابية المختلفة التي كانت تموج بها أرض الجامعة من جهة أخرى، فالوطنيون العروبيون والإسلاميون على اختلاف أجنحتهم والفرنكوفونيون، و كذا الأمازيغيون والشيوعيون، كانوا جميعهم يشكلون العناصر الأساسية التي يتغذي منها الحراك اليومي في الجامعة، لا يمكننا فهم ذلك بمنأى عن الشروط المادية و السياسية التي كانت تحكم الوضع آنذاك يصف لنا عيسى قادري حالة الأحياء الجامعية ووضع الطلبة و ظروفهم المادية المزرية التي كانت مغذية لحالة الاستياء قائلا : "كانت الأحياء الجامعية في الثمانينيات تنهار، بسبب الاكتظاظ، حيث كان يتجمع داخل الحجرة الواحدة التي لا تتجاوز مساحتها، بضعة عشرات من الأمطار، خمسة إلى ستة طلبة تنقصهم بداخلها التدفئة وندرة الماء الصالح للشرب هذا إن وجد، الوجبات الغذائية بالمطعم الجامعي ذو الطوابير الطويلة و الغير المنتهية، لا تشبه بحال الأغذية الصالحة و المتوازنة، أما النشاطات الثقافية فكانت منعدمة داخل الأحياء الجامعية، (...) .

إن الطلبة في تلك الفترة لا يختلفون في شئ عن الشباب العاطل، بل على العكس من ذلك هم بائسون، لا ينتظرون شئ من المستقبل، لذلك نجدهم يشتغلون في السوق السوداء، شيأ فشيأ تحولوا إلى طلبة يسافرون نحو الخارج من أجل العمل في التجارة الغير الرسمية (البز نس) " (11) بالموازاة مع هذا الوضع، انتهجت السلطة سياسة قمعية تجاه الحركات السياسية الطلابية، فحلت U.N.E.A و دفعت بجموع الطلبة نحو العمل التطوعي و ذلك في إطار الثورة الزراعية، هذه العملية و إن كان قد كتب لها بعض النجاح نسبيا، إلا إنها مع بداية سنة 1997 انتابها الشرخ والانقسام مجددا، وذلك بين " الطلبة المستقلين " و الطلبة المقربين من السلطة و من دوائها من جهة، و الطلبة " المعربين " و" متطوعي الثورة الزراعية " التابعين لحزب الطليعة الاشتراكية P.A.G.S من جهة أخرى (الفروق لم تكن جد واضحة بين الفصيلين الأخيرين) في ذات الوقت انعقد المؤتمر الأول للشبيبة الذي تمخض عنه ميلاد U.N.J.A حيث عقدت الأخيرة مؤتمرها سنة 1979، للعلم فان U.N.J.A كانت تمثل اليد

---

[11]-Kadri (A), " Le systéme de L'enseignement superieur algérien dans la décennie 80, les réformes dans la réforme des contournements avortés ", Naqd, Avril-Aout, 1993, N 5, PP 74-9

الطولى للسلطة داخل الجامعة، ما جعلها تبتعد عن الظروف الصعبة الحقيقية، التي كان يتخبط فيها الطلبة من جراء النقص الخدمي و التقني .

بل كثيرا ما كانت – أي U.N.J.A – تعمل على تطويق الإضرابات ورفض الاحتجاجات التي تظهر على أرض الواقع و ذلك بسبب الاحتقان والتذمر الناجمين عن السياسة الديماغوجية المتبعة من قبل الإدارة الوصية عن حل الأزمات، وفشلها في تحقيق ما قطعت به من وعود مطلبية، لقد أصبحت U.N.J.A في نظر الطلبة تمثل الوجه الآخر للسلطة في الجامعة، لذلك كانت محل اتهام وانتقاد دائمين، بسبب سياستها الوصولية، في الجانب الآخر كانت الاحتجاجات التي يقودها P.A.G.S حزب الطليعة الاشتراكية في الجامعة متواصلة، لكن دون أن تصل أصدائها إلى السلطة التي عمدت إلى حرف مسارها فدقت إسفينا بين المحتجين اليساريين وبين الطرف المعرب الذي كان يعرف تناميا لافتا .

ما بين سنة 1976-1977 عرفت جامعة الجزائر إضرابا قويا قاده قسم علم النفس، حيث نجم عنه تشكيل تنظيمات مستقلة، ظهرت في التنسيقيات التي حاولت أن تأخذ صبغة وطنية، لكنها لم تفلح و ذلك بسبب قمعها من قبل السلطة، لذات السبب أجل الصراع، إلى أن جاءت للحظة " الربيع البربري " و ذلك في شهر مارس سنة 1980، فتطور الاحتجاج بالموازاة مع ما كان يحدث في العاصمة، من حينها نشأت الجمعيات الثقافية كحركة M.C.B التي جمعت في صفوفها أتباع التيار الماركسي و أصحاب النزعة البربرية، حيث يعد أغلب أتباع هذا التيار من سكان ولاية تيزي وزو و بجاية وضواحيها، قضيته الأساسية تتلخص في الدفاع عن الثقافة و الهوية الامازيغية، يستشعر أتباعه بالتهميش والإقصاء من قبل السلطة ومن سياستها الأحادية لذلك انتدب نفسه – أي هذا التيار – للمعارضة السلطة التي مجدت اللغة العربية و لم تعترف باللآمازيغية، ومعارضة الإسلاميين الرافضين للنعرات العرقية و الحاملين للشعار " الدولة الدينية " أو هكذا يصفهم خصومهم من هذا التيار.

نكاية بهذا و ذاك عمد أفراد التيار البربري، التحدث مطلقا باللغة الفرنسية أحيانا و باللغة الأمازيغية أحينا أخرى -و التي لم يكن بعد قد أعترف بها دستوريا – و ذلك في تواصلاتهم اليومية، وتناولهم للطعام في وضح النهار أثناء شهر الصيام ما جعلهم يصطدمون مباشرة بشباب طلبة التيار الإسلامي، مثلما شهدت على ذلك أحداث جامعة بن عكنون، التي راحل ضحيتها أحد الطلبة ، و أحداث 1982 التي عرفتها الجامعة المركزية، حيث وقعت مشادات عنيفة في ما بين الإسلاميين و الطلبة اليساريين والفرنكوفونين، وامتدت شرارتها إلى الأحياء الجامعية في شكل الاصطدام في ما بين لجان الأحياء المختلفة .

من جهتهم فان المعربون الاسلاميون الذين كان جل نشاطهم، مركزا على العمل الدعوي والعمل التربوي، داخل الجامعة و غرف الإقامة و الخيمات الصيفية، و المصليات التي شهدت أول ميلاد لها سنة 1979، و ذلك عقب الإضراب العام

و المسيرة الضخمة التي قادها هذا التيار في الجامعة المركزية، أين أعلن عن نفسه كقوة كاسحة لا يمكن تجاوزها، بالأخص مع أحداث جامعة ابن عكنون سنة 1982، أين تكشفت قوة هذا التيار الحقيقية، الذي لم تكن ملامحه واضحة في البداية و لا اتجاهاته و أجنحته متمايزة بشكل بائن و محدد، حيث كان يجمع في صفوفه مختلف التيارات، التي كانت تنشط على الساحة الوطنية بشكل غير رسمي، فنجد من بين أتباعه الإخوان المسلمون و السلفيون و الجهاديون والجزئريون والتبليغيون و القطبيون لقد كان فضاء الجامعة يحفل بجميع هؤلاء، حيث تنامت أعدادهم وتضخمت جيوبهم و ذلك بفضل التحامهم واهتمامهم بتفاصيل الحياة اليومية الخاصة بالطلبة، ولوقوفهم كذلك كجدار صد موحد في وجه التيارات اليسارية و الفرنكوفونية .

من أبرز أنشطة هذا التيار تدخله في الشأن العام الطلابي، و امتطائه مشروعية " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، التي ترتب عنها تدخلات عنيفة على مستوي الحياة الشخصية خصوصا تلك التي تتعلق بالعلاقات الحرة، التي تحدث في ما بين الجنسين، النشاط الاسلاماوي هذا لم يكن محل إجماع لدى الفصائل الإسلامية الأخرى، فكثيرا ما كان يدان من قبل الاتجاه الاخوني الذي عزل نفسه في ما بعد على التيارات المتشددة، في سنة 1987 تفجر الوضع الاجتماعي في قسنطينة ودخلت الجامعة بكل قوة، حيث شهدت إضرابا شاملا مس مختلف قطاعاتها، خصوصا بعد إعلان وزارة التربية العليا إعادة النظر في شروط التوظيف، ما أدى إلى توحد مؤقت بين مختلف فصائل الطلبة.

هذا الحدث أدى إلى ظهور " للجان مستقلة " أصبحت تنافس U.N.J.A و B.N.E الذي قام على أنقاذ C.N.E، ففي شهر ديسمبر من نفس السنة عقدت التنسيقيات الجهوية " للجان المستقلة " اجتماعا لها في العاصمة و أصبحت من حينها تنسيقيات وطنية، هذه الحركة المستقلة و إن لم يعترف بها رسميا من قبل الإدارة إلا أنها كانت على حوار متصل غير معلن مع السلطات الوصية، التنسيقيات الوطنية هذه عقدت 15 اجتماع ما بين سنة 1987- 1989 تمخض عنها ميلاد S.N.E.A.A.D وU.G.E.L الممثل الرسمي للحركة الإخوان المسلمين في الجامعة، عدا هذه المكونات التي كانت تطبع المشهد الجامعي، فإن واقع الجامعة عقب هذا التاريخ هو واقع نقابي، يقتسم جبهته التقدميون اليساريون والإسلاميون المعربون ،هذا إلى جانب بعد المجموعات المهشمة كتروتسكيين وأتباع حزب جبهة التحرير الوطني و بعض أتبع جماعة الدعوة والتبليغ .

بعد عقود من الغليان والاتجاه نحو التغير الجزئي، الذي شهدته الساحة السياسية خصوصا مع بداية الألفية، أصبح خصماء المشهد الجامعي جزء من ائتلاف السلطة الحاكمة، انخفضت حرارة الصراع وتوجيه السهام نحو المسؤولين، و انقلبت ممثليات الطلبة من أدوات إدانة لسلطة وسياستها المضادة للانفتاح المجال العمومي، الضروري في بناء حياة ديمقراطية تداولية، إلى جمعيات ممجدة و داعمة للخطاب السياسي الرسمي، فلا حديث عن سياسة معارضة اليوم أو ردود احتجاجية تدخل في هذا الإطار هذا بغض النظر عن جامعات منطقة القبائل، التي لا تزال تشكل استثناء إلى يومنا الحالي، لقد حددت المنظمات الطلابية اليوم سقفها

عند حدود الحاجيات المطلبية الجزئية، فلم تعد مثلما كانت عليه من ذي قبل، إننا اليوم أمام فاعلين جدد، علاقتهم بالجامعة ليست طموحة جدا، فالعصر ليس عصر " أمثولة النخب العارفة " المعول عليها في قيادة قاطرة المجتمع، لقد حيدت الجامعة كما من ذي قبل، في العشرية الأخيرة عن أداء أي دور مجتمعي أو تنموي، فعهد إليها تكريس الرتابة و تجميد الوضع، والاكتفاء بإنتاج الشهادات على حساب النوعية، انه عصر التصحر المعرفي و الإبداعي الذي يطبق على الجامعة اليوم .

خلاصة القسم:

إن المفاهيم المنتقاة من قبلنا، من أجل إثراء ساحة البحث، الخاص بأساليب " تعالق البشر بالحجر"، كما هو في عمق المسألة، تبدو أكثر نجاعة و مرونة، في تحليل مواضيع الشأن الطلابي، فأنماط امتلاك المجال و تداوله من قبل الطلبة المقيمين بالأحياء الجامعية، يعد أكثر إجرائية في سبيل تحديد و تعريف الدلالة المكانية، المتصلة بحياة الطالب المقيم، الذي يحتكم إلى التجريب و الاختبار الشخصي و الجماعي في بناء استراتيجيات الاندماج بالمحيط الداخلي والخارجي، و التكيف مع المؤسسة الجامعية والتزاماتها الدراسية، التي جاء من أجلها، إن الطلبة في التعريف السوسيولوجي ليسوا عبارة عن كل متجانس، يجمع بينهم عامل السن، و الهوية الجامعية هذا أكيد، لكن تفرق في ما بينهم الانتماءات الذاتية و الثقافية والأيديولوجية، التي تصبح محل رهان عندما توضع تحت محك التجربة، الكل يعيد بناء روابطه الاجتماعية، بما يتوافق مع ما تتيحه له الخبرة المجالية، و ما تقدمه له من بدائل في الاندماج و القابليات الاجتماعية .

إن مفهوم التضامن السوسيولوجي، في هذا المجال يبدوا نافعا، إذا ما وضع محل المراجعة والمناقشة على ضوء المعطيات الميدانية، بحيث لا يتناغم بالضرورة مع الثنائية الدوركايمية المنقسمة في ما بين الدمج الميكانيكي و العضوي،إن طلبة الأحياء الجامعية في المراكز والحواضر الكبرى لديهم من القدرة ما يسمح لهم، بإعادة التركيب و التأليف و إحداث التوازن في ما بين وجهي التضامن، أو حتى تشغيل الموروث التقليدي في صميم المدن و الحواضر، أو أساليب التسكن وتقاسم المكان .

إن السياق التارخي الذي نشأت فيه العلاقة في ما بين الجامعة والمدينة، يعزز افتراضنا القائل بأن الأحياء الجامعية و الطلبة، يشكلان جسما بارزا داخل الحيوية الحضرية، وما تسمح به هذه الأخيرة من انتعاش للتوجهات سياسية و أيديولوجية، التي ساهمت في وقت مضى، في إعطاء للفئة الطلبة شكلا ومضمونا ملفت، ظهرت أهميته على مستوى سياسة إعادة " التقويم الوطني " بالأخص ما بعد أحداث أكتوبر1988، التي لعب الشباب الطلبة الجامعيين فيها، دورا بارزا داخل الحواضر والمدن، إن علاقة الجامعة بالمدينة بحسب قراءتنا التاريخية، بين مدى حساسية الموضوع على المستوى السياسي، لذلك أعاد "المخطط " هندسة مجال الجامعة، بما يتوافق ويترافق مع المصالح الوطنية الكبرى، حيث يضبط الإيقاع العام للطلبة، بحسب التجاذبات السياسة التي تعرف ضعفا و انحسار على الأقل في الظروف الراهنة .

القسم الثاني:

الطالب الاقامي موضوعا للحضرية، مستهل التجربة

- ❖ مقدمة القسم الثاني
- ❖ الفصل الثالث: لماذا الاقامات الجامعية ؟
- ❖ الفصل الرابع: التمرن على الحياة الحضرية
- ❖ خلاصة القسم الثاني

مقدمة القسم :

إن تقاطر الطلبة كل سنة، من جهات شتى، الوافدين في الغالب من الأطراف و المناطق الداخلية العميقة على المدن والحواضر الكبرى، قصد الدراسة و طلب العلم في الجامعات، يحدث ضجيجا و حراك معينين في المناطق المذكورة، إن تواجد هذه الفئة داخل المدن الجامعية، يمنح إضافة حقيقية في تنوع الممارسات الحضرية، فالوجه الآخر من التواجد داخل المراكز الكبرى من قبل طلبة الأحياء الجامعية، يكشف عن ممارسات خصوصية يضطلع بها الطالب الاقامي أثناء ظهوره على مسرح الحياة الحضرية إن ميلاد قابليات مجتمعية جديدة داخل السياق المديني، يكاد يكون الميزة الأساسية المشخصة للتوجهات هذه الصنف من الطلبة فالمجال الاندماجي والمهني و الثقافي و الجمالي، عناوين رئيسة تبوب تفاصيل الفعل و التصور لدى طلبة الاقامات الجامعية.

إن الهوية البيداغوجية و التعليمية، و إن كانت تمثل الدافعة الرسمية المتفق عليها، في إعطاء الحق من أجل التواجد ضمن الحواضر الكبرى، إلا أنها لا يمكن أن تختزل أو تختصر معني التعريف والتحديد الخاص، بصنف الطلبة المقيمين في المدن الجامعية إن عامل الوسط الجديد، و ما يتيحه من تنوع في أساليب الاندماج، و يمنحه من بدائل في القابليات الاجتماعية، يعتبر جزء بنيويا مدمجا ضمن هوية الطالب الجامعي، الساكن في الأحياء الجامعية، ما أهمية ذلك على مستوى العمق الأنثروبولوجي ؟، أو لنقل على مستوى الأنثروبولوجية الحضرية، التي كل هاجسها، مثلما يقرر Balandier (G) هو البحث عن المتغير في الثابت و الثابت في المتغير.

إن إشكالية الطالب المقيم بالأحياء الجامعية، تكاد تتصل بمختلف الجوانب الأساسية الخاصة بالمجتمع و بمؤسساته العتيدة و الحديثة، إنها تحرك العائلة و تحدث بداخلها نقاشا عميقا، يرتبط بمدى جدوى إرسال الابن أو البنت، إلى أحياء الخالية من الرقابة الأبوية، و تبلور لدى المخطط و صانع القرار، صياغة سياسات تموينية بالعتاد المادي اللازم، و ذلك من أجل إنشاء بنية تحتية تسهم في دعم الحواضر و المدن بما تحتاج إليه في خارطتها و مشهدها الديمغرافي و العمراني العام، كما تطرح أيضا إشكال القيم والمعايير بالنسبة للطالب الاقامي، الذي يجد نفسه أما م حقل جديد ينخرط فيه عن طريق التجريب والاختبار، للمختلف العلاقات المتاحة، التي يقدمها له الوسط الميدني المتسع الآفاق، إن الطلبة و الاقامات عبارة عن رزمة من المواضيع، مجمعة في إشكال السكن الجامعي، إذ من خلاله يمكننا الإطلال والاطلاع، على مختلف الجوانب الاجتماعية الموصولة، بشخص الطالب القاطن أو النازل بالأحياء الجامعية .

لماذا الاقامات الجامعية:

ما الداعي إلى نصب التساؤل على الاقامات الجامعية؟، ما ضرورة وضعها تحت مجهر البحث؟ ما الاستثناء الذي يميزها حتى تصبح محل التساؤل المعرفي؟، أسئلة تتبادر إلى الذهن ونحن نفكر في مدى أهمية دراسة هذا الموضوع، لنبدأ بتشخيص المسألة من أساسها ووضعها ضمن إطارها السوسيولوجي، فمما لا شك فيه أن التزايد الملفت للعدد الاقامات الجامعية في مختلف المناطق الحضرية، يتصل بإستراتيجية الدولة في زيادة من حجم الطلبة، فالإحصائيات تشير إلى ذلك و تكشف أن عدد الطلبة في الجزائر تجاوز رقم 084 466 سنة 2001/2000 ليصل سنة 2010/2009 إلى رقم 137 164 1، أي بزيادة بلغت حد الضعف خلال العشر سنوات، على أن يصل العدد المرتقب خلال سنة 2014 إلى حدود المليونين طالب بحسب تقديرات وزارة التعليم العالي، لذلك تسعى السلطات العمومية إلى توفير البنايات التحتية المدمجة أساسا بالسياق الحضري، بحيث يعد ذلك شرطا أوليا للاستقبال الطلبة .

ففي سنة 2012 بلغ عدد الاقامات الجامعية الجاهزة حد 385 إقامة، حيث استقبلت في ذات السنة 601.220 طالبا مقيما، وذلك من مجمل عدد الطلبة المسجلين، خلال السنة الجارية و الذي بلغ عددهم اجمالا1.245.870 مسجلا [1]، أي ما نسبته % طالبا مقيما مقارنة بعدد الطلبة الغير المقيمين والذين تشكل نسبتهم % من مجمل الطلبة ككل. فلأجل هذه الأعداد المرتفعة و المتزايدة يتم تفعيل كل الوسائل والعتاد الممكن الموجه أساسا للخدمة التكوين العالي، إن تكثيف الخارطة الجامعية بحسب هذه الأرقام، ألا يسهم في تعزيز المسار الذي يطلق عليه بعض الباحثين الاجتماعيين اسم " إقليمية التعليم العالي " [2] ؟.

فالموضوع إذن يرتبط بمكانة الاقامات الجامعية داخل النسيج المجتمعي و بإطاره المديني، ذلك أن – أي الاقامات – تساهم بشكل ملموس في تزويد الدينامكية الحضرية، بالنشاط و الحركة فيلتقي السلوك الطلابي المنبعث من داخل أسوارها، بالسلوك الحضري المتواجدة ضمن سياقه مشكلة بذلك موضوعا إشكاليا من الناحية الأنثروبولوجية الصرفة، إذ تعلق هذه الأخيرة اهتماماتها في مثل هذه المواضيع بشكل أساسي، على العلاقة التي تربط الأطراف بالمراكز أو بجدلية الاتصال في مابين " العميق في الذاتية وبالعارض عنها " l'endogène et allogène أو حتى بتعبيرJ. Berque بالتقاطع الذي يحصل في ما بين الوافدين من الخارج والوافدين من الأعلى، بهذا المعنى فإن طلبة الاقامات الجامعية، يشكلون الوافدون الجدد على المدن والحواضر الكبرى التي تتواجد بها الجامعات، فينخرطون بذلك ضمن الجسم الاجتماعي العام الذي يعمر المناطق الحضرية، من هنا فقد بات مشروعا التساؤل حول أنواع المبادلات، التي تحصل في ما بين تشكيلتين اجتماعيتين مختلفتين من حيث الهوية المكانية، تشكيلة

---

[1]- Le financier, Mardi 11 Octobre 2011,N 1401

[2]- Filiatre, D. 1994 " Développement des universités et aménagement des territoires universitaires " p 63, dans F. Dubet et al. (Sous la dir. de) Université et Villes, Paris, L'Harmattan, coll. " villes et entreprises ", 318 p .

توصف "بالقريبة " و أخرى توصف " بالبعيدة "، فكيف يعقد الارتباط في ما بين الجانبين؟، ما هي أشكاله و كيف يمكن تشخيصه؟.

في الواقع تأتي أهمية الاقامات الجامعية داخل السياق الحضري، في كونها توفر بيئة خصبة تنتعش فيها عدة أنماط من القابليات الاجتماعية، التي تتطور ضمن مناخ المدينة الذي تتواجد فيه، فالطلبة المقيمون بالأحياء الجامعية وإن كان يجمعهم متغير الدراسة، و يوحدهم هدف الحصول على الشهادة، إلا أنهم لا ينتمون إلى نفس المرجعيات، و لا يطورون في ما بينهم نفس القابليات الاجتماعية، و ليسو على نفس الشاكلة، إننا أمام فئة حقيقية من " النظراء في المكان " Homotopie [3] لكن ليسوا بالأشباه مثلما يوهم ذلك اجتماعهم وقربهم من بعضهم على نفس البقعة [4].

فالتعدد و التنوع في المواصفات، هي القسمة المشتركة الجامعة في ما بينهم، يمكن أن نجد أثرها عندما تترجم إلي ممارسات و استعمالات مختلفة في المدينة، فمثلا من الطلبة الاقاميين من يجد في المدينة المجال الأمثل في الانتشار الحر، والاستفادة من البدائل المتنوعة التي يوفرها السياق المديني، فيطلق العنان لرغباته، باحثا في ذلك على مختلف المتع و أنواع الترفيه، البعض الآخر من الطلبة، يرى في المدينة مكانا مناسبا للدخول في الحياة الناضجة و النشاط المهني، إن فضاء الإقامة الجامعية يعج بالسير الذاتية الدالة على التجارب الحقيقية، ذات الصلة بالاندماج المهني والمجتمعي، ضمن السياق الحضري المحاذي لها، البعض الآخر من الطلبة لا يتوانى عن إدخال نشاطات جديدة في المدينة، ذات صلة بالحيز العمومي مؤكدا بذلك عن وجود و حضور، مكانة خصوصية لفئة الطلبة المقيمين، و ذلك من خلال التظاهرات العارمة الملفتة و المتعددة .

الأغراض و الأهداف، لهذه الأسباب و تلك، يمكن للإقامة الجامعية أن تكون موضوعا من مواضيع البحث الأكاديمي يبحث فيها عن أساليب العيش و نمط الحياة، التي لا يكتمل مشوار الدراسة إلا بها فالجوانب الذاتية المتعلقة بشخص الطالب المقيم على وجه الخصوص، من شأنها أن تكشف لنا كيف يخوض الطالب المتحول من بيت العائلة إلى بيت الإقامة الجامعية تجربة

[3] - أرض النظراء " homotopie "، يقصد بها الفضاء الاجتماعي الخاص بجماعة الطلبة الجامعيين، فهو عبارة عن مكان يجمع بين الاحتشاد العددي و التمركز المهني، انه فضاء للنظراء فقط بحيث تعيش فيه جماعة الطلبة بشكل منعزل، حول هذا المصطلح أنظر:

Ostrowski (S); Poggi (H)," L'espace Universitaire et la Ville, les enjeux sociaux de la localisation des espaces universitaires " in Espaces et Sociétés, 1996, N80-81, Paris, L'Harmattan, P75-100

[4] - في سياق مغاير و في حديثه عن مفارقات الديمقراطية في الجزائر و الفئات المجتمعية الناشئة في ما بعد الاستعمار الطويل في البلاد، ينبهنا J.Leca أننا أمام نظراء حقيقيين لكن أشباه و هميين فالمجتمع الجزائري بحسبه، هو مجتمع من النظراء و ليس من الأشباه، لقد استعرنا منه هذا المصطلح لتطابقه مع صفة التناظر و ليس التشابه المنسجمة مع تحقيقاتنا الميدانية أنظر J. Leca " Paradoxe de la Démocratisation. L'Algérie au chevet de la science Politique ", Pouvoirs, N86, 3 trimestres 1998, P.7-28.

النضج و" الاكتمال " في الشخصية، و ذلك من منطلق الفوارق المكانية التي تتيح له، أكبر قدر من الحرية و التخلص من الرقابة العائلية و العرفية، لكن تضعه أمام مسؤوليات جسيمة لا يتحمل في المحصلة نتائجها إلا هو.

3- الطالب موضوعا للحضرية:

يشير الحديث إلى طلبة جامعيين مقيمين، إلى مجموعة اجتماعية ذاتية ذات مواصفات خاصة، بمعنى عندما نود تشخيص هذه الفئة، فانه يتبادر إلى ذهننا المعاني المتتالية الآتية : نحن أمام مجموعات وافدة من مناطق شتى، من خارج المدن الكبرى و من والمدن المتوسطة، تأتي إلى المراكز أين تتواجد الجامعات و المرافق التابعة لها، مجموعات تنفرد بخصوصية سكنية ذات مكانة مؤقتة مجموعة محسوبة العدد متجانسة من حيث السن و النوع والهدف، تشترك في تقاسم العيش معا على مكان هو خاص " بالنظراء "، هم " الداخليون" بمعنى فئة معزولة مكانيا بشكل نسبي، عن المحيط الذي تتواجد فيه، تعيش بكيفية مكثفة وفق شروط إدارية محددة، وتنتظم داخل الاقامات الجامعية، في إطار منظمات طلابية منتخبة، والتي من مهامها الاهتمام والاعتناء بالمشاكل و الصعوبات الملموسة التي تعترض يوميات الطالب الداخلية وذلك بالتداول مع الإدارة، و تحقيق الاندماج النسبي للطلبة بالمدينة وذلك من خلال ترتيب نشاطات و رحلات و فعاليات مختلفة.

إن وجود الاقامات الجامعية داخل المدن و ما يحدثه من حراك، يشكل إسهاما حقيقيا على المستوى الحضري و الديمغرافي إذ يعتبر ذلك إضافة مهمة للنسيج العام الخاص بالمدينة، بهذا المعنى فان احتشاد الطلبة داخل الاقامات في حد ذاته، لا يغنيهم و لا يعزلهم عن استعمال المدينة، و الرجوع إليها فإذا ما استثنينا البعد الاقتصادي، حيث لا إضافة ملفتة تذكر للفئة الطلبة على المستوى الحيوي للمدينة فإننا لا يمكننا أن نتجاهل الانتشار الواضح والملموس لهذه الشريحة، فهي تطبع يوميات المدينة بسلوكياتها و ممارساتها المتنوعة، و عليه فان تعريف الطلبة من وجهة نظر مجالية، لا يمكن أن ينفك بحال عن كيفيات تعاطي المدينة، وعن استعمالاتها المختلفة من قبل هذه الفئة، لذلك وجب التفكير بجدية – وهذا في إطار مشروع البحث –، عن العلاقة التي تربط الجامعة و مرافقها المختلفة بالمدينة وطرح الأسئلة التالية: هل يمكننا الحديث عن الاقامات الجامعية، بمعزل عن الحياة المدنية و عن الحضرية التي تلف مختلف " السكنات الطلابية " [5] ما يجعلها تدور في فلكها؟.

[5] - السكن الطلابي أو البيت الطلابي، مصطلح ظهر لأول مرة في فرنسا ضمن " المخطط الاجتماعي للطالب " و ذلك سنة 1991 من قبل المنظمات الممثلة للطلبة، باستثناء الاتحاد الوطني للطلبة في فرنسا: بيت الطالب يجمع في نفس المكان الأنشطة و الخدمات الموجهة للطالب. حول هذا المفهوم أنظر

Zetlaoui (J); " Les maison de L'étudiant : futur lieu de vie universitaire ou nouveau produit immobilier? ", in Espaces et Sociétés, 1996, N80-81, Paris, L'Harmattan, 121-138.

أليس الغرض من انتشار الجامعات و الاقامات الجامعية، في صميم المدن يعد مكسبا حقيقيا للطالب يمنحه " الحق في المدينة " [(6)] ، و أن إخراج الاقامات الجامعية من المدن، يعد إجحافا وعدم اعتراف بهذا الحق، بالأخص لدى الطلبة المعوزين؟ هل ثمة هيمنة ما تمارسها المدينة على الجامعة، أم أن الهوية الحضرية للجامعة، تقتضي منها تبادلا ما مع المدينة؟، نعتقد أن أي إعادة لصياغة مفهوم الطالب من جديد، يقتضي الجواب على هذه الأسئلة، ذات الطابع المجالي و التي تتدخل بشكل مباشر في بناء شروط وجوده [(7)] .

3- الإقامة الجامعية بوابة الطالب نحو المدينة:

تختلف الحياة الحضرية من حيث المبدأ عن حياة القرى و الأرياف و ذلك في قدرتها على ابتلاع مختلف السلوكيات و المعتقدات و القيم المتجانسة و الغير المتجانسة، حيث تحولها وتترجمها إلى ممارسات ذات ديناميكية ينشط فيها التنوع و التبادل السمح، إنها فضاء للغيريات يعتمد مبدأ التضامن العضوي القائم على تقسيم العمل و التخصص فيه، و من ثمة فان شرط الاندماج في فضائها معياره الكفاءة و الأهلية و للاشخصانية و بالتالي الاستحقاق فهي بذلك تقطع الطريق على الموروثات التقليدية و التضامنات الميكانيكية العتيقة، بل تقوم بتفكيك روابطها و علاقاتها الطبيعية و تعيد تركيبها على أساس يتجاوب مع قيم الثقافة المدنية الفر دانية الحديثة [(8)]، من هنا تأتي أهمية الجامعة التي تعتبر عتادا لازما و أساسيا ليس فقط على مستوى

[6] - في نقده للحضرية الوظيفية تحت عنوانها السياسي، و ما تمارسه من سلب للقوة عمل الطبقة الشغيلة وإسكانها في أماكن مهمشة و مقصاة من الممارسة الحضرية، في نفس الإطار يضيف Lefebvre " أن إخراج الجامعة من المراكز الحضرية يسهم بكثير في معاقبة الطلبة خصوصا المعوزين منهم، بحيث لا يصبح لهم أي حق في المدينة " ص ، أنظر:
Lefebvre (H)? 1973, Le droit à La ville, Paris, Anthropos, 135 P .

[7] - حول العلاقة التي تجمع بين المدينة و الجامعة يرى Philippe Genestier أن الجامعة والحضيرة منذ العصر القديم الكلاسيكي – كانت تسمى آنذاك بالحديقة، أنشأها Epicure سنة 300 ق.م – شهدتا علاقة متلازمة لا يصلح معها فصل الواحدة عن الأخرى، لقد اطلعت الجامعة منذ اللحظة الأولى بوظائف تربوية في الحضيرة و المشاركة في الحياة المدنية، حيث تعد هذه المسألة من المكونات الأساسية للفضاء العمومي... إن الثقافة العارفة هي أيضا إحدى الوسائل الضرورية للحياة السياسية الديمقراطية القائمة على المناظرة و المحاججة لذلك يمكن تسمية هذه الحالة باسم " مثالية التربية عن طريق الحضيرة، إن مشاركة و مراكمة العناصر المذكورة أعلاه هو من أدى في النهاية إلى تشكل التعليم العالي و أعطاه مؤسسة تبلورت في ما بعد في المؤسسة الجامعية "، أنظر:
"L'université et la Cité" Espace et Société, in Philippe Genestier Ville et Université, N80-81 1-2/1996,Paris édition L'Harmattan,21-46.

[8] - أستدرك و أقول، أن الحياة الحضرية الممجدة للنزعة الفر دانية على حساب نزعة الجماعة لا تنطبق إلا على التاريخ الحضري الغربي بشكل أساسي، يمكن الإشارة هنا إلى كتابات ماكس فيبر، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر كتابه
Ethique économiques des religions mondiales
أو حتى إلى كتاب كوكس الذي يحمل عنوان La Cité Séculière حيث يؤسس هذا الكاتب للمفهوم المجتمع الحضري الذي لا يعتمد إلا على علاقات القوى و الجهد البشري الخالي من أي بعد روحي، أما في حالة المجتمعات العربية أو المغاربية تحديدا، فان النموذج الحضري يبدو جد مختلفا، إن جاك بارك من وجهة نظري يعد أفضل شاهد على تطور الحضرية المغاربية و التي تتسق في تقديرنا مع مواصفات المدينة الجزائرية الراهنة، ففي مقاله " المدينة و المدينة الجديدة و مدن الصفيح "، يؤكد بارك في نقاط نجملها على النحو الآتي على تمازج الشكل الفر داني بشكل الجماعة .
1) يتشبث انبناء المدينة المغاربية بالبعد الرمزي و ألعلاماتي، حيث يعد المسجد فيها شاهدا (علامة) و منطلقا لكل عملية مد وزجر اجتماعية،2) استمرار ألوان القرابة والعائلة التي تشكل جزء هام من جسم المدينة العتيقة، 3) حضور البعد الجدودي (من الأجداد) الذي يفرض تعليماته الصارمة في مجال البناء و امتلاك العقار،4) ضف إلى ذلك أن صفة التمدن

التعددية المؤسسية التي هي سمة من سمات كثافة العمران الحضري و تنوعه، إنما كذلك كحاجة ضرورية تعتمد عليها المدينة في تحضير و تمدين مواطنيها إنها بذلك- أي الجامعة- تطلع بدور ريادي حقيقي يسهم في تعليم روادها من الطلبة كيفيات العيش معا داخل الحياة الحضرية.

إن الجامعات و الاقامات التي تحوي جموع الطلبة التابعين لها تعد البوابة المشروعة لتدفق هذه الشريحة على المدينة حيث تسمح لهم بالدخول إلى الحياة الاجتماعية والثقافية و كذا المهنية، و تضمن لهم حضور مميز في المدينة، و تفتح لهم المجال للدخول في نشاط و حركة و علاقات وروابط مختلفة داخل النسوج الحضرية، من هنا يمكننا القول أن الجامعة و المدينة ككيان و التعليم العالي و التحضير كمعيار و سلوك، مكونين متلازمين لا يصلح أحدهما بمعزل عن الآخر [9]، بحسب هذا المنظور يحق لنا أن نتساءل: ماذا يترتب عن انتقال الطالب إلى المدن (مقر و جود الجامعات و الاقامات) حيث يفدون من القرى و الأرياف أو حتى من المدن الداخلية المجاورة، تاركين ورآهم عائلاتهم و أوساطهم الإقليمية؟، ألا يعد تحولهم في المكان امتحانا حقيقيا لمخزونهم القيمي و التضامني بالأخص عندما يحتكون و يتفاعلون مع الوسط الجامعي و المديني بشكل عام؟. ألا يترتب عن التحول في المكان تحولا في العلاقات و الروابط، فتنشأ بذلك " مدنيات " civilité جديدة ؟ .

ضمن هذا السياق تستند إلى إحدى الخواص الاجتماعية المندمجة بالمدينة العتيقة والمتمثلة في الانتماء، إما لفئة الحرفيين أو فئة التجار أو المنتسبين إلى العلم الشرعي.

هذه المواصفات تجعل من المدينة و هي تتجه نحو المستقبل، في علاقة اكتضاض و تزاحم من جهة، مع المدينة الجديدة ذات الطابع الرأسمالي القائم على البورصة و صناعة التكنولوجية والعمران الحديث، ومن جهة أخرى، مع تداخل بنايات الصفيح والمجمعات العفوية، فمن بين المدينة العتيقة و المدينة الجديدة و بيوت الصفيح إذن، انبثقت الحشود بالمدن المغاربية. إن البلدية في هذا الإطار، هي غطاء يحتدم في كنفه بشكل غير مكتمل القرابات العصبوية الممتدة حيث استوطنتها السلالات، فالدولة فيها إما عتيقة أو استعمارية أو وطنية، ألصقت بالنهاية بأحد النموذجين المورفولوجيين المذكورين هنا يكمن اليوم تحدي المدن، أنظر:

Berque (J), " Médinas, Villeneuves et bidonvilles " in OPERA MINORA - 2 - Histoire et Anthropologie du Maghreb, Présentation de Gianni Albergoni, Edition, Bouchene, p238-272.

9 - في مقاله المعنون باسم " الطلبة و أقاليمهم "، تتحقق Felonneau (M) من فرضية بحثها التي تقول " بأن العلاقة مع المدينة تعتبر مكونا أساسيا من مكونات تشكل الخبرة لدى الطالب فأساليب تملك المجال لديه، تعد جزء لا يتجزأ من تعريف ذاته، إن تكثيف الاتصال المشترك من قبل الطلبة لأماكن معينة في المدينة بشكل طقوسي، هو في هذا المعنى تعبير عن انتماء إلى جماعة موحدة، جماعة تظهر في أماكن و في أوقات معينة و تختفي في أخرى

أنظر: Felonneau Marie-Line 1994 " les étudiants et leurs territoires " Revue Française de Sociologie, Vol 25, 533-559.

3) الطالب و المدينة / أوجه الاستعمالات:

يشترك جمهور الطلبة (الداخليون منهم و الخارجيون) في انتمائهم إلى مرجعية قانونية موحدة[10] هي في الأصل عبارة عن قيود و معايير تتصل مباشرة بمشروعهم الدراسي لذلك فهم محكومون مطلقا بقواعد ولوائح التسيير و التنظيم التي تضبط مسار تكوينهم و تأهيلهم هكذا هم إذن على مستوى علاقاتهم الداخلية الحصرية بالدراسة، فهم بهذا المعنى تابعون وخاضعون ملزمون بالانصياع للصفة المعيارية التي تتميز بها مؤسسة الجامعة و كذا إقامة الطالب الجامعية، لكن هذه التوصيفات سرعان ما تتلاشى و تذوب و ذلك عندما يتجه الطالب نحو المدينة و إلى مختلف نقاطها الحضرية تاركا ورائه الجامعة و اكراهاتها، حيث يتحول إلى شخص حر طليق ومستقل في سلوكه و ممارساته لا يضبطه في ذلك سوا وعيه بذاته.

إن الطالب وفق ما تقدم، هو عبارة عن ذات مقيدة و خاضعة، لكن من جهة أخرى هو ذات حرة ومستقلة، هو تابع لمؤسسة تكبله بمجموعة من الشروط و المعايير و ذلك قصد تكوي وتأهيله لكن في ذات الوقت هو موجود في وضع حضري مفتوح يدعو للتحرك بكل أريحية واستقلالية واسعة، نحن إذا أمام إشكالية حضرية حقيقية تختص بمكان الطالب وبوضعه و لعل ما ذكره P.Merlin يشير بوضوح إلى هذه المسألة، إذ يقول " إن مكانة الطالب لا تعني فقط مرحلة نهائية من التكوين، إنما أيضا تعني الدخول إلى المدينة و تعلم عالم جديد بحكم التجربة و الاتصال المباشر بالطلبة، فان هذه الشريحة الشابة بالعموم لا تبدي رغبة كبيرة أو منافسة على قاعة المحاضرات لتلقي التعليم و التكوين، فإذا ما استثنينا الأعمال التطبيقية، حيث يعد الحضور إليها ملزما و إجباريا، عدا ذلك فهم يقضون جل وقتهم، إما في التجوال داخل باحات الجامعة أو يكثرون الحركة و النشاط في الأماكن الحضرية المجاورة له [11]، فثمة انجذاب حقيقي نحو الأماكن العمومية و رغبة جامحة في الانتشار الحر، تطغى كثيرا على مجرد تلقي الدروس و كتابة المحاضرات، فالطالب أسامة 21 سنة السنة الثانية قسم علم الاجتماع يقول " أنا أجد نفسي كارها في الجامعة أنتظر التخلص من الأعمال التطبيقية لأذهب مع أصدقائي إلى وسط المدينة حتى نرفه على أنفسنا ".

10 - أنظر دليل الطالب، 2011-2012، و زارة التعليم العالي و البحث العلمي .

11 - يعزز هذه الملاحظة الدراسة الإحصائية الخاصة بتطور التكوين الجامعي في نظر المعيدين، بحيث تذكر الدراسة إن أزمة الجامعة اليوم تعود بالرجة الأولى إلى الاكتساح الواسع من قبل الطلبة لهذه المؤسسة، حيث عبر عن ذات الموقف ما نسبته 55.22 % من المعيدين في المرتبة الثانية تأتي عدم الرغبة في التحصيل الدراسي و التحفز لذلك، حيث عبر ما نسبته 41.79 % من المعيدين عن هذه الملاحظة، يعود السبب في ذلك إلى عدم التوازن الموجود في مابين سوق العمل و التعليم العالي، أنظر: Atfa. M, Abla. R, " Massification a L'Université et Qualité de L'Enseignement ", LAPSI, N7, Décembre 2010, P.143-16، في ذات السياق المتصل، وحول مسألة ضياع المعالم و فقدان التوازن وكثرة التغيب و الفشل الدراسي لدى طلبة السنة الأولى جامعي، أنظر أيضا: Remaoun. N, " Les Etudiants de Première Année ", Les Cahiers de CREAD, N56/60, 1 et 2 Trimestre, 2002, P. 285-253.

إن الفضاء الحضري يوفر فرصا غير منتهية من العلاقات و الإغراءات و المغامرات والتي من دون شك لها تأثيراتها البالغة على اهتمامات الطالب و على ترتيب أولوياته، تجدر الإشارة هنا أن تأثيرات المكان لا تقتصر فقط على تغير يحدث في الوجهة و في الإطار الاجتماعي، إنما تتسع لتشمل تحولا يحدث على مستوى عادات و أسلوب حياة الطالب فبعد ترك العائلة و الدائرة المحيطة به والمكان الذي وفد منه يجد الطالب نفسه مضطر في وسطه الجديد أن يبحث عن شبكة اجتماعية جديدة ينظم بواسطتها حياته و أوقات راحته و فراغه بمعنى آخر يصبح هاجس التكيف و الاندماج الاهتمام الأول الذي يؤرق الطالب و هو يخطوا خطواته الأولى في عالمه الجديد.

من هنا نتساءل: كيف يمكننا وصف أول اتصال للطالب بالمدينة ؟، كيف سيواجه ظرفه الجديد؟، في الحقيقة إن البدايات الأولى لطالب في المدينة، تندرج ضمن فعل التمرن على المجال الحضري فيكتسب أساليب و كيفيات تمكنه من استعمال ملائم للمكان، إن نشاط التعرف على المدينة في هذا الإطار يأتي بغرض التحكم في الوسط العام الذي سيتحرك فيه الطالب و ينتشر إذ لا يوجد أسوء من " اختلال البوصلة " و ضياع المعالم و عدم التحكم في صورة المدينة وأماكنها المقصودة، يوضح Lynch هذه المسألة فيقول: " إذا ما وقع من سوء الحظ وضللنا الطريق، فانه سيصطحبنا القلق والخوف بسبب هذا الضياع، هذا يكشف بعمق عن مدى ارتباط مشاعرنا بالتوازن و بالتموقع الجيد، إن كلمة الضياع في لغتنا لا تعني سوا عدم التأكد الجغرافي إنها كلمة جامعة لكل المصائب " [12].

على هذا النحو تتموضع تجربة الطالب الجديد، فهو عندما يحل بالمدينة ليقيم في أحد " أحيائها الجامعية "[13] يأتي و معه موروثه الثقافي و الذهني وشيفراته و معالمه التي نشأ عليها طيلة حياته بمعنى آخر يأتي وهو يحمل معه ماضيه العائلي والإقليمي فأول ما يبدأ الاتصال بالمدينة و بوضعه الجديد يبدأ وبعقد المقارنات بين ما عاشه ودرج عليه و بين ما سيعيشه و يتعود عليه فيبدأ بتحديد النقاط و المعالم المكانية ويتعرف على الزملاء و النظراء و ذلك من أجل ضبط هامش تحركه في المدينة، في هذه المرحلة الأولى عادة ما يكون مكان الجامعة و مكان الإقامة و بعض النقاط في المدينة التي يتردد عليها الطالب في قضاء حوائجه، هي العناصر الأولية التي تتدخل في تشكيل سلوكه الحضري.

يقول فتحي 22 سنة، السنة الثانية علوم سياسية من جامعة سيدي بلعباس،" في البداية كانت معرفتي بالأماكن جد محدودة، كان مقر الإدارة وقاعات الدراسة في الجامعة و الحجرة في الإقامة، و مقر البريد و المسجد أو المقهى، هي أقصى ما أعرفه هنا في المدينة، فلقد غامرت ذات يوم وخرجت أمشي لوحدي في البلاد، أجوب شوارعها وأزقتها، أنظر إلى الناس وإلى المباني والمحلات، لكنني سرعان ما وجدت نفسي تائها وبعيدا على مقر الإقامة، لقد كان الوقت حينها متأخرا، فلم أنجوا من هذه الورطة إلا بسؤال من أصادفه من المارة، حيث كانوا يوجهونني تدرجيا إلى أن عرفت المكان بحمد الله و عدت إلى مقر الإقامة لكن

12 - أنظر، Felonneau (M) ص 536.

13 - أنظر هذا المصطلح في، Philippe Genestier، مرجع سبق ذكره، ص 21-46.

هذه التجربة أفادتني كثيرا، لقد تعلمت بفضلها عدة أماكن وعدة أسماء بت استرشد بها كلما أريد التحرك بعيدا عن الحياة الجامعية ".

إن علاقة الطالب بالمدينة في البداية هي علاقة استطلاعية و استكشافية للمكان، لكن هل سيدوم هذا الوضع لديه طويلا؟، من دون شك لا، فعامل الزمن و تعاقب الوقت كفيلين بتلاقي هذه العلاقة " الطفولية " [14]، إذ ستتسع المدركات المكانية لدى الطالب، فيتحرك بكل سلاسة وبكل مرونة أين ما يريد و يرغب، في مثل هذه المرحلة و بعد اختبار الوضع الجديد يتحول الطالب من مجرد مكتشف ومتلمس للنقاط و المعالم التي تعود التحرك فيها، إلى فاعل حقيقي ذو إرادة يسعى إلى المشاركة من خلال الممارسات و النشاطات المختلفة حيث تتوطد روابطه أكثر بالمجال الخارجي، فيتحول " الإنسان الأكاديمي " الذي يفترض أن تحكمه برامج الدراسة واستغلال الوقت داخل الجامعة بين الكتب و الأبحاث، إلى شخص مزدوج نصفه طالب ونصفه مدني، إن اقتحامه للعالم الشغل و السعي نحو الكسب و التربح، مع التشبث في ذات الوقت بهويته الطلابية مؤشر واضح يدل على هذا المعنى "فالطالب القابض " في الحافلة و " الطالب الموزع " في محطة الوقود و " الطالب الخادم " في مقهى أو مطعم والطالب " النساج للحديد في أشغال البناء " و " الطالبة الحلاقة "، أو المشتغلة في دكان بيع أدوات الزينة و التجميل كلها عناصر ملموسة، تعبر على هذه الهوية المزدوجة .

فتوفيق 24 سنة، السنة الرابعة علوم اقتصادية، يقيم بإقامة 1000 سرير يقول " أنا والدي يعطيني 500 دخ كمصروف شهري ماذا عساني أن أعمل بها!!، لذلك اضطررت الاشتغال في أعمال البناء وذلك بفضل وساطة أحد الزملاء، الذي يشتغل والده مقاولا في مثل هذا الميدان، فضمني إليه في نفس المهنة، حيث أقضي فيها في أغلب الأوقات نصف اليوم أتقاضى مقابل جهدي 60 ألف دينار "، لكن كيف يوفق توفيق بين وقت العمل و وقت الدراسة، يجيب قائلا: " أستغل أحيانا أوقات الفراغ وأحيانا أخرى أفضل الاشتغال على حساب الدراسة و الأعمال التطبيقية، ضف إلى ذلك، أنا أستغل الظروف الرخوة التي تتسم بها الجامعة، فأبرر غيابي باستعمال الشهادات الطبية وبالتوسل إلى الأساتذة الذين يتعاطفون مع ظروفي " .

في نفس المعنى يتحدث عبد الله 20 سنة، السنة الثالثة علوم التسيير، يقيم بإقامة 1000 سرير، " أنا مكرر للسنة بسبب مقياسين اثنين، لذلك أستغل سعة الوقت في الاشتغال في النقل الحضري، حيث أعمل في اليوم ثماني ساعات أتقاضى مقابلها

---

[14] - بحسب Piaget (J) في تصنيفه للمفاهيم الأساسية التي تضبط علاقة البشر بالعالم فان التصورات الأولى التي تسمح للطفل بتمثل المجال و الدخول في علاقة معه، وذلك ضمن ثقافة معينة، تنتسب إلى المنظومة التوبولوجية، و هذا حتى قبل أن يبدأ الطفل تدريجيا في بناء تجربة ملموسة تمكنه من التحكم في وسائل المجال و قياساته الاقليدية، أنظر في هذا المعنى

Roselyne de Villanova, 2007, Conjuguer la ville, p287, Paris, Edition Gallimard 335p.

80 ألف دينار، أما عن دراستي فهي لا تهمني كثيرا فعادة ما أحصل على المجموع المؤهل من النقاط، بطريقة الاستدراك "، آمنة هي الأخرى طالبة مقيمة .

في إقامة 1500 سرير، 21 سنة، الثالثة بيولوجية، تشتغل في محل بيع أدوات التجميل، تقول " بفضل أختي المتزوجة هنا (أي المدينة الجامعية)، استطاعت أن تزكيني لدى صديقتها صاحبة المحل أين أصبحت أشتغل لديها في الأوقات التي رتبتها بحسب استعمال الزمن الدراسي، تعطيني في اليوم ما مقداره 50 ألفا دينارا، بهذه الكيفية استطيع أتدبر مستلزماتي اليومية "، من الواضح هنا أن سنوات الإقامة والخبرة الدراسية قد أنتجت لدى الطالب تغيرا ملحوظا على مستوى علاقته بالمدينة، بحيث تطورت ممارساته بشكل نوعي و هذا بفضل اتصاله اليومي بالإقامة وبالجامعة وبالمدينة على حد سواء، يظهر ذلك جليا من خلال سنوات الدراسة الطويلة، حيث يتعلم الطالب فيها كيفيات التأقلم والتكيف ليس فقط مع برامج التعليم والامتحانات و استعمالات الزمن، إنما أيضا يتعلم كيف يتكيف مع المدينة الكبيرة والإقامة الجديدة و كيف يتغلب على الصعوبات المادية فيها.

بناء على ما تقدم و استنادا على تجربتنا في الميدان، فانه يمكننا القول أن علاقة الطالب الجامعي المقيم بالمدينة لا تخرج في مجملها عن أربعة أصناف و هي على التوالي:

1) علاقة رومانسية حدثية juvénile تعانق صالونات و مقاهي و قاعات الحفلات في المدينة، حيث يصبح المغني و"الفنان " والأماكن الشهيرة بمثابة مراجع أولية لطالما حلم الطالب برؤيتها وملاقاتها وهو يدرس في مرحلته الثانوية.

2) علاقة آنومية اغترابية تنتج بعد اصطدام الطالب بالضوضاء والحركة المكثفة و الإيقاع المتسارع للأحداث و مشاهد الفخامة و تنوع النشاطات التي تتسم بها المدينة، مقابل الشعور بالعوز وضيق ذات اليد و قلة الحيلة، كل ذلك يجعل علاقة الطالب بالمدينة علاقة عبور لا يمكث عندها طويلا، حيث يكتفي منها بالإقامة أو قاعات المحضرات والمكتبات المتواجدة في فيناء الجامعة، فشؤون الحياة الحضرية لا تعنيه إلا بالقدر الذي يحقق منها حاجياته الضرورية، لذلك تقل حركته و نشاطه فيها.

3) علاقة دينية حيث تشكل المدينة فضاء خصبا للطلبة المتدينين – خصوصا ذوي الذقون والأقمصة والمحجبات والمجلببات – بحيث تتيح لهم ملاقاة المشايخ و الدعاة و على نظرائهم من سكان المدينة والذين هم على نفس مذهبهم أو جماعتهم، فتنشأ في ما بينهم علاقات ومبادلات يكون المسجد فيها حجر الزاوية، تتبلور في ما بعد إلى أنشطة و حراك يظهر أثره جليا على مستوى الاقامات و الحياة الجامعية ككل.

4) علاقة نفعية ناضجة تسعى إلى تحقيق اندماجا مهنيا واجتماعيا داخل المدينة فمزاولة التكوينات في مجالات شتى خارج إطار الجامعة والقيام بأنشطة مهنية أو حتى تجارية أكبر دليل على ذلك.

مقدمة:

إن تحليل أشكال الاتصال بالنطاق الحضري، من قبل الطلبة العابرين للمراكز و المدن يتطلب فهم الوضعيات الجزئية المسترسلة دونما انقطاع أو انتهاء، ذلك أن لملمة شتات الصور المتنافر منها والمتآلف، و استجماع ما تفرق في الدروب المختلفة و إعادة بناء مشهده بما تقتضيه واقعية ووضعية والفعل الممارس على الأرض، هو شأن أنثر وبولوجي بامتياز[1] بإمكاننا أن نذكر هنا ببعض الأعمال التي انطلقت من هذا الطرح، ففي تحليله لأنماط امتلاك المكان أكد Althabe مثلا، أن المعرفة الأنثروبولوجية في مثل هذا الباب، تبني نجاعتها من الاهتمام الذي توليه إلى مفهوم الوضعيات[2] باعتبار هذه الأخيرة " حصصا تكبل فعل الفرد فلا تجعله السيد الوحيد على ممارساته ونشاطاته " .

وعليه فان السلوك الداخلي في الحواضر ما هو في الحقيقة، إلا نتاج الوضعيات المتوالدة باستمرار والتي يتواجد ضمن حضنها الشخص، فأثر الأماكن المعقدة و انبنائها على ثقافة الاتصال الكثيف والمتناقض، لا يمكن إبعاده أو عزله عند تحليل كيفية تواجد الطلبة في مثل هذا السياق، فبحسب الوضعيات المفتوحة و المرنة في المجال الحضري، يمكننا رصد و تثبيت أشكال التبادل و التباين في ما بين المجالي والاجتماعي على الأرض، لنرى كيف تتشكل هذه الوضعيات على " الطبيعة " .

1) التمرن على الحياة الحضرية:

بالاستناد إلى جماعة الرفاق، بالأخص أولئك الذين ينتمون إلى نفس الجهة الأصلية التي وفد منها و بالعودة السريعة مع عطلة نهاية الأسبوع إلى البيت و إلى الأهل، و لقاء الأقارب والأصحاب في

الحي الأصلي، يستهل الطالب المبتدئ المقيم مشواره الدراسي، في مثل هكذا بداية فان علاقته بالمدينة يمكن أن توصف بالمحتشمة و الضعيفة نسبيا – هذا على الأقل مع بعض الحالات المحقق معها إلى الآن -، ذلك أن مجال ظهوره و حراكه لا يتعدى في هذه المرحلة، مكان الدراسة أو مكان الإقامة وبعض النقاط المحيطة بها، أو بعض الأماكن المحدودة بوسط المدينة، في مثل هذا الوضع المبتدئ يعيش الطالب الجامعي المقيم نوعا من المواطنة، يمكن أن نطلق عليها هنا وصف " المزدوجة "[3] ، حيث يكون الإقليم الأصلي والإقليم الجديد مسرحا رئيسيا لها، الإقليم الأصلي و ما يمثله من روابط حميمية و شعورية تتصل بالأهل

---

[1]- Affergan (F), (sous sa direction), 1999, construire le savoir anthropologique, P 16, France, P.U.F, 144 P.

[2]- Althabe (G)-Hernandez (V.A), " implication et réflexivité en anthropologie ", Journal des anthropologue, N 98-99, 2004, PP 15-35

[3] - من وجهة نظر أنثروبولوجية فان مفهوم المواطنة يقع في نقطة التقاطع التي تلتقي فيها الأشكال الفيضية " le holisme " بالأشكال الفر دانية، في هذا المعنى يقول M. Abéles " إذا ما سلمنا أن المواطنة هي كيفية أصلية في التهيئة و في الاستقطاب بين مفهومي الفيضية و الفر دانية، فانه ينبغي علينا أن نعطيها مضمونا يسمح لنا بأن نقترحها كمقاربة نفهم من خلالها هذا الاستقطاب" ص74، أنظر ذلك في:

و بالأصدقاء القدامى، و الإقليم الجديد حيث تتواجد الجامعة و المدينة و أسلوب الحياة المختلف، أين يتمرن الطالب المقيم على الاستقلالية و تحمل المسؤولية الشخصية. بين هذه الازدواجية المكانية و كيفيات التردد عليها تبنى شخصية وهوية الطالب المقيم و تظهر لديه نوعية جديدة من الروابط و القابليات الاجتماعية، لنرصد هذه الوضعيات على الأرض ونرى أنماط تطور الطالب بداخلها .

فالهام 21 سنة، السنة الثالثة علوم اقتصادية ساكنة في إقامة 2000 سرير، تحكي عن تجربتها الأولى في الإقامة فتقول: " بعد حصولي على شهادة الباكالوريا، أدركت حينها أنني سأذهب إلى الجامعة، لقد كنت جد مترددة و خائفة، كيف سأترك بيتنا و أنا لم أفارقه طيلة حياتي!!، كيف سأواجه الوضع الجديد بعد التغرب عن البيت؟، أي أناس سألاقي أي عقليات سأصادف ؟، هل سيفهمونني أم لا، هل سأتأقلم أم لا ؟، مع من سأتقاسم الحجرة ؟، لقد كنت جد متردد و محتارة، و بعد تشجيع وتحفيز من الأهل، حزمت أمتعتي وقرر أخي مرافقتي والذهاب معي إلى ولاية معسكر، التي لم أكن أعرفها من ذي قبل، سجلت في الجامعة سنة أولى علوم اقتصادية، هنالك تعرفت على فتاة ترتدي الجلباب، تبين أنها من ولاية تيارت أي من نفس البلد الذي أتيت منه، كانت تسجل معي في نفس التخصص، اتفقت معها على أن نسكن معا في نفس الحجرة، بعد إتمام كل الإجراءات اللازمة، رجعت إلى بيتنا و لم أعد إلى الجامعة إلا بعد شهر من انطلاق الدروس، لقد كنت جد خائفة فأنا لأول مرة أبتعد عن الأهل .

لقد كانت أيامي الأولى حينها جد صعبة، فلم أكن أفارق الحجرة إلا في وقت الفطور والعشاء عندما كنت أتوجه إلى المطعم، ثم أمكث قليلا من الوقت بعد ذلك مع زميلتي في فناء الإقامة أنظر فيه إلى الطالبات و إلى سلوكهن، لم أستطع في بداية الأمر أن أستوعب هذا الوضع الجديد، حيث تنتشر الفوضى في كل مكان، في المطعم وفي الجناح ،و في جوار الحجرة لذلك كنت كثيرة التردد على بيت أهلي بالأخص في السنة الأولى، بحيث كانت أقصى مدة أقضيها في الإقامة لا تتجاوز الخمس عشرة يوم كنت كثيرة التغيب عن فصول الدراسة ". هذا عن الحياة الداخلية للإقامة لكن ماذا عن خارجها ؟.

تقول الهام " في البداية لم أكن أخرج من الحي إلا للضرورة، كنت أوقف سيارة أجرة مع زميلتي وأطلب من صاحبها، أن يتوجه بنا إلى وسط المدينة، لأذهب إلى المحلات دونما تمييز، و أشتري منها ما يلزمني من المواد الضرورية، ثم أقفل راجعة إلى الإقامة، لكن بمرور الوقت و بفضل المقيمات القديمات استفدت الكثير من خلال مجالستهن و الحديث معهن، حيث أبلغوني أن النزول إلى المدينة لا يستدعي أخذ سيارة أجرة بل بالإمكان الترجل، فالمدينة ليست ببعيدة، لقد ترافقت معهن في ذات عطلة من

Marc Abéles, Henri-Pierre Jeudy, 1997 Anthropologie du Politique, Paris, Edition Armand Colin,282 P

أنظر: أيضا لوي ديمون، 2006 مقالات في الفردنة منظور أنثر وبولوجي للأيديولوجية الحديثة، ترجمة د. بدر الدين عركوكي ،مركز دراسات الوحدة العربية: ط1، بيروت 390 ص.

عطل الأسبوع، تعرفت بواسطتهن على المسلك السهل و السريع الموصل إلى وسط المدينة، كما تعرفت على الحمام و على السوق العام، أين يمكنني شراء حاجياتي الضرورية، و كذلك على محلات الملابس و على الحديقة العامة، فالآن بإمكاني أن أتنقل بمفردي

إن استعمال المدينة بالحد الأدنى من قبل هذه الشريحة من الطلبة يبدو سلبيا، ذلك أن الاتصال المحدود و الهزيل بالأماكن، – مثلما تشير الكلمات المذكورة أعلاه — كالحمام والسوق العام و محلات الملابس، لا يشي بوجود رغبة حقيقية في الانخراط بالمجالات التثقيفية المختلفة، التي يعج بها فضاء المدينة، ضف إلى ذلك أن مخيلة الطالب المبتدئ – المحقق معه – مشحونة بصور قبلية عن المدينة و الجامعة و عن الاقامات التابعة لها، الشئ الذي يجعله يحجم عن إطلاق العنان لتصرفاته و تنقلاته داخل الفضاء الحضري الجديد بالنسبة إليه، في هذا المعنى تقول نصيرة 19 سنة، السنة الثانية علوم دقيقة من إقامة C3 .

" قبل مجيئي إلى هنا، كنت أسمع الكثير عن الجامعة و ما يحدث في الاقامات، و عن السمعة السيئة التي تتصف بها هذه الأخيرة لدى الناس، لقد حذرني الكثير من الأقارب والأصحاب قبل رحيلي إلى وهران، وذكروا لي أن هذه المدينة صعبة جدا فاحذري مغرياتها فقد تؤدي بك إلى الهاوية...!! "، وعن سؤالنا لها إذا ما كانت تشارك في النشاطات الثقافية خارج نطاق الإقامة التي تنظمها المنظمات الطلابية، أجابت نصيرة قائلة: " لا أنا أرفض تلك النشاطات مطلقا، فمثلا الرحالات التي ينظمها الطلبة هنا إلى شواطئ البحر، أو إلى الأماكن السياحية عادة ما تكون مختلطة بشكل فاضح، فلو قدر الله و حدث حادث في الطريق وأصبت فيه ماذا عساني أن أقول لأهلي؟، ماذا أجيبهم إذا ما سألوني، هل أرسلنا كي لتتعلمي وتدرسي أم لتتسلي وتلعبي؟ أليس في هذا الفعل، خيانة للثقة ؟!! لا يشرفني حقيقة أن أقع في مثل هذه المواقف "، للإشارة إن التعاطي السلبي – مثلما أسميناه — للمدينة ليس حكرا على الطالبات البنات المبتدآت وحسب، بل نفس الملاحظة سجلناها على الطلبة الذكور لكن بأسباب وظروف مختلفة، إن القعود داخل الإقامة لأطول وقت ممكن، و ترك التجوال وللقاءات داخل المدينة غالبا ما يسنده الطلبة " المنطوون " على أنفسهم داخل الحيز الاقامي إلى الأسباب المادية و أحيانا إلى الأسباب الثقافية .

عبد الهادي 21 سنة، السنة الثانية حقوق يقول، " عدا الدراسة في الجامعة، فأنا أقضي جل وقتي داخل الإقامة، لا أتحرك كثيرا، و هذا راجع إلى ظروفي المادية، فالخروج يعني إخراج المال، فلا أريد أن أقع في حرج و أنا أتجول مع أصدقائي أو أجلس معهم في المقاهي أو في محلات الوجبات السريعة، لأن ذلك يضطرني للدفع المال على نفسي و أحيانا على أصدقائي
و أنا لا أستطيع ذلك حقيقة، لذلك أفضل البقاء داخل الإقامة وعدم الخروج إلى المدينة، فلا أحب أن يمن عليا أحد بنقوده فيدفع لي ثمن القهوة أو ثمن النقل "، لكن لفريد 20 سنة، السنة الأولى علوم تجارية، أسباب أخرى فهو يقول، " إن تفضيلي البقاء داخل الإقامة بدلا من الخروج و التجوال في المدينة معسكر، سببه يعود إلى قلة المرافق الترفيهية، و نظرات الناس التي تشعرك أن أجنبي (براني)".

يبدو مما تقدم، أن جزء من الطلبة حديثي العهد بالجامعة و بالإقامة، لا يستطيعون تسجيل حضورهم في الوسط الجديد إلا بالقدر الذي يحفظ لهم إعادة إنتاج حياتهم و شيء من توازنها الطبيعي فوضعهم في المدينة، يكشف عن اتصال أليم يجعل

منهم أشخاص مستلبين [4]، عاجزين عن اختراق المجال الجديد، فيقتطعوا منه فضائهم الخاص بهم، و كأن المدينة التي يتواجدوا فيها لا تمت بأدنى صلة بتكوينهم و تنميتهم، تقول حياة 19 سنة، سنة أولى هندسة معمارية من إقامة C3 " أنا هنا أشعر بالخوف و بالعزلة و بالضعف، فكثيرا ما أنطوي على نفسي داخل الحجرة وأستسلم للبكاء، لقد كنت في بيت أهلي جد قريبة من إخوتي، لا ينقصني شيء، لكن بعدما تغربت وجئت إلى هنا شعرت أنني فقدت أشياء معنوية مهمة، لا يمكنني أن أعيش من دونها ".

إن الطالب في السنة الأولى بعد خروجه من الثانوية و ما تتميز به هذه المؤسسة من قوة دمج، و بعد تركه لمنزله ووسطه الطبيعي، الذي يتمتع فيه بالاعتراف و الانتساب الميكانيكي يصطدم بواقع جديد إذ يتعين عليه أن يحدد غاياته و أهدافه بنفسه و يبنيا مشروعه و مساره التكويني بشكل حر و فردي ،فمساحة المبادرة لديه هنا جد واسعة، حيث يقل فيها أو يختلف المتدخلين والموجهين، إليه وحده يرجع اتخاذ القرار و تحديد المصير، لذلك ما يبدو مكسبا هنا و إضافة جديدة في حياة الطالب، – الاستفادة من الحرية الشخصية – يتحول فجأة إلى عائق و عقبة يصعب تذليلها على الطالب المبتدئ، و هنا مكمن الخوف و التوتر و القلق الذي ينشأ لديه وهو يستهل مشواره الدراسي، في الحقيقة إن هذه الشريحة من الطلبة لا تظهر على خشبة المدينة إلا بفعل الضغوط الناتجة عن الدراسة، و ما يترتب عنها من تراكم الدروس ومراجعتها، في هذه الحالة تصبح المدينة فضاء مناسبا يمكن الطالب من التمتع بفسحة و لو صغيرة، تخلصه من التوتر و القلق الناجمين عن التزاماته اليومية داخل الجامعة، – التردد على الحديقة يؤشر على ذلك – بهذا المعني يرسم هذا الصنف من الطلبة خريطة طريقه والتي على أرضها يكتسب مشروعية ومكانة تحركه الجزئي داخل الحضيرة .

قلة ذات اليد و التواجد في المناطق الشبه الحضرية و " المدن ذات الطابع الريفي "، بالنسبة للطالب الذكر المقيم، عقبات أخرى لا يمكن تجاهلها، فهي لا تحفز على الاندماج و الانتشار الحر في مثل هذه المناطق، ذلك أن العامل الثقافي إلى الجانب المادي من أهم عوامل الانطلاق و أو التثبيط التي ترهن سلوك الطالب الحضري في مثل هذه الأماكن .

إن الحالات المذكورة و الموضحة لما أسميناه، بالتبادل السلبي مع فضاء المدينة، كلها تتصل وتختص بالطالب الحديث العهد بالجامعة و بالحياة الاقامية، فعامل خوض هذه التجربة في بدايتها كمغادرة بيت الأهل لأول مرة و تغيير الإقامة، و التمرن على

---

4 - حول مصطلح المجال المستلب " l'espace aliéné " يرى Lefebvre أن ثمة استحالة بالنسبة للمستعمل المجال أن يصنع من مكان حراكه و نشاطه حيزا خاص به، بحيث يصبح - أي المجال الذي يتواجد فيه - و كأنه ملك للآخر و ليس مكانا لتنميته و تكوينه، لقد نبه Lefebvre طلبته قبيل اندلاع أحداث 1968م المعروفة أن " تأثيرات الحداثة " على المدينة قد سلبتها إنسانيتها وروحها و جعلت من الإنسان الحضري كائنا متعجرفا " يمارس استلابا على المجال " لذلك وجب التحرك ضده. أنظر في هذا المعنى

Laurence Costes 2009,Henri Lefebvre, le droit à la ville, vers la sociologie de l'urbain, Paris, Ellipses, Edition, 159p .

الاعتماد على النفس وتبدل الوجوه والعلاقات، كلها عناصر يغذيها عامل الوقت و الزمن الغير المكتمل، ذلك أن المؤشرات المذكورة كلها تشير إلى أهمية و مركزية هذا المتغير، الذي تتألف منه هوية الطالب، فهذا الأخير سيختلف عن ذاته بالمقارنة مع بداياته الأولي، وهو يخطوا خطواته نحو بناء مشواره الجامعي، و ذلك بمجرد انتقاله إلى المراحل الوسطى أو الأخيرة المتصلة بذات المشوار، إن عامل الزمن في مثل هذه الحالات، يبدو مفسرا محوريا لتقلب الوضعيات التي تربط الطالب بالمحيط الذي يتواجد فيه فهي – أي الوضعيات – ذات أشكال متعددة و متلونة، إذ بالإمكان أن تظهر لنا في الوجه غير الوجه الذي رأيناه.

إن منطق الوضعيات الكاسح، له كل الجدارة في الطرح هنا، إذ لم يفصح بعد عن كل ما لديه، فلا يزال في جعبته العديد من الأشكال المعاكسة التي يخط بها كيفيات التواجد و الانتشار داخل المدن والحواضر .

2-المدينة، الجاذبية و الإغراء:

بالنسبة للطالب القاطن في المناطق الريفية أو المدن الصغيرة و الحواضر الطرفية، فان الخروج من بلدته و الانتقال إلى المراكز و المدن الكبرى – على عكس ما رأينا –، يعد حلما مفصليا يسعى من خلاله إلى تحقيق تجربة مستقلة و ذاتية، فهو متعطش إلى إعادة اكتشاف ذاته و التثاقف مع أقرانه المختلفين عنه في الأصل الجغرافي و الاجتماعي، إن البحث على التباين و التنكر وعلى الفرص وبناء التجارب ضمن فضاء المدينة المتنوع، يعتبر دافعا محفزا يشجع هذا الصنف من الطلبة على الانجذاب و الميل نحو الخروج، بدلا من البقاء والاستمرار في الدراسة داخل المحل الأصلي، فمنال وخديجة وأسماء و نورة، الوافدات من إحدى قرى ولاية تيارت ويشتغل أوليائهن في الفلاحة و الرعي و تربية المواشي، مثال على ذلك .

فبعد حصولهن على شهادة الباكالويا، اتفقن على المضي في هذا الاتجاه، لقد درسن سوية السنة الأولى ترجمة في ولاية مستغانم، و انتقلنا بعدها في السنة الثانية إلى ولاية معسكر و في السنة الثالثة ذهبن إلى وهران، و يعتزمن قضاء السنة الرابعة في تلمسان، إن رغبتهن– بموجب مشروعية الدراسة أو تحت غطائها – في الاستمتاع بالحياة، والتعرف على الأماكن الجميلة والسياحة، و خوض التجارب العاطفية و الحرة، التي تتيحها لهن المدن الكبرى فرصة، قد لا تتكرر لديهن خصوصا بعد إنهاء مشوارهن الدراسي، والعودة مجددا إلى بيت العائلة، حول هذا الموضوع تفتح لنا منال ملف تجربتها وتحكي لنا قائلة، ".

لم يكن لدي في البداية علم مسبق عن الإقامات الجامعية، باستثناء ما كنت أشاهده في التلفاز، أو ما تحكيه لنا القريبات من أهلي، اللواتي سبق لهن الدراسة في الجامعة، لقد نسجت أحلاما كثيرة حول السكن الاقامي و ما سيوفره لي من فرص
و لقاءات و تعارفات، لذلك اجتهدت دوما في دراستي الثانوية، حتى أنجح و أتمكن من الذهاب إلى الجامعة، و ذلك حتى أستطيع الابتعاد عن الأسرة و أغير المكان الذي درست فيه، و أعيش جو الحرية والاستقلال "، من المهم أن نشير – في مثل هذه

الحالات المحقق معها – أن تمثالات الطلبة السوسيو دراسية، ليست منفصلة عن سياق العائلة و نقاشاتها، بل هي تستقي قواعدها المعيارية الأساسية من عند الأولياء أنفسهم، و تعيد ترجمتها أو تركيبها بمجرد أن تدخل حيز التنفيذ و التطبيق .

تقول خديجة في هذا المعنى، " في حثها لي على النجاح و الحصول على شهادة الباكالوريا و على ضرورة خروجي من القرية و التوجه إلى المدينة، قالت لي والدتي أن أجدادنا لم يخرجوا الاستعمار حتى نبقى نحن إلى الأبد في البوادي و الأرياف وفي الجبال إن الاستقلال جاء حتى نتحرر ونعود نحن إلى المدن "، " إن إحدى الأسر الميسورة – تتدخل نورة قائلة – المجاورة لنا، استأجرت لبناتهن بعد تخرجهن من جامعة وهران، بيت و ذلك حتى لا يعدن إلى القرية من جديد، و يحققن اندماجهن ضمن سياق المدينة و بالفعل فلقد استطاعت المتخرجة في الهندسة المعمارية أن تحصل على شريك الحياة، و استطاعت أختها المتخصصة في البيطرة أن تحصل على عمل ناجح "، مثل هذه الحوادث المعلومة والمنتشرة في الأوساط القروية، من شأنها أن تتحول إلى خارطة طريق تستحضرها الأسر و هي تساهم في رسم خطة مستقبل الأبناء المتمدرسين .

من هنا يمكننا أن نفهم معنى " الولوع " بالمراكز و المدن الكبرى و السعي نحو بناء تجارب وخبرات اندماجية بداخلها فبالدراسة غاية أو وسيلة، أو بغيرها من الوسائط الأخرى، تحاول الطالبة المقيمة أن تثبت و جودها و تحقق حلم أوليائها في النجاح كل النجاح، " لقد أوصتني أمي – تقول أسماء ضاحكة – أن لا تكتفي بالدراسة و طلب الشهادة وحسب، بل عليك أيضا التوصل إلى شريك الحياة "، لقد تحولت هذه المسألة بالخصوص، لدى الطالبات الداخليات إلى معيار من معايير الدراسة في الجامعة، فشعار" الرجل و الشهادة "، المتداول باللغة الفرنسية تحت اسم " L'homme et le Diplôme "، أحسن دليل على ذلك، بمعنى آخر، إن "مثالية التعليم" و بناء المكانة على أساس من الكفاءة و التميز فيها، لم يعد هدفا له بريقه وألويته خصوصا عندما نقرأ عن كثب، تمثلات الطالبة الجامعية المقيمة، فالمرحلة اليوم ليست مرحلة النخب العارفة، و تقسيم المجتمع على أساس من الكفاءة و الشهادة، مثلما يشير إلى ذلك Bourdieu في حالة الورثاء [(5)]. إن العلاقة بالمعرفة و الانتماء إلى الجامعة تتلخص قيمتها، في المعنى الذي يضفيه المجتمع على هذا الانتساب، لذلك فان التعلم و التكوين و بناء الكفاءات بحسب المؤشرات المذكورة، ليست سوا مجرد تبرير لتحقيق غاية المكانة الاجتماعية و ليست الحاجة إلى بناء الشخص و تنميته علميا .

يتعزز هذا المعنى خصوصا مع وجود قناعة مشتركة لدى الحس العام، لسان حالها يقول أن المستقبل و النجاح، حول وجهته من على خارج أسوار الجامعات وأماكن المعرفة، ليستقر مكانه في مواقع التجارة و المال والأعمال التي لا تشترط لا العلم ولا المؤهل، إنما إلى " الشطارة " و روح المجازفة و المغامرة، هذا ما يثمنه المجتمع و يرحب به، على الأقل هذا ما يكاد أن ينطق به الحس المشترك مثلما نلمسه من خلال المباشرة اليومية للحياة الطلبة الذي لا يرى في الشهادة وحدها و المميعة أصلا أداة مثلى

[5]- Bourdieu (P), Passeron (J.-C), 1985, Les Héritiers Les étudiants et la culture, Paris, Editions de Minuit, 189 p.

تحقق النجاح والمكانة في الحياة الاجتماعية والمهنية بشكل طقوسي، لعل ذيوع شعار " الشهادة للجميع والثقافة لمن أراد" الواسع الانتشار في ما بين الطلبة، يشي هو الآخر " بالمأزق الذي تتخبط فيه حالة الجامعة اليوم " [(6)]، التي تقف متفرجة على واقع مجتمعي يتخلق في الغالب ذاتيا من دون ترشيد أو تصويب، يشترط توسط الجامعة و مراكز البحث، في التخطيط و عقلنة النمو والاشتراك في العيش .

ربما تفسر لنا هذه الوضعية سبب اندفاع بعض الطلبة، نحو البحث عن المتع والمغريات التي توفرها حياة المدينة، و ذلك بعدما شعروا بعدم مثالية الجامعة و عجزها في أن تكون مصعدا اجتماعيا حقيقا يبوء المؤهلين و الأكفاء في المناصب و الأماكن المرموقة العليا التي يطلبها المجتمع من هذه المؤسسة، إن القطيعة الموجودة في ما بين هذين الجانبين، حولت اهتمامات بعض الطلبة المقيمين، نحو البحث على قابليات اجتماعية مغايرة تنشأ من وراء ظهر الانتماء إلى الجامعة و الهوية الطلابية ربما يكون هذا كنوع من التنفيس و خشية الوقوع في براثن الإحباط والاكتئاب على المستوى السيكولوجي الناتج عن هذه الوضعية لكن من المؤكد أيضا أن السبب يعود، إلى قوة جذب الحياة المجتمعية في المدن و حيويتها المتجددة، و فرصها الخلاقة، وليس إلي الجامعة ومرافقها التابعة لها، حيث المستقبل و فرص النجاح ضمن مجالها تبقى غير مؤكدة .

بهذا المعنى فإن المراكز و الحواضر، توفر فرصا لا حصر لها من العلاقات والرباطات و القابليات المختلفة الممكنة، تشجعها في ذلك حالة التنكر و تدني الرقابة و تعدد المسالك والجهات، قد تكون بمثابة البديل الذي يستعيض به الطالب بشكل عام و المقيم بشكل خاص في استكمال ما لم تستطيع الجامعة تحقيقه و إتمامه، ضمن هذه الوضعية يمكننا الحديث على أساليب و أنماط تعامل أخرى في المدينة، من قبل شباب الطلبة المقيمين، أين يكون البعد الاغرائي و الجمالي والثقافي محورا أساسا، أو عنوانا رئيسا لمعنى الاندماج و البحث على المكانة الاجتماعية .

3) الطالب في الصالونات و مرافق التسلية:

من الطلبة من يرى في المدينة مكان للتسلية و الترفيه و الاستمتاع، فتنشأ بينه و بينها علاقة رومانسية تترجم في معانقة الصالونات و المقاهي و قاعات الحفلات، حيث يصبح كل من المغني و " الفنان " و الأماكن الشهيرة بمثابة مراجع سلوكية لطالما حلم الطالب برؤيتها وملاقاتها وهو لا يزال في الطور الثانوي، إن المدينة بهذا المعنى تبدو ذات قيمة ثقافية تمارس اجتذابا بالأخص على الطالب الوافد من الأطراف و المناطق الداخلية، يمكننا العودة إلى منال (22 سنة، السنة الثالثة ترجمة) مجددا لنرى معها هذه التجربة فصاحبة السروال الملون اللاصق و قميص T-shirt ذو اللون الفاتح و الخمار البراق وقصة الشعر المكشوفة الكثيرة الضحك و الابتسام أثناء الكلام، تستعرض لنا تجربتها قائلة، " لقد كانت الإقامة بالنسبة لي الملاذ الآمن، من مشاكل

6- Guérid (D), 1998, " L'Université entre Etat et Société ", L'Université Aujourd'hui, (Actes de Séminaire), Edition, C.R.A.S.C. P 25-36.

البيت و المضايقة و المراقبة المستمرة، لقد وجدت فيها الاستقرار و الحرية، دخلتها في البداية مرتدية الحجاب، ملتزمة بالحضور في الدروس والتطبيقات في الجامعة، لكن شيأ فشيأ اكتشفت ألا أحد يراقبني أو يلزمني بشيء، فبدأت أدخل و أخرج مثلما أشاء تركت حضور الدروس نهائيا، و لم أبقي إلا على الحصص التطبيقية أصبحت أكثر من العلاقات مع البنات و العمال و الأصدقاء أصبحت أمارس الرياضة، نزعت الحجاب، بدأت أنظر إلى البنات داخل الإقامة، كيف يلبسون و يتجملون ويتحدثون، لبست السروال الضيق تعلمت التجميل في الرواق أين كنت أجلس مع البنات نتبادل أساليب و طرق التزيين .

أقمت علاقات عاطفية مع الشباب خارج الإقامة فأصبح لدي هاتفا بل هاتفين، أتكلم فيهما مع كذا من شخص، بدأت أتواعد و أعقد العلاقات الغرامية في الصالونات و الحدائق، أخرج إلى الفسحة أتنقل عبر الولايات، أذهب إلى الشواطئ أتسوق في مراكز المدن، لقد تغيرت تماما عما كنت عليه في بداية أمري، فهذه الأشياء جديدة علي، حتى طريقة مشيي تغيرت !! زميلاتي داخل الإقامة لاحظن عليا هذا التحول السريع والمفاجئ، كيف دخلت في المرة الأولى وكيف أصبحت، لكن إن شئت الحقيقة، أنا من تعمد فعل ذلك، إنها فرصتي حتى أعيش حياتي في هذه المرحلة، إذ لا يوجد فرصا أخرى بالنسبة لي بعد ذلك ".

على الرغم من أن الحياة داخل الإقامة لا تخلوا من وسائل الترفيه و الراحة كالمقهى و قاعة الألعاب و التلفزيون و المساحات الرياضية، و على الرغم من وجود رحلات منتظمة خاصة بالسياحة، تشرف عليها المنظمات الطلابية المختلفة داخل الأحياء الجامعية، و التي يحضرها الطلبة بكثافة، إلا أن ذلك لا يبدو مغريا و لا مشبعا لنهم البعض، إن التمرد على النشاطات الثقافية الرسمية والرغبة في خوض التجارب الفردية الحرة الغير المحددة مسبقا، و البحث عن علاقات و روابط ما فوق طلابية، البعيدة عن طقوس الدراسة والحياة التعليمية، تعبر عن طريقة " تطور الفرد الذي يتشكل ضمن سياق الصيرورة، المنفتحة على قوة الجذب والتغير الكامنة داخل الشبكات، و ليس داخل قوالب التنشئة الاجتماعية المسبقة " (7) ، هذه المسألة تعد صفة فارقة يعرفها كل من يخالط شؤون الطلبة الداخليين عند هذا المستوى نلاحظ تراجعا في القيم العائلية، المستبدلة بقيم شبابية، تنشأ بفعل القبليات المجتمعية التي تلتقي على التشابه في المسارات و التجارب و التبادل المشترك، إن حالة منال ما كان لها أن تعرف هذا التحول، لو لم تجد " الشبكة " التي تؤهلها و تحفزها وتمنحها النموذج العملي .

تقول منال، " لقد كنت ألاحظ بنات الإقامة، ومدى تفاخرهن بما لديهن من أنواع الألبسة الجميلة و أن خلانهم هم من يشترون لهن تلك الملبوسات الأنيقة، لذلك اقتربت منهن وصاحبتهن، فبدأت أخرج معهن، إلى أن تعرفت بفضلهن على الشريك المفضل، حيث أصبحت أتنقل معه دونما و جل أو خوف فأقضي معه الليالي فيصرف عليا، و يدعمني بالمال الكافي، فأشتري به الملابس التي أريد "، مثل هذه القصص ليست شاذة عن الوضع العام المتعلق بالاقامات الجامعية داخل الحواضر و المدن، مشوار منال الشخصي ليس سوا القاسم المشترك " الذي يلتقي فيه الخاص بالعام و الفردي بالاجتماعي" (8) أعوان الأمن وحراس الليل

7- Kaufmann (J.C), 2001, Ego; Pour une Sociologie de l'individu, P 224, Nathan, Paris,228 P

8- Peneff (J), 1990, la méthode biographique, P 6, Paris, Edition Armand Colin, 144 P

في الأحياء الجامعية لديهم الكثير من القصص و الحكايات المماثلة، التي يروونها عن " طالبات الليل " على وجه الخصوص، حيث الملاهي الليلية و الفنادق و أماكن التسلية المتعددة، تعد الوجهة المفضلة لهذا الصنف من الطلبة .

للإشارة فان الطلبة الذكور المقيمين، لا يقلون رغبة عن نظرائهم البنات في حب الخروج والبحث على أماكن المتعة والترفيه، لكن و بالنظر إلى وضعهم كذكور وكمحدودي الدخل فإنهم يكتفون بالظهور في الأماكن العامة، و التردد على المقاهي ومحلات الوجبات السريعة أو البتزا و دور السنيما وفي الحفلات العامة المنظمة أثناء المناسبات الطلابية أو الوطنية، أما الميسورين منهم، الذين يمتلكون سيارات أو حتى شقق بالمدن التي يدرسون فيها، فهامش الترفيه و التسلية لديهم أوسع بكثير فلا يترددون في الأخذ بفرصهم كاملة في ذلك، حيث تجدهم صحبة الطالبات في الصالونات و في الملاهي، أو حتى التنقل و التردد على الولايات السياحية الأخرى، إن البعد التمتعي المقرون بالتسلية في حياة الطلبة المقيمين، و الذي يترجم في أساليب وأنماط غذائية و لباسية و احتفالية و كذا جنسانية ينبغي أن يقرأ في إطار" ما توفره المدينة من إمكانية في الخروج و في ترتيب العلاقات و للقاءات وإقامة الحفلات (...).

إن حالة الإغراء والجذب التي تمثلها المدينة في مثل هذه الأشياء، هو نابع أساسا عن حالة النكران التي يتصف بها جمهورها الذين لم يسبق لهم و أن تواصلوا في ما بينهم " [(9)] ، ضمن هذا السياق الذي تغيب فيه رقابة العائلة و العلاقات المناطقية و الجوارية العرفية، المتصلة بالمكان الأصلي للطالب المقيم، تنشأ قابليات اجتماعية مغايرة تختلف من حيث القيمة والمعيار عن تلك التي " برمج عليها " الطالب في تنشئته العائلية الأولى .

فالتحرر و البحث عن المتع والمغريات و الأذواق علامات تعريفية أساسية تلون صنف من الطلبة المقيمين داخل المراكز و المدن، إن اللقاءات و الخرجات في زوايا التسلية و الترفيه المختلفة، يعد أفضل أحد المؤشرات الدالة على نوعية الدمج الطلابي الخاصة، هذا المتغير يعد نواة صلبة في فهم حياة الطالب المقيم داخل المدن و الحواضر الكبرى، لكن تغير المرصود في القيمة والمعيار في حياة الطالب المقيم، لا يقصد به معنى التلاشي المطلق أو التشظي الناسف للهوية العائلية لدى الطالب، فمنال مثلا عندما تود العودة إلى البيت أثناء العطل ونهاية الموسم الدراسي، فإنها ترتدي حجابها من جديد، و تنتظر أحد أقاربها ليأتي فيصحبها إلى البيت، فهي لم تعتقد البتة أن هويتها الطلابية داخل المدينة ستجعلها ترتد عن العائلة وثقافتها العرفية، إنها تعبر بهذه الازدواجية عن مسار يمكننا أن نطلق عليه مع ما يسميه Wieviorka " بتعددية ثقافية مدمجة " [(10)]، و ليست بالمشتتة ذلك أن الطالب المقيم عبر صيرورة التحرر و التخلص من الرقابة، يتعلم كيف يحدث المسافة بين الرابط العائلي القرابي

---

[9]- Galland (O), Stellinger (A), " les jeunes et la ville ", P 109, in Damon (J), 2008, (sous sa dir) Vivre en Ville, Paris, P.U.F. 250 P

[10]- Wieviorka (M), " La différence dans la différence ", Kymlicka (W), Mesure (S) (sous sa dir), 2000, les identités culturelles, P 308, Paris, P.U.F, 422 P.

وبين الرابط الطلابي الجامعي الاقامي، دونما تصادم و تضارب أو إقصاء ، من المهم أن نشير هنا أن هذا النوع من العلاقة الحدثية juvénile بفضاء المدينة، لا تقتصر بالضرورة على مرحلة عمرية مبكرة أو بالطلبة الجدد مثلما تذهب إلى ذلك Erlich (V) [11] .

إن الاقامات الجامعية لا تخلوا من حالات يفوق سنها الستة و العشرين ربيعا، ألفت نمطا حياتيا متحررا ارتبط بعلاقات السهر والسمر في الملاهي و المقاهي و معاقرة الخمرة و"الصناعة الجنسية "، مستغلة في ذلك الجو المهلل في الجامعات، الذي يسمح بالتسجيل وإعادة التسجيل والانتقال من تخصص لآخر و اكتساح الوقت و المراحل المخصصة للدراسة رشيدة مثلا 26 سنة، السنة الثالثة حقوق تقول " لقد دخلت إلى الجامعة و أنا عمري تسعة عشر سنة أحسست نفسي في راحة داخل الإقامة خصوصا من أهل بيتي الذين بالغوا في الحجر عليا تعرفت على البنات اللواتي كنا يسكن بجواري، رأيتهن يدخن أعجبت بهن و هن يمشين والسجائر بين أصابعهن، أو يرقصن أو حتى يتكلمن و الدخان على شفاههن انخرطت في الشلة، تدرجت في تناول السجائر، حتى أصبحت لا أستطيع التوقف و لا التخلص منها .

لقد أصبح الوضع بالنسبة اليا جد صعب خصوصا لما أعود إلى البيت، حيث أكاد أختنق أو أنتجر فأنتظر بفارغ الصبر الرجوع مجددا إلى الإقامة، لأعيش جو الحرية والخلاص من الرقابة أما عن الدراسة فلم تعد تهمني كثيرا، يكفيني أن أحصل على إعادة التسجيل من الجامعة كل سنة عبد الرحمان 31 سنة لم يعرف هو الآخر، كيف يخرج من و ضعية مكانة الطالب الذي لزمته سنينا عديدة، لقد دخل الجامعة و عمره عشرون سنة، سجل في البداية في قسم البيولوجيا بجامعة وهران تركها بعد ثلاث سنوات ليتنقل إلى جامعة معسكر، فيسجل مجددا في قسم الحقوق، فيقضي فيه أربع سنوات دونما أن يبرح مكان السنة الثانية، يأتي في الأخير إلى قسم التاريخ، ليصل فيه إلى حد السنة الثالثة دون سقوط هذه المرة، يعود سبب تمديد فترته الجامعية، إلى ولوعه بالعمل في المنظمات، أين كان يجد كامل حريته وفرصته في استغلال الرحلات و الدورات التكوينية، و تنظيم الحفلات المختلطة، في تناول المسكرات و معاشرة البنات المتحررات .

11- Erich (V), 1998, Les nouveaux étudiants, un groupe social en mutation, P 194, Paris, Edition Armand colin, P 265

بناء على ما تقدم يتضح لنا، أن الاختلاف في الإقامة موجب للاختلاف في الممارسات تحديدا الثقافية منها و الاستمتاعية، فالطالب المقيم ببيت العائلة يتعذر عليه إطلاق العنان لرغباته ونزواته، لأن نوع القيم الأبوية و العرفية و الدينية يحجزه عن فعل ذلك، لذا تعد الإقامة الجامعية المقام الشبابي بامتياز، العنوان العريض لمختلف الخرجات ذات الطابع التحرري كالتسلية و طلب المتعة، و البحث عن الاندماج في صورة أشكال من روابط المتعة والإغراء والجاذبية، عامل الصدقة و الشلل متغير صلب هو الآخر، في مشوار الطالب المقيم فبموجب " التماثل والتشابه في الأذواق و الميولات، تتألف جماعة الرفاق(التي يمتطيها الطالب المقيم) من أجل الوصول و الولوج في صميم المجتمع" [(12)] ، هذا الشكل الجماعي اليوم، يعد الأكثر وضوحا و فرجة في حياة الطلبة "[(13)]، المقيمين داخل المدن والمراكز الكبرى.

---

[12]- Bidart (C), 1997, L'amitié un lien social, P 9, Paris, Edition La Découverte, 402 P
[13]- Duber (F), 1994, P 164, op. cit.

خلاصة القسم:

إنها تجربة حياة ذاتية متكاملة، تلك التي تتيحها المدن و الحواضر الكبرى، بالنسبة للطالب المقيم بين ظهرانيها إن الاقامات الجامعية بهذا المعني ليست مجرد مراقد يجدد فيها الطالب نشاطه و ذلك في انتظار مطلع يوما جديد، يتجه فيه إلى الجامعة، لأجل تلقي المحاضرات والأعمال التطبيقية، بل إن الأحياء الجامعية هي محاضن، مهمة تختمر فيها تجارب و خبر شبابية خالصة، فيتعلم فيها طرائق التكيف و التأقلم، مع مكانته الجامعية المتصفة بعدم التأكد والفراغ المعياري، داخل الإقامة تبني روابط و تطور ثقافات، تنشأ عن حس عملي داخل الجامعة، أين يجد الطالب نفسه أمام طرق مفتوحة على كل الاتجاهات، هذه الخبرة المتراكمة و المتوارثة، جعلت من الأحياء الجامعية قاعدة، تنتعش بداخلها مختلف البدائل الغير المتجانسة، إن الجامعة بالمعنى المشار إليه، هي أحد هذه البدائل و ليس كلها، إن الأحياء الجامعية،هي بمثابة الإقامة الفرصة بالنسبة إلى البعض، و ذلك من أجل التمرن على أساليب العيش الحضري، القائم على التنكر و على ضعف الرقابة، و تنوع العلاقات بهذا المعنى فان السكن الجامعي المؤقت، المجاور للمدن و المراكز، يحول هذا المجال في نظر البعض إلى فضاء جذب و إغراء، تنتعش فيه ثقافة الخروج و التمتع و السهر في الحفلات و مخالطة الصالونات والأماكن السياحية الجميلة بشكل عام .

هذه الصورة لا يمكن التغاضي عنها أو إغفالها، عندما نود تعريف معنى الحي الجامعي كممارسة وتمثل، فهي أي هذه الصورة، غالبا ما تكون هي الأقرب في ذهن عامة الناس عندما يأتي ذكر الإقامة الجامعية، لذات السبب يتنكر بعض طلبة الاقامات، أو على الأقل يتحاشون تقديم أنفسهم كداخليين وذلك بسبب ما لحق هذه الصفة من تشوه و ضرر، على مستوى الحس العام المشترك، فيفضل بذلك البعض من الطلبة، ترك الاتصال المكثف بالمدينة إلا بقدر الحاجة إلى ذلك، وهذا مخافة أن يصيبه منها ما أصاب البعض، الذي انطلاق دون رادع أو وازع، في الولوج والاندماج في العلاقات والقابليات الاجتماعية المختلفة الغير المحسوبة أو المدروسة، حالات عديدة رصدناه تعبر عن هذا الموقف و ذاك، كلها تشير إلى أن الاقامات الجامعية هي للحظة فارقة في حياة الطالب الشاب، إذ تضعه وجها للوجه أمام المدن و تنوع دروب الحواضر، فيؤثر و يتأثر بما يطاله من خبرة ناجمة عن هذا القرب .

القسم الثالث

المدينة بين الاندماج المهني و الاندماج الرمزي

- مقدمة القسم الثالث
- الفصل الخامس: الاستعمال الناضج و الجدي للمدينة
- الفصل السادس: الطالب السلفي وجه آخر من الخبرة الحضرية
- خلاصة القسم

مقدمة القسم:

إن التنقيب من داخل السير الذاتية، عن المسارات السكنية و تجارب الاندماج، لدي صنف الطلبة الذين يملكون مشاريع و وجهات ثابتة ومحددة، حري بأن يكشف عن الأبعاد التفصيلية، المتعلقة بدورة الأفعال و الممارسات، المتنقلة في ما بين ثلاثية الحي الجامعي، الجامعة والمدينة، هذه الدورة في عرف الطالب الطموح، ليست كغيرها من الدورات الحدثية المنتشرة والمعروفة لدى البعض من الطلبة، إن التعاطي الجاد و الجيد مع الجامعة، و التلقي الصحيح و الصريح للمعرفة والتكوين والانتقاء الواعي للأماكن و الأشخاص، مواصفات ترسم على تحقيق النجاح الاجتماعي و المهني تكون المدينة الجامعية فيه هدفا رئيسيا، إذ لا يرى الطالب الجاد و الطموح نفسه، مندمجا و معترف بمكانته إلا فيها، إن تتبع مثل هذه المواصفات، يعتبر مهما، و ذلك من أجل معرفة مختلف المداخل التي تظهر على أرض المدن، حينما يتفاعل الطالب المقيم بالأحياء الجامعية، مع القطاع التكويني والحضري الذي ينتمي إليه و يتواجد .

هذه التجربة ليست سهلة، لذلك تتطلب بناء استراتيجيات، تنشأ من خلال التبادل و التفاوض اليومي مع الإشكالات المتصلة بالشأن الجامعي، بمعني صريح و أوضح، إن جدية الطالب الاقامي، تبنى إما من قدرة السيطرة على مواد التكوين و عناصره، أو من قدرة التحكم والتمثيل للشؤون الطلبة الحياتية أو حتى من هما معا، إن منطق الفعل المزاول من قبل الطالب الطموح ، ضمن الدورة المشار إليها، لا يخرج في اعتقادنا عن هذين العنصرين، فبالإرادة الشخصية من أجل تحقيق التفوق و النجاح الدراسيين، و بالإرادة النقابية الملتزمة والقوية، يمهد الطالب الجاد بعد تخرجه، طريقه نحو الاندماج الكلي، ضمن المراكز و المدن التي تفتقت فيها تجربته الذاتية و المستقلة، هذا ما يتصل بالتكيف المادي و الموضوعي الخاص بالطالب الطموح .

لكن في ذات الوقت ثمة نوع آخر من الجدية، لا يمكن إغفالها و لا نكرانها، تتعلق بإثراء مجال المدينة، لكن هذه المرة من مدخل الرمزية الدينية، فالطلبة السلفيون الاقاميون، يتميزون بالاتصال ثقافي نشط مع الوسط المديني، فهم بذلك يؤسسون للأسلوب ولون اندماجي وتضامني، يمنح للثلاثية الحي الجامعي، الجامعة و المدينة، صورة رمزية ثقافية ملموسة تتمفصل مع حراك الحياة الطلابية الداخلية، وتتدخل في شأنها العام، لندع الواقع يتحدث .

1- الاستعمال الناضج و الجدي للمدينة:

في البحث عن علاقة ناضجة تربط الطالب بالمدينة، و الممارسات المنتظمة الدالة والمتوسل بها في تحقيق انخراط راشد ضمن حيزها، فانه من الضروري التعرض إلى بعض المسارات الشخصية التي تبدو من وجهة نظرنا " ممثلة " بشكل كيفي، تشخص " الوجوه " المتعددة المنطلقة من الجامعة و من الاقامات التابعة لها، نحو إنجاح مسارها الاندماجي ضمن سياق المدينة، ذلك فان تتبع السيرة الاقامية و التجربة السكنية " للطالب الناضج "، شرط لا يمكن القفز عليه و نحن نبحث في سؤال الاندماج داخل الحضيرة بعد التخرج، و الاستعمالات المختلفة في تحقيق هذه الغاية، بالنسبة للطالب الطموح القلق على مستقبله و الساعي نحو تحقيق نجاح، و اندماج في المدينة التي اختار الدراسة فيها، فان التميز والاتصاف بمواصفات الحزم و الجد، مسائل لابد منها فهو من اللحظة الأولى، صاحب مشروع ووجهة واضحتين ورغبة جامحة في الانخراط التام، بالوسط الجديد الذي حل فيه(1) .

لذلك يعد النجاح الدراسي بالنسبة لهذا " الطالب المنضبط " (2)، شرط أساسي يسبق أي اهتمام آخر قد ينشغل به ويخوض فيه أقرانه من الطلبة، فمن الطبيعي جدا أن يحتاط في حياته اليومية وهو يسعى نحو تحقيق هذه الأهداف، تقول سميرة طالبة في مدرسة الدكتوراه 26 سنة، ولاية مشرية تخصص تاريخ، " أنا لما جئت إلى هنا كان طموحي منذ البداية هو الحصول على شهادة الدكتوراه، وليس شهادة ليسانس لأشتغل بها كمعلمة في الابتدائي لما أعود إلى بلادي! (تقول ساخرة) لذلك كان عليا أن أتجه نحو المكان الذي أحقق فيه هذا الطموح ".

إن الاختيارات الحضرية و الاقامية، هي محطات أساسية في مسار هذا الصنف من الطلبة، إذ على أرضها ستتشكل كل فصول حياته، تقول سميرة " بعد حصولي على شهادة الباكالوريا بتفوق كنت أطمح في الدخول إلى المدرسة العليا بحيدرة – العاصمة – لكن مع الأسف لم أوفق، بعدها تم توجيهي نحو جامعة سيدي بلعباس، لكن والدي رفض ذلك ولم يقبل، فأتى بي إلى وهران حيث سجلت في معهد التاريخ، وسكنت في إقامة 19 جوان للبنات طيلة الأربع سنوات "، حول تجربة السكن الاقامي فان الطالب الطموح ليس كمثل باقي الطلبة، بحيث لا يسكن بحسب الدوافع الشعورية، كأن يبحث مثلا عن ذوي منطقته الأصلية فيتقاسم معهم الحجرة، أو من يشاركونه في التخصص الدراسي، أو حتى حسب توجيهات إدارة الإقامة، هو

---

1 - أنظر Dubet (F)، مرجع سبق ذكره.

2 - يميز Lahir في كتابه " طرق دراسة الطلبة "، في ما بين صنفين من الشباب الجامعي الصنف الأول يسميه باسم " الطلبة المنضبطين "، يتصفون بالتمسك الشديد بالقيم المدرسية وبالنشاطات الترفيهية التابعة لها، كما أنهم جادون و مثقفون، بينما الصنف الثاني يسميه باسم "الطلبة المعلمنون " (les étudiants séculiers)، من صفاتهم تركيزهم على علاقتهم داخل العالم و متابعتهم لأخباره اليومية، يمارسون ثقافات ludiques رياضية و احتفالية، أنظر:

Lahir (B), Les manières d'étudier. Collection les cahiers de O.VE. Edition. La documentation française, Paris 1997. 125P

شخص غير معني تماما بمثل هذه الكيفيات في السكن، إن طموحه يدفع به نحو المتفوقين في دراستهم، الذين يبحثون عن النجاح بمعناه الوسع، هذا الصنف من الطلبة بالذات، هم من يستهدفهم حتى يتعايش معهم وتنتعش قابليته الاجتماعية في وسطهم.

إن تجربة سميرة في السكن تعد مثالية في مثل هذه الحالة، فهي بعد فرز طويل في قلب الإقامة وبعد تجارب متقلبة وظرفية مع رفقاء الحجرة، ستستقر أخيرا مع من ستراها كفئة لها وتشترك معها في الوسيلة و الغاية، لقد ظفرت بطالبة من قسم اللغات وافدة من العاصمة، والأولى على دفعتها، ستتقاسم الحجرة معها أخيرا طيلة مشوارها الدراسي، و تتجنب التواصل حتى مع من يدرس معها في نفس التخصص، فضلا على السكن معه و ذلك مخافة الوقوع في شرك الغيرة والحسد، ذلك أن زميلات التخصص بحسبها، " لا يعرفون حتى ماذا يدرسون و لا حتى مقر وجود المكتبات "، لذلك فهي لا تسمح لنفسها بالتبادل معهم، خشية ثنيها عن تحقيق طموحاتها. إن سميرة تفكر انطلاقا من المرجعية الدراسية و الاعتقاد " بأمثولة الفوز في الامتحانات "، لذلك فان العلاقة التي تعقدها مع باقي الطلبة تخضع أساسا لفعل الفرز و الانتقاء، و عليه فإن بناء القابليات الاجتماعية داخل المناخ الطلابي، " هو ناجم عن عمل انتخابي وتمايزي بامتياز "، ضمن هذه القيم و المعايير، يمكننا فهم دلالات التفكير والفعل الخاص بالطالب المنضبط، إن تتبع يومياته بحسب هذا المعنى يعد أمرا ضروريا .

بناء على ما ذكر تقضي سميرة، جل وقتها بين الجامعة و بين المكتبات، و لا تلتحق بمقر الإقامة إلا في وقت متأخر، فهي تفضل بعد انقضاء ساعات العمل، التجوال في المدينة مطولا مع زميلاتها المقربات، بحثا في ذلك عن أشكال أخرى من القابلية الاجتماعية، فهي لا تفوت أدنى فرصة تأتيها في التعرف على من تراه سينفعها في تحقيق غايتها في قابل الأيام، تعود إلى الحجرة تلتحق بعدها بالطابور في المطعم، تؤخذ و جبتها ثم تعود مجددا إلى الحجرة، وبعد الدردشة والتحدث مع زميلتها عن مشوارها اليومي، تعود و تنكفئ إلى دراستها، تراجع المحاضرات تقرأ المجلات و الكتب إلى وقت متأخر من الليل، و لما تأتي فترة الامتحانات تنتابها حالة من القلق الهستيري، فتقلل من الحركة وتتجنب ملاقاة الزملاء والزميلات، وتلتزم الخلوة والانقطاع عن الناس، لأن الذي يشغلها في مثل هذه المناسبة ويؤرقها ليس الحصول على النقطة، المؤهلة والمجنبة للإقصاء من المقياس، أو مثلما يعبر عامة الطلبة قائلين، " المهم غلق السنة والحصول على " العام " "، إنما التفوق و البحث عن أحسن علامة التي تميزها عن الكل وتضمن لها التفوق على باقي الدفعة، هذا ما يتملك شعورها و يراود أحلامها، لقد سارت في هذا المسار على طول مشوارها الدراسي، إلى أن تخرجت و حصلت على شهادة الليسانس بتفوق مع الدرجة الأولى على دفعتها، الشيء الذي ضمن لها الانتقال إلى الدراسة في الماجستير دونما عناء و لا امتحان، بنفس العزم و الكيفية تواصل نجاحها و تصل إلى مبتغاها فتتحصل على شهادة الماجستير سنة 2009 برتبة مشرف جدا .

يتضح مما تقدم، أن مغامرة بناء تجربة التفوق الدراسي والنجاح فيه، لا تخضع بحال إلى معيار من المعايير الجامعية المضبوطة مسبقا، فالنظام المؤسسي لا يوفر أي دليل يشجع على المنافسة والنجاح فيربط ذلك بالاندماج الاجتماعي و المهني، إن الطالب موكول إلى نفسه في اختيار مساراته الشخصية داخل الجامعة، لذلك ليس أمام سميرة سوا مبادراتها الشخصية و" فعلها التكتيكي "[3]، القائم على التبصر الجيد بتجارب الطلبة، خصوصا الفاشلون منهم، " أنا كنت أتجنب منذ الوهلة الأولى، الطلبة الذين يكررون السنة وشاخوا في الجامعة، هذا الصنف من الجامعيين، كان بمثابة الشبح الذي كلما أتذكره أفزع منه "، – تقول سميرة – إن تجربة التفوق بالاعتماد على النفس و التشجيع العائلي، هو فعل غير مؤسساتي تحللت منه الجامعة، التي اقتصرت وظيفتها و تقلصت، إلى مجرد آلة لانجاز الامتحانات و إنتاج الشهادات .

لذلك ستقف سميرة مجددا على مفترق الطرق، فهي تود مواصلة المشوار و السير في ذات الطريق و الوصول إلى آخره فستجرب حضها لأول مرة في ميدان طلب الشغل، وستخوض من أجل ذلك سلسلة متعددة من التربصات و الامتحانات المعروضة على مستوى المعاهد الجامعية و مراكز البحث، المتواجدة في ذات البلد التي درست فيها، تنجح في الأخير بالظفر بمنصب عمل على مستوى أحد مراكز البحث في وهران، و هنا ستنتظرها مغامرة أخرى، تواكب هذا التحول الجديد في حياتها ستخوض تجربة جديدة، لكنها مريرة مع السكن ومع الانخراط ضمن الحياة الحضرية، فهي اليوم لم تصبح طالبة حتى تتمكن من الاستفادة من الإسكان الجامعي.

2- السكن و الاندماج:

نترك لها المجال حتى تصف لنا هذا المخاض العسير. تقول: " بعد حصولي على العمل بأحد المراكز، حاولت الرجوع إلى الإقامة، لكنني كنت أواجه صعوبات بالغة في الدخول إليها، اتصلت بأحد المسؤولين الذي كنت على صلة طيبة معه، ليتوسط لي عند مديرة الإقامة، لكنها رفضت و لم تقبل بأن أسكن في الإقامة، وذلك بحجة أنني " أجيرة " وأتمتع بمنصب عمل، فلا حق لي في الإسكان الجامعي اضطررت بعدها للإقامة في أحد المراقد المتواجد في وسط المدينة، و المخصصة للبنات حيث كنت أدفع

---

[3] - في رده على Bourdieu، القائل بمفهوم " السمت المدرسي (l'habitus scolaire) يرى Felouzi أن الطالب اليوم لا يخضع إلا لإرادته الشخصية، طيلة حياته الجامعية، فهو لا يحتاج إلا إلى زملائه الطلبة، حيث يطور معهم، ما يسميه الكاتب " بثقافة الطالب " والتي يقصد بها ، مجموعة الأجوبة الجماعية التي يصيغها الطلبة في ما بينهم، من أجل حل المشاكل الحقيقية التي يتعرضون لها خلال مشوارهم الدراسي، أمام هذا الوضع، يبتكر الطالبة " أساليب تكتيكية " بدلا من الخضوع إلى السمت المدرسي أنظر في هذا الشأن

Felouzi (G) 2001, La condition étudiante, Sociologie de étudiants et de l'université, P 67, P 242 Paris, Edition PUF . 300 P.

يوميا ما مقداره 600 دينار في الليلة الواحدة، بقيت على هذا الحال للمدة ثلاثة أشهر، إلى أن اتصل بي صاحب المرقد ذات صباح، و طلب مني إخلاء الحجرة، لأنه سيسلمها اضطرارا إلى إحدى الزبونات الجديدات .

لقد بكيت طويلا في ذلك اليوم، ولم يكن لي من حيلة يومها سوا الرجوع إلى بيتنا في مشرية، قصد التزود بالمال اللازم لقد رجعت بعد نهاية الأسبوع، لكن هذه المرة إلى الفندق، حيث بقيت فيه للمدة ثلاثة أسابيع، كنت أدفع مقابل الليلة الواحدة 2000 دينار – الله غالب هذا ثمن طموحي! – إلى أن تمكنت بفضل إحدى الصديقات الحميمات، التي تعرفت عليها ذات مرة داخل مقر البريد، حيث توسطت لي لدى امرأة لديها سكن أحادي الحجرة، فاستأجرته لي بمبلغ قدره 100.000 دينار خلال السداسي الواحد من العام، و هذا بعد التثبت من وثائقي وحضور أهلي و تزكية صديقتي!. لقد استقر وضعي إلى حد ما لكنني لازلت قلقة، لأنني أطمح إلي وضع أحسن من هذا بكثير، فأنا أناضل اليوم ضمن المؤسسة التي أشتغل فيها، من أجل الحصول على سكن رسمي، من ثلاثة شقق يكون في مكان محترم، و ذلك حتى أستطيع تحقيق طموحي و أنجح في حياتي".

إن الإصرار على النجاح الدراسي، والسعي للحصول على أعلى شهادة ممكنة فيه، بحسب الحالة التي استعرضنا مسارها هو ليس مقصودا لذاته، بمعنى أن الهوس بالشهادة و البحث عن زملاء من نوع الصنف " الأول على رأس الدفعة " للتحرك في مدارهم، ليس الغرض منه إثبات الكفاءة أو التألق العلمي و حسب كما يبدو ذلك ظاهرا، إنما الغرض منه أيضا هو انجاز العلاقة و تحقيق الانفتاح على الوضع جديد، إن الشهادة هنا لا تحمل غايتها في ذاتها، بل " هي متعددة الأبعاد و جوانب الاستعمال"[(4)]، إنها أداة مشروعة و جسر منطقي ذو دور يسهم في تحول مناطقي، بمعنى آخر إن الطالب المقيم صاحب الوجهة الجادة و الناضجة، يستمد اندماجه بالسياق الحضري الجديد، من استعمال مشروعية الشهادة التي ستكفل له المهنة، والسكن المستقر في آن واحد، وبالتالي الانخراط المستحق داخل الحياة العامة.

تقول لنا الحالة المذكورة أعلاه، أن المدينة الجامعية في عين الطالب الوافد من بعيد، تساوي مشروعا تغيريا يطال سيرته الذاتية على المستوى الاجتماعي و المهني، لذلك يسعى هذا الأخير بناء على جهده الذاتي إلى إعادة ترتيب أولوياته، و ابتكار فرص تحقق له مبتغى النجاح و الحصول على الشهادة ومن ثمة الاصطدام بالواقع الجديد، قصد الانضمام إليه والاندماج في سياقه، ماذا تعني هذه المغامرة على المستوى الأنثروبولوجي ؟، إن هذه التجربة و إن كانت تشي في عمقها، باندماج " عقلاني " سليم قائم على تقسيم العمل و التخصص فيه، الذي ما فتئت المراكز الكبرى و الحواضر المختلفة تتشرب منه و تبنى عليه

---

[4] - مرجع سبق ذكره أنظر، Lahir (B) ، ص 12- 16 .

[5] - Madani (M), " Ville Algérienne, entre panne de projet et urbanisme de fait ", 2002, Naqd, N 16, PP 12-25

و ذلك بما تضفيه الفئات الوسطى المتمدنة، و النخب العارفة من ديناميكية و حيوية حضرية على فضائه العام، إلا أن هذا العامل العقلاني في الإدماج، و بحكم، " حالة العطالة والانقسامية و التجزئة الحاصلة على مستوى النسيج الحضري الجزائري" [(5)]، فهي لا تسمح باتساع هامش النمو العقلاني بشكل مخطط و مدروس، يشجع الكفاءات الواعدة لتظهر كطرف متميز داخل المراكز الحضرية الكبرى .

3– الطالب النقابي:

نتحول الآن إلى وجه أخر، استطاع أن يحقق ذات الغرض المذكور أعلاه، لكن هذه المرة ليس بطريقة الشهادة وحدها و التنافس الدراسي، فثمة فرص أخرى يمكن للتجربة العيش المكثف داخل الإقامة أن توفرها لمن يطمح، أن يجد لنفسه موطأ قدم ضمن المدينة التي يتواجد فيها، إن الإطار النقابي و الجمعوي الذي تتمتع به الاقامات الجامعية من الداخل، يعتبر سلما مفضلا بالنسبة للبعض بحيث يمكن على أساسه، نسج علاقات رسمية مهمة مع الخارج، توفر للطالب المقيم فرصا مغرية وخبرة تواصلية يمكن استثمارها في ما بعد، من أجل تحقيق الاندماج الطبيعي في الحياة الحضرية الجديدة بالنسبة إليه، وفق هذه الصورة يرتسم وجه الصنف الثاني من الطلبة، الذي اندمج بالعمل التنظيمي، فأدمجه في نهاية المطاف بالوسط المديني، لنستعرض الآن هذه الخبرة و نفتح ملف سيرتها الذاتية، متتبعين في ذلك مسارها الجزئي و التفصيلي، وذلك بدأ من " انتظامها " في العمل الجمعوي والارتقاء في سلمه، ووصولا إلى " انضمامها " بالوسط الإقليمي الجديد.

فصديق 31 سنة من منطقة آدرار الجنوبية، متحصل على شهادة مهندس دولة، تخصص تهيئة عمرانية، يحدثنا عن مساره الاقامي و النقابي في آن واحد، فيقول : " بعد تحصلي على شهادة الباكالوريا سنة 2000، تم توجيهي الى جامعة وهران، فأول ما جئت لم أكن أعرف المنطقة جيدا فاصطحبت سيارة أجرة، طالبا من السائق أن ينزل بي الى إقامة CUMO، كانت بمثابة مركز عبور قضيت فيها أسبوعا، إلى أن حولت بعدها الى UTO الذي قضيت فيه مدة خمس سنوات.

لقد كانت البداية بالنسبة لى جد قاسية، حيث سكنت في الوهلة الأولى مع طالب من الغرب، كان مدمن خمر، فلم أستطع البقاء معه، لذلك تركت غرفتي، والتحقت بغرفة أحد الطلبة من أبناء بلدي الذي وجدت سهولة في التعايش معه، كما تعلم نحن أبناء الصحراء و بحكم بعد المسافة، لم نكن نلتحق بذوينا إلا في العطلة الصيفية، لذلك كانت الإقامة ملاذنا الوحيد، لقد استوحشت في البداية العيش فيها ذلك لأن حالة البأس و قلة ذات اليد، كانت تجبرنا بالأخص أثناء العطل الفصلية، إلى تخزين الخبز وجمعه داخل أكياس كبيرة، و ذلك بعد تجفيفه و تيبيسه لنعيد استغلاله و تناوله، في مثل تلك الأيام العصيبة، ضف إلى ذلك أن حالة انعدام النظافة، وتكدس النفايات وامتلاء المكان بالحشرات والأوساخ، كثيرا ما كان يعرضنا إلى حالات مرضية كالحساسية وأمراض الصدر و التسمم الغذائي حيث لازلت أجد أثرها في ذاتي إلى اليوم.

من المهم أن نشير هنا الى أهمية تطور الرابط الاجتماعي الاقامي، فالبدايات الأولى مثلما لاحظنا في حالة صديق، تميزت بالاكتفاء بعلاقات وروابط، لم تتجاوز الحيز الطبيعي التقليدي، فضمن العلاقة المناطقية و التبادل داخلها، ضبط صديق تكيفه و توازنه داخل المجال الاقامي، إن قيمة المكان واستئناسه هنا تسيجه، محددات " رابطة أبناء البلد "، ما يعني أن حدود الإقامة تتحول بشكل مجازي الى رقعة مستنسخة عن الرقعة الأصلية، التي جاء منها الطالب، لكن مع طول الخبرة الاقامية، فان التصور و الممارسة التقليديتين للمكان، قد تنحصر وتتقلص نسبيا، خصوصا إذا ما انتقل ذات الطالب الى نوع جديد من الروابط السوسيو مجالية، في مثل هذه الحالة فان المسافات و الأبعاد و النقاط المكانية، ستتغير معه و تؤخذ بعدا أكثر مدنية، لنستتبع هذه المسألة عن كثب.

4- السكن في الإقامة و الوعي التنظيمي:

في غمرة الوضعية الجديدة المتسمة بكثافة النشاط الجمعوي، و أهميته الإستراتيجية في التحشيد والتعبئة، و ما يترتب عنه من نشوء سلط و مشروعيات، تتدخل في بناء القرارات التنظيمية داخل الحي الاقامي، فتأسس للحقوق المواطنية و لكيفيات العيش معا، داخل هذا المجال الغير المتجانس ضمن هذا السياق، سيلتحم صديق بهذه التجربة، و سيتجشم صعابها لكن أيضا ستفسح له المجال في اكتشاف العلاقات و الاتصالات، الممهدة لكسب مكانة واندماجا مرتقبا، على المدى المنظور في مستوى حياته الشخصية، لنترك له المجال حتى يروي لنا تفاصيل هذه المغامرة .

يقول صديق " لقد خبرت في سنتي الأولى داخل الإقامة، الكثير من مثل هذه الأشياء المؤلمة حيث وعيتها واستخلصت منها العديد من الدروس، لذلك عزمت خلال السنة الموالية، أن أغير من هذا الوضع المزري، فانخرطت في العمل النقابي و أصبحت عضوا نشطا داخل الاتحاد العام الطلابي الحر، و بحكم قوة شخصيتي وكثافة نشاطي، و تحركي الواسع في ما بين الطلبة، تم ترشيحي على رأس القائمة أثناء الانتخابات الخاصة بتشكيل للجنة الحي، لقد كانت المنافسة شديدة بين مختلف التنظيمات الطلابية، بالأخص أثناء لحظة الانتخابات، التي شهدت أعمال عنف أدت إلى حرق صندوق الانتخاب، و ذلك لما لاحظ المنافسون، أن غالبية الأصوات الساحقة، بدأت تتجه لصالح القائمة التي أرأسها.

لم نسكت نحن على هذا الفعل الشنيع، فرفعنا القضية إلى المحكمة لتبث فيها، حيث قررت هذه الأخيرة الى إعادة جولة الانتخابات، فأوفدت لذات الغرض، المحضر القضائي الذي أشرف بنفسه على رقابة هذه العملية، فكانت النتيجة أن تحصلنا على غالبية الأصوات من جديد بحمد الله. لقد أصبحنا من حينها أصحاب التمثيل الرسمي في الإقامة، فأنا مثلا و بحكم منصبي كرئيس للجنة الحي، أصبحت أشارك مباشرة مع الإدارة، في تقرير الميزانية العامة الخاصة بالإقامة، و من أجل إثبات نجاعتنا وتجاوبنا مع منتخبينا، افتتحنا مكتبا في الحي أسميناه مكتب الأوفياء، حيث كان من مهامه الاستماع إلى انشغالات الطلبة و السعي في حل مشاكلهم .

إن دخولنا على العمل النقابي كان جد مثمرا، حيث استطعنا التحسين من شروط الحياة داخل الإقامة فقمنا بتعبيد الطريق الداخلي المؤدي إلى الحي، كما حسنا من نوعية و كمية الوجبات الغذائية، وأعدنا ترميم الحجر المهترئة، و أنشئنا قاعة لرياضة كمال الأجسام، كما نظمنا الرحلات السياحية مع ضمان وجبات غذائية لائقة بها، ومنعنا حفلات DJ الصاخبة داخل الحي ". إن ملاحظاتنا المباشرة وتتبعنا لتفاصيل مسار هذه الحالة، يسمح لنا بالقول، أن الانخراط ضمن العمل الجمعوي، ساهم بشكل أساسي في إخراج الفاعل النقابي، من قوقعة الانتماء المحلي المناطقي الجزئي، القائم على" رابطة أبناء البلد "، و دفع به نحو الانفتاح على علاقات أرحب، يكون للانتماء فيها إلى الأيديولوجية، و إلى العمل التنظيمي والى شخوصه الكاريزميين الحض الأوفر، لكن دون أن يلغي الواحد منهما الآخر، إذ غالبا ما يعيد الانتماء الجزئي، إفراغ نفسه ضمن الانتماء الأيديولوجي بالأخص على مستوى التمثيل وعلى مستوى القيادة.

ملاحظة لا تخطئها العين، إذ من السهولة بمكان استبيان ذلك، و هذا من خلال " المصاحبة المباشرة"، للأعضاء التنظيم الذي ينتمي جلهم إلى لون إيديولوجي و نسق جغرافي وثقافي واحد. إن حالة UTO و C1 دليلا واضح على ذلك، بحيث لا ترى في مثل هذه المواقع، سوا طلبة الجنوب المنتمون إلى الاتحاد الطلابي الحر، ذو التوجه " الاخواني " (أي الإخوان المسلمون) و المنشؤون على التقاليد الصوفية، من يتصدرون تأطير الإقامة الجامعية تنظيميا و نقابيا، ربما يعود ذلك للمدة الطويلة التي يقضونها في الإقامة، و ذلك مقارنة مع غيرهم الذين يغادرون المكان تقريبا كل أسبوع وهذا بحكم قربهم النسبي من مقر سكناهم الأصلي، مقارنة مع طلبة الجنوب، الشئ الذي يجعلهم معنيين أكثر من غيرهم بشؤون الإقامة ووضعيات العيش داخلها، هذا على المستوى العمل الجماعي الداخلي أما على المستوى الشخصي، فان رئاسة للجنة الحي، بالنسبة للطالب الطموح تعد بداية حسنة في تكوين الخبرة الاتصالية، إذ بموجبها يتمكن الفاعل النقابي، من التردد على الإدارات والمؤسسات الرسمية في البلد، فيتكون لديه شعورا بإمكانية تحقيق المشاركة والاندماج، ضمن الحيز العمومي الخاص بالمدينة.

بناء على ما تقدم نلاحظ، أولا أهمية العمل الجمعوي في بناء مواطنة يومية، داخل الحي الجامعي فهذا الوسيط المتمثل في المنظمة (ا.ع.ط.ح)، – كما في حالة صديق – " أعاد تحويل النسيج الاجتماعي الطلابي، من حالته الطبيعية ذات الانتماء المناطقي و الجزئي، الى نسيج مدني يدعم ممارسة المواطنة ضمن إطارها اليومي " [(6)]، ثانيا، لكن في ذات الوقت على الرغم من وجود هذه الرابطة داخل " الحي "، فإنها – بحسب الحالة المعروضة – لم تنسلخ في بنائها، من جلدها العتيق السابق على مفهوم الجمعية بمعناه الحديث، أين يقطع هذا الأخير الطريق على الأشكال الأولية المسماة " بالبدئية "، و عليه فان العمل الجمعوي داخل الإقامة الجامعية بتوصيفه الاثنوغرافي الحالي، لا يجد حرجا و هو يعمل في مجال تحقيق المصلحة العمومية، من الجمع في ما بين الرابطة العقلانية الوضعانية، و الرابطة المعيارية التقليدية .

---

[6] - Lainé (F.- B), (sous sa dir), 1999, faire société, les associations au cœur du social, P 130, Paris, Syros.

5- من الإقامة إلى المدينة، مسار التجربة:

إن العمل التفاعلي و الثقافة التنظيمية الممارسة ضمن النشاط الجمعوي، أثمرت لدى صديق وعيا خصوصيا بالمكان، ذلك أن تقاطعه اليومي بمشاكل الطلبة و بانشغالاتهم الحياتية، و ما يلاقونه من مصاعب مادية أو معنوية تتصل بالمجال الاقامي، جعلت منه شخصا نقابيا نافعا يتصدر واجهة الأحداث، بحيث يتدخل مع صناع القرار العموميون، و يفاوضهم من أجل تذليل العقبات و رفع الصعوبات، مثل هذا النشاط الحيوي، شكل لدى ذات الفاعل النقابي، رأسمال علائقي منتج للبدائل وللفرص الممكنة كأن فتح له المجال أمام " بنينة العلاقات، و التي هي في حقيقة أمرها ذات طابع زبوني" [(7)] ما شجعه أكثر على البقاء و على الاسمرار في الممارسة النقابية والاحتراف فيها.

لنترك المجال لـ صديق يشرح لنا هذا المسار، إذ يقول " بحكم مسؤوليتي على رأس للجنة الحي وتمثيلي للمكتب الاتحاد الطلابي الحر، كنت على اتصال منتظم مع السلطات العمومية، فلطالما استدعاني والي الولاية إلى مكتبه، لمناقشتي في كيفيات و سبل حل المشاكل، وقع هذا مثلا بعد ما قررت في لقاء منسق مع رؤساء المكاتب، الممثلين للاقامات الجامعية، أين اتفقنا بشكل موحد، للخروج في عدة نقاط رئيسية من ولاية وهران، وذلك بغرض شل حركة المرور، احتجاجا منا على عدم تحقق المطالب والوفاء بالوعود، مثل هذه الأحداث، كثيرا ما كانت تدخلني في علاقات مباشرة، إن مع والي الولاية أو رئيس البلدية أو حتى مع الأمن، لقد بت وجها مألوفا ومعروفا لدى هذه الجهات، يستدعونني و يتصلون بي كلما دعت الحاجة إلى ذلك، أما على مستوى الجامعة، فلقد صرت على علاقة وثيقة بالمدراء و العمداء، يستقبلونني دونما حاجة إلى بروتوكولات ويرحبون بي ".

إن هذا التفاعل الرسمي الذي يبدو طبيعيا، في مواجهة الإشكالات و الصعوبات التي تعترض الطلبة المقيمين، و ذلك بالطرق و الآليات المنظمة و المشروعة، إلا أنه لا يمكن فصله على المسار الشخصي و الفردي الخاص بالفاعل النقابي، فاستئناس هذه العلاقات وارتسام وجه تشكل من خلال الاعتراك الطويل بمشاكل الطلبة، و انبناء على اثر ذلك مكانة ترسخت في الوسط الطلابي، كل ذلك سيتحول إلى مشروع والى طريقة حياة way of live ، يصعب التخلي عنها لمجرد انتهاء المشوار الدراسي الخاص بالطالب النقابي، لنستمع إليه مجددا و هو يحدثنا على مرحلة ما بعد التخرج.

---

7 - Balme (R), " La participation aux associations et le pouvoir municipale, capacités et limites de mobilisation par le associations culturelles dans la communes de banlieue " in Revue française de sociologie, 1989, N XXVIII, Paris, CNRS, PP 601-639.

" بعد تخرجي من الجامعة سنة 2007، كان من الصعب عليا العودة إلى آدرار، فماذا عساني أن أفعل هناك!، فأنا أود البقاء هنا في وهران، حيث الفرص و العلاقات التي بنيتها طوال حياتي الدراسية، إذ بإمكاني الاستفادة منها اليوم، لذلك و من أجل تحقيق ذات الغرض، مكثت في الإقامة سنتين إضافيتين، تفرغت فيها للعمل النقابي، أدرب الطلبة الجدد على التعبئة والتنظيم و أحضر اجتماعات المكتب الولائي و الوطني، و أساهم في مختلف الدورات التدريبية، بحيث كنت أكلف من قبل المكتب الوطني في العاصمة، بمهام ونشاطات مختلفة أقوم بها في العديد من الاقامات الجامعية المنتشرة عبر الوطن، في سنة 2010 استطعت تحقيق أهدافي الشخصية، المتمثلة في العمل والسكن والزواج، أما العمل فكان بفضل أحد العمداء في الجامعة، حيث توسط لي لدى مدير إحدى المؤسسات العمومية الخاصة بالتهيئة العمرانية، فاشتغلت في نفس التخصص الذي تكونت فيه، أما السكن فقد استفدت منه بفضل علاقتي الجيدة، مع الأستاذة المشرفة على تخرجي، حيث تركت لي بيتها مؤقتا بعدما التحقت بإحدى الجامعات الفرنسية، أين أصبحت تدرس هناك، أما الزوجة فكانت من تلمسان حيث تدخل الإخوة من المكتب الولائي، هناك في ترتيب الإجراءات وتسهيل المهمة، فحصل الارتباط بحمد الله ".

إن النشاط النقابي و ما يتيحه من فرص، تنتج عبر شبكة العلاقات والروابط ذات الطابع الغير الشخصاني أو هكذا يفترض، تدعو للتأمل من الناحية السوسيولوجية، في تجربة الطالب المقيم داخل المدينة الكبيرة، فإذا ما اعتمدنا على تحليلات Simmel في قراءة هذه الخبرة، فإننا قد لا نتوافق في تخريج المسارات، و كيفيات تبلورها ضمن السياق الحضري، وفق ما يطرحه عالم الاجتماع الكبير لنلقي نظرة سريعة على افتراضات Simmel، الخاصة " بتجربة المدينة الكبيرة "، فبحسبه فان المدينة الكبيرة تختلف عن المدينة الصغيرة، في كونها تعتمد في مبادلاتها الاجتماعية، على العلاقات الفر دانية الصرفة، فلا مجال فيها للعلاقات البينية ذات الطابع الحميمي، ذلك أن حالة النكران التي تميز الفضاء المديني، تشجع بشكل كبير على تعدد وتنوع أشكال البدائل و القابليات الاجتماعية، مع ضبط المسافات الواردة في مابين الأفراد، بحيث يعد ذلك شرط أساسيا، من شروط التواصل الاجتماعي داخل الحياة الحضرية، لذلك فهي تتسم بالمرونة و السعة و التشابك مع مرجعيات مختلفة، و هذا ما لا نجده في المدينة الصغيرة ذات الطابع الخصوصي.

إن القابلية الاجتماعية الحضرية من وجهة نظرSimmel ، لا يحددها فقط الاقتراب و التجاور السكني المكثف، إنما هي أيضا نتاج الفعل المتبادل، المتنوع الحاصل في مابين الأفراد، لذلك فهي- أي القابلية الاجتماعية الحضرية – تبني في مبادلاتها و روابطها على ما يسميه Simmel، بالثلث المعطل أو المدمج المتمثل في وجود " الشبكة " التي تتوسط العلاقة الناشئة، في مابين الوافدين الجدد و بين سكان الحواضر الكبرى، إن علاقة الأثلاث Ternaire هذه، تأتي في صلب التحليل الاجتماعي لدى Simmel [(8)]، في حالة تحقيقنا الآنف الذكر، فان الفاعل النقابي و إن كان يبدو من جهة الشكل، أنه يتفاعل و ينشط من

8 - Remy J, " les sociabilitée urbaines : effets de milieu et trajectoires sociales ", Grafmeyer (Y), Dansereau (F), (Textes Réunis) 1998; Trajectoires familiales Espaces de vie en milieu urbain, P 503-504-505, Press Universitaires de Lyon, 525 P

و بواسطة القنوات الرسمية ذات الصفة المدنية شكلا، إلا أنه من جهة المضمون فان حقيقة الروابط المجتمعية، تخضع بشكل كبير إلى المعايير الأيديولوجية، و المناطقية التي تتصرف و تتحكم بشكل لافت في العلاقات، التي تضبط الروابط في ما بين الأفراد إن على مستوى الشبكة كالعمل النقابي أو تطوير القابلية الاجتماعية، كما هو الحال مع الانتماء الأيديولوجي، ضمن هذه الحالة تبدو الحياة الحضرية في شكل من التركيب، تكون واجهتها حضرية، لكن باطنها عبارة عن خليط " فسيفسائي " من شتى الروابط و العلاقات، التي توظف بوجه مؤسسي أحيانا، و بوجه شخصي أحيانا أخرى .

على العموم فان الحالتين المذكورتين أعلاه، من خلال تتبع مسارها الاقامي، المتزامن مع مسارها الدراسي، يكشف عن توجه ناضج، تترجمه مختلف الاستعمالات و الممارسات للأماكن الحضرية، إن تحليلنا للخبرة المجالية للحالات المذكورة، تسمح لنا بالقول أن التداول الواعي و الناضج للمكان الذي يبديه " الطالب الملتزم " و " الطالب النقابي " على حد سواء، لا تعبر عن علاقة فوقية عارضة، تحتمها مكانة الدراسة و الوقت اللازم لها، بل على العكس من ذلك تماما، إن هذا الصنف المحقق معه من الطلبة الذي يمتلك مشروعا و وجهة واضحة، فان أشكال تملك المجال تعني، لديه الاندماج الكلي فيه و ليس الارتداد عنه و فك الارتباط معه، " أنا جئت إلى هنا، لا للعودة بشهادة الليسانس إلى بلدي لأشتغل معلمة هناك، أنا طموحي أكبر من ذلك بكثير، حيث أسعى للوصول إلى شهادة الدكتوراه وأتألق في الميدان العلمي، فلا مجال للعودة من جديد " – تقول سميرة – ، في نفس المعنى تحدث صديق قائلا، " ماذا عساني أن أفعله في آدرار، أنا كسبت علاقات و اتصالات هنا، ولست مستعدا لتخلي عنها والعودة إلى درجة الصفر مجددا " .

تحليل المسارات يقول لنا أيضا، أن الاستعمال الجيد للنقاط الحضرية، من مكتبات واتصالات ناجعة ومؤسسات رسمية و حسن توظيف " لميزانية الوقت "، تظهر عند الطالب الناضج من خلال الخبرة الواعية التي تنمو لديه مع مرور الزمن، بمعنى آخر إن عامل الأقدمية التي تعني تراكم المبادلات والعلاقات من شأنه، أن يحول الطالب الناضج إلى ذات تتصرف، من منطلق مرجعية ذاتية مستقلة يتلاشى معها نسبيا الأصل الجغرافي والأصل الاجتماعي، يترجم ذلك من خلال تمركز علاقاته واتصالاته بالمركز الحضري الذي اندمج بوسطه، إن توظيف الشهادة كوثيقة عقلانية والنشاط الجمعوى كأداة " لأجرأة العلاقات و شرعنتها " [9] تشكل من وجهة نظرنا إحدى المكونات الأساسية في بناء القابليات الاجتماعية الحضرية، لدى الطالب الناضج اليوم الساعي لاكتساب مكانة مهنية واندماجا اجتماعيا.

9- Gillet (C),(sous sa direction), 2001, Les associations, des espaces entre utopies et pragmatisme, P 15, France, presse universitaires de Bordeaux, 171 P

مقدمة:

تتحدد علاقة الطالب السلفي المقيم بالمدينة، بما تمليه عليه أيديولوجيته الدينية، فهي بمثابة البوصلة التي توجه حركته و نشاطه داخل الحضيرة، فالعقدية النقلية و العقدية العملية و طاعة الحاكم[1]، كلها متتاليات بنيوية يمكن على أساسها، فهم و تفسير كيفيات السلوك الحضري، لدى الطالب السلفي المقيم بالحي الجامعي، فبإمكاننا أن نتبين ذلك عندما نخالطه و نرى تصرفاته ونستمع إلى قناعاته، يتضح ذلك تماما ابتداء من لحظة دخوله إلى الجامعة، أين يعد الاختلاط في ما بين الجنسين سمة بارزة في التعليم العالي، فكيف يتصرف هو في مثل هذا الوضع، خصوصا وأن فتاوى العلماء [2] الذي ينتمي إليهم لا تجيز له ذلك مطلقا ؟، إن هذه المسألة تعد جد مفصلية، فعلى أساسها يتحدد و يترتب تموقعه في الوسط الجديد، فعلى أي أساس معياري سيعتمد في الانخراط، ضمن الحياة الجامعية المتناقضة مع معتقداته؟.

يجيبنا على هذه المسألة عبد الحميد، طالب يسكن في إقامة 2000 سرير، سنة أولى في علوم الأرض، و متمسك جدا بالمتتاليات الثلاثة المشار إليها أعلاه، حيث يقول: " إن الاختلاط فيما بين الجنسين في الجامعات محرم شرعا، لكننا مضطرون للعمل بالقاعدة الشرعية التي تقول أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، فلو تركت الدراسة مثلا و بقيت في البيت لجلبت على نفسي سخط الوالدين و عدم رضاهم عني و هنا المفسدة أكبر، إذن فالدراسة في وسط مختلط أهون عليا من إغضاب الوالدين، ضف إلى ذلك أنه ينبغي عليا كسلفي، أن أشتغل هنا للدعوة و لنشر السنة أكثر ما ينبغي أن أنشغل بطلب العلم و الدراسة، والذي لا يجب أن أهملهما أو أتخلى عنهما هما أيضا ".

من هنا يمكننا أن نتصور الكيفية التي على أساسها، سينظم الطالب السلفي سلوكه في الوسط الجامعي، المختلط في النوع و المعتقد و السلوك، و كيف سيتعاقد مع المكان المحيط به، إن ظهوره على خشبة المدينة بهذا المعنى، سيجعل من سلوكه يتسم بمواصفات تنظيمية معيارية، تتحرك في إطار الجماعة، داخل وسط مديني متردد بين تفتيت الكيانات التقليدية العتيقة، و بين إعادة ترميمها واستئناسها [3]، بالمعنى الأنثروبولوجي، إن علاقة الطالب السلفي المقيم بالفضاء الحضري، تستوجب إعادة مسائلة

---

[1] - حول علاقة المتتاليات الثلاثة المؤسسة، و دورها في ظهور الدولة السعودية الناشئة سنة 1932 م، تحدث نبيل مونيل في دراسته السوسيو التاريخية الموثقة، عن التلازم الموجود في ما بين العقدية النقلية و العقدية العملية و النظام السياسي، لقد تشكل هذا العقد، منذ اللحظة التي حصل فيها التوافق في ما بين الشيخ محمد ابن عبد الوهاب " الداعية المجدد " و أمير واحة الدرعية محمد ابن سعود سنة 1744م، لقد أسفر عن هذه الصفقة التوافقية ظهور الفكر الوهابي الحنبلي، حيث كان بنو سعود في أمس الحاجة إليه و هم يسعون نحو تحقيق طموحهم في الملك، أقول ان هذه المفاهيم الأيديولوجية المؤسسة تاريخيا – مثلما بين صاحب الكتاب - و ما تنطوي عليه من مظاهر سلوكية و تمثلات خيالية ملزمة، تعتبر المسطرة التي يسطر بها صنف من السلفية اليوم – و الطلبة جزء منهم - علاقاتهم ومختلف مبادلاتهم، هذا بغض النظر عن اختلاف مواقعهم و أنشطتهم. عن الأيديولوجية الوهابية الحنبلية و كيفية بسط سيطرتها عبر شبه الجزيرة العربية، و كيفيات اتساعها و انتشارها أنظر: Mouline (N), 2011, Les Clercs de L'Islam, Paris, PUF, 357 P

[2] - بن باز ع، العثيمين م، الجبرين ع، فتاوى النظر و الخلوة و الاختلاط، ط1، السعودية، دار قاسم للنشر و التوزيع، 1416.

[3] - يتساءل F.Laplantine في إطار أنثر وبولوجي عن المواصفات التي يأخذها الدين في زمن تلاقي الثقافات و تسارع الزمن و الشك في وثوقية التقاليد ووعود الحداثة، عن مصير

مفهوم " رابطة الجماعة "، و علاقتها الجدلية المستمرة بمفهوم " الفردنة "، و هذا في إطار الاستعمالات المختلفة للحيز العمومي و أشكال تداوله، لنتابع هذه المسألة ابتداء من الجامعة وذلك باعتبارها قطاع مديني من الناحية المبدئية، يشتغل وفق معايير عقلانية مشروعة و رسمية .

2- سلفي في الجامعة، ثنائية الديني و الدنيوي:

بداية إن قرار الشاب السلفي بالتوجه نحو التكوين الجامعي، هو فعل قائم على مرجعية يتداخل فيها الديني بالدنيوي، هل لنا أن نذكر أن التحاقه بمختلف التخصصات في الجامعة، علوم دينية كانت أم علوم اجتماعية، و علوم طبية سواء أو علوم رياضية و إلكترونية، أمر يشير إلى ما يسميه Dumont " بالفرد داخل العالم " [4]؟،أي أن الطالب السلفي لا يختلف في شيء عن أقرانه الطلبة الآخرين، من حيث الرغبة في النجاح و التحصيل الدراسي، وذلك من أجل الوصول إلى الشهادة، و الانخراط بعدها في الحياة المهنية و الحياة الاجتماعية، لكن في ذات الوقت، هل لنا أن نذكر أيضا أن اتساق ذات الطالب و التزامه ببرنامج ممنهج تعلمي ديني، يمشي بالموازاة رأسا برأس مع المعرفة الأكاديمية المؤسسية الرسمية، يدل ويشير عن وجود " الفرد خارج العالم " ؟.

أي بمعنى العضو الذي يعيش، لأجل الطائفة و يسعى للتحقيق الخلاص و الطهر، الضروريان للحياة الأبدية ؟،كيف يمكننا فهم هذه " الازدواجية البيداغوجية "، التي تجمع بين البعد الأفقي والبعد العمودي في ذات الوقت ؟،كيف يجمع الطالب السلفي في يومياته، بين الثقافة المشروعة والثقافة الغير المشروعة، أو بين المعرفة الموضوعية و المعرفة الذاتية ؟، إن الأخصائيين في الشأن الديني يقولون "أن الظواهر الدينية في العالم الحديث، تعمل بشكل متراكب متداخل hybride مع مختلف الظواهر الاجتماعية الأخرى، معتمدة في ذلك قدرتها على " التصيد braconnage " و " الترقيع bricolage " ، و " اللصق collage " [5]، فإلى أي مدى يتفاعل هذا التصور مع الواقع الحقيقي الملموس ؟.

مفهوم الجماعة التقليدي و أساليب تكيفه مع هذا السياق الجديد، الذي يبدو " كضرورة وكصعوبة " في ذات الوقت، حول هذا الإشكال يجيب المؤلف بطريقتين مختلفتين يشخص من خلالها وضع الديني في صورته الجديدة، 1) الديني بالاختزال و التباين: يتصف فيها الديني بالانطواء داخل حدوده و يرفض الاختلاط مع الآخر و يفضل غالبا المواجهة، ينطبق هذا الأمر على كل الأصوليات الدينية كالكاثوليكية و البروتستنتية و اليهودية و كذا الإسلامية. 2) الديني بالتعدد: يتصف الديني هنا بانتشار جديد يتجاوز فيه النظرة التقليدية و يسمح بتلاقح وتعايش معتقدات متنافرة في أصلها ينتج عن ذلك معتقدات هجينة، مثاله حركة الجيل الجديد في الولايات المتحدة الأمريكية و الوثنيون الجدد في البرازيل. هذا الاستقطاب الحاصل اليوم في الحقل الديني هو ما تحصده و تجنيه المركزية العقلانية المهيمنة على الغرب المعاصر

يقول المؤلف.أنظر: Laplantine (F), Pensé Anthropologiquement la Religion ", in Anthropologie et Société, Vol. 27, N 1, 2003: 11-33, p.11-33

[4]- Dumont (L), 1983, Essai sur l'individualisme, une perspective anthropologique sur l'idéologie moderne, Paris, Edition le seuil, 267 P

[5]- Lambert (Y), Michelat (G), Piette (A), 1997, le religieux des sociologue, P 24 ,Paris, Edition L'harmattan, 254 P

لنقترب و نرى، يحدثنا أبو أيمن، 22 سنة، السنة الثالثة، تخصص علوم الأرض فيقول " لدينا برنامجا علميا نلتزم به، نحن السلفية داخل مصلى السنة في الإقامة، حيث نجلس في حلقة مكونة من أربع عشرة فردا، لنتدارس الكتب و نحفظ المتون النافعة و ذلك على النحو التالي، نفتتح هذا البرنامج عقب كل صلاة مغرب مباشرة، بتدارس رسالة في الأصول الثلاثة، للشيخ محمد ابن عبد الوهاب وهي رسالة عظيمة في التوحيد، يشرف على تقديمها و شرحها لنا، أخونا أبو جابر إمام المصلى ندرس كذلك رسالة التأصيل في طلب العلم الشرعي، للشيخ عمر البازمول و هو أحد أبرز تلامذة الشيخ ناصر الدين الألباني، يلقيها على مسامعنا ذات الأخ المشار إليه، كما ندرس أيضا كل من كتاب أصول الفقه للإمام الجويني، و كتاب الفرائض المعروف باسم الرحبية، و الأربعين النووية للإمام النووي، و بعض المتون الأخرى في أحكام التلاوة، كمتن الجزرية و تحفة الأطفال، يتعاقب على تدريس هذه النصوص، بعض الإخوة المتمكنين في العلوم الشرعية، أما حفظ القرآن و استظهاره فيتم داخل الحجر بشكل منفرد و هذا بعد صلاة الصبح مباشرة " .

في أوقات الفراغ الأخرى، كأوقات الاجتماع على تناول الطعام الجماعي في الحجرة، أو السمر، فان ذات الجماعة تستغل لقائها في مناقشة المسائل الدينية، أو الاستماع إلى أشرطة شيوخ السلفية ولمراجعة نجاعة هذا الجهد البيداغوجي و مدى رسوخه في أوساط المتلقين تنظم للجنة المصلى بإشراف الإمام، مسابقة يقسم فيها المترشحين إلى مجموعات من ثلاثة إلى أربعة أنفار تطرح عليهم أسئلة حول البرنامج الذي تلقونه، و يتم التنقيط بحسب الدرجة التي يستحقها المعني بالأمر، فيتحصل المتفوقون منهم في نهاية المطاف على جوائز رمزية، تماما مثلما يحصل في الدراسة الجامعية، حيث يدرس الطالب في مقاييس متعددة، يمر بعدها إلى إجراء الامتحانات و الفحوصات اللازمة، الضرورية في انتقاله و نجاحه، فنحن إذن أمام برنامجا بيداغوجيا متكاملا, لا تنقصه سوا الشهادة الرسمية، الدالة على تكون الطالب السلفي في المعرفة الدينية ذات الطابع الخصوصي !!.

لكن كيف يستطيع الطالب السلفي، الملتزم بهذا الجهد البيداغوجي, أن يوفق بينه و بين دراسته الجامعية ؟، يشرح لنا أبو أيمن هذه المسألة فيقول، " عندما نقترب من الامتحانات نكتفي باستظهار القرآن فجرا، و نخصص المساء بعد صلاة العشاء للمراجعة الدروس المقررة في الامتحانات الجامعية، كما أننا نقلص من وقت الحلاقات في المصلى، فنكتفي بما نسمعه من قراءة للبعض الأحاديث، التي يقدمها الإمام بعد صلاة المغرب, في وقت لا يتجاوز الربع ساعة فقط، ثم نلتفت بعدها إلى مراجعة دروسنا، و ذلك من أجل الاستعداد للامتحانات " .

ما هي الدلالات الممكن استنباطها بحسب ما تقدم ؟، فبغض النظر عن المضامين البيداغوجية التي تتدخل في بناء الشخص السلفي وفي تعريفه، و التي قد تتشابه لدى أفراد هذه الجماعة في مجالات وسياقات مختلفة، فإنها على أرض الجامعة تعني الكثير. إن دخول الخط السلفي على الجامعة من خلال تبني " خطة البيداغوجية المزدوجة "، تعبر عن ضعف في " الاعتقاد والإيمان " بالمعرفة الجامعية و قيمة شهادتها في سوق العمل، فالمستقبل في هذا الاتجاه يبدو ضبابيا و غير مؤكد، لا يحضى بالثقة الكاملة و الاطمئنان اللازمين، تجاه الانخراط والاندماج في الحياة المهنية و الاجتماعية في مثل هذا السياق نعي معنى الاعتقاد في

العلوم الشرعية، والمعرفة الدينية و الالتزام بها جسديا حيث تستعمل كهامش مفضل و متاح، لتحقيق إعادة الاعتراف و الاندماج ضمن المجال الاجتماعي العام، الذي لا يخضع بالضرورة في تصرفاته إلى للممارسات الرسمية .

على العموم فإن الطالب الجامعي السلفي، يبدو هنا مزدوج الشخصية في تعامله مع المعرفة بشقيها الديني و الدنيوي. معرفة تعطيه حضوضا وافرة في تحقيق الاندماج الاجتماعي، و هذا هو شأن المعرفة الدينية، و معرفة، الاندماج المؤسساتي و المدني فيها غير مؤكد، لكن من المهم السعي في تحصيلها، و ذلك مادام النجاح فيها يخضع، للعبة الحض وعشوائية الفرص، و ليس إلى التنظيم العقلاني المدروس و المخطط له، و هذا هو شأن المعرفة الجامعية، بهذه التركيبة فإن الطالب السلفي في المؤسسة الجامعية هو " فرد مرمم" (l'individu bricoleur) [6]، مرن، يتردد في ذات الوقت بشكل مفتوح بين دائرتي " الفيضي و الفرداني"، ينتمي فيهما إلى الشكل المؤسسي الموضوعي الرسمي والحديث، و إلى التشكيلة المجتمعية الذاتية، لكن مع الانقطاع و الرفض التام لخصوصياتها المحلية، أو بنيتها الانقسامية، التي يتشكل منها أساسا الدين الرسمي للدولة.

إن هذا الترميم أو " الترقيع "، المباشر على أرض الجامعة، يحمل في طياته دلالتين اثنتين الأولى هي ذات طابع محلي تعبر عن خيبة أمل من المشاريع التنموية، وعملية التحديث المتعثرة التي باشرتها الدولة في ما بعد الاستقلال، حيث كان حصادها الفشل الذر يع والعجز البالغ، في إيجاد حلول ملموسة للحشود المتزايدة من خرجي الجامعات، فالتدين الطلابي الممثل في شخص السلفية، هنا يعد نوعا من الرد على هذه الخيبة " le désenchantement "، ببديل من الرمزية الدينية المستجدة والتي عادة ما يتدعها المجتمع في مثل هذه الحالات، أما الدلالة الثانية، فهي ذات طابع كوني، تظهر فيه السلفية كنسق عابر للحدود و للأقاليم، " حالة عرفتها كل من النزعة الإنجيلية البروتستنتية والأورثدكسية المتشددة، و الكنيسة الكاثوليكية و اليهودية و كذا البوذية، وذلك في سبيل إعادة التكيف مع الحيز العمومي والانخراط فيه، يتبلور ذلك كله ضمن إطار النقاش المطروح، في ما بين النزعة اللادينية العلمانية و النزعة الدينية " [7].

3- سلفي في الحيز العمومي:

لنعيد تحليل هذه المسألة من جديد، و نرى كيف يتداول الطالب السلفي الشأن العام، وكيف يتقاطع مع غرمائه في الإقامة الجامعية، إن العرض الاثنوغرافي في مثل هذا المجال، يعد ضروريا من أجل إدراك الحقائق على الأرض و كيفية انبنائها، لنستعرض هنا بعض النماذج الدالة، التي تحكي مباشرة سلوك الطالب السلفي داخل المجال الحضري، فخالد 22 سنة، السنة الثانية تخصص ترجمة و عضو قيادي في الاتحاد العام الطلابي الحر UGEL يقول " في الدخول الجامعي2007/2008 نظمنا مسيرة انطلقت

6- Keck, F.2004 « individu et événement dans la pensée sauvage », les temps modernes n628 AOUT- SEPT-OCT.59 Année, pp37-57

7- Roy, O. 2008 «sécularisation et mutation du religieux », Esprit, n 348 pp 07-17

من بوابة الإقامة حتى بوابة الجامعة، سجلنا من خلالها احتجاجنا و استيائنا من الدخول الجامعي السيئ الذي عانينا في بدايته من وجود نقص حاد في المواصلات الجامعية الخاصة، كما طالبنا برفع المنحة حيث كان الجميع موافق على هذا المطلب، لقد أعلنا حينها عن إضراب عام، بلغت نسبة نجاحه على مستوى ولاية معسكر تحديدا 98% و على مستوى الوطن إجمالا 92%.

لقد تفاجئنا حينها عن حملة التشويه التي قادها ضدنا، الإخوة السلفيون حيث اعتبروا خروجنا لشوارع محتجين، عمل منكر و لا يجوز دينيا و أننا فرقة ضالة، لقد أطلقوا علينا اسم " الاتحاد السام الطلابي المر "!! و دعو الطلبة في الإقامة لمقاطعتنا وهجرنا "، ما دفعنا للرد عليهم في نشاطات و ندوات حملت شعار " لا للتحريم العمل النقابي"، مثل هذه الممارسات تثير اهتمامنا، إذ أنها تتصل مباشرة بكيفية التعامل مع المصلحة العمومية المشتركة و النقاش الدائر حولها، حيث تشارط المعيارية الدينية الممارسات العامة و التعبير عن كيفيات استعمال المكان وإدارته، من قبل أناس غير متجانسين في الفكر و السلوك ،و يقتسمون العيش على نفس الرقعة.

من ذلك الاستعمال العقدي للحيز العمومي من قبل الطالب السلفي، إذ لا تجيز مرجعيات هذا الأخير أن يوظفه للاحتجاجات المطلبية، لأن ذلك لا يحل المشكلة من وجهة نظره، بقدر ما يراكم المفاسد فيترتب عنها خروجا معيبا و غير مشروع على طاعة الحاكم، يقول أبو جابر 23 سنة طالب في السنة الرابعة علوم تجارية و إمام مصلى " السنة " بإقامة 2000 سرير مفتخرا، " لقد سئلت إحدى الصحفيات مدير إقامتنا، ألا تخشى من تزايد أعداد الطلبة السلفيين لديك، من إثارة الاحتجاجات أو القيام بالإضرابات، فأجابها مبتسما: إن الطلبة السلفيين، لا يقومون بمثل هذه الأفعال، فمبادئهم تنهاهم عن ذلك، وأنا جد مطمئن من هذه الناحية " .

من المهم أن نشير هنا، أن جماعة الطلبة السلفيين داخل الاقامات الجامعية، لا يشتغلون تحت أي إطار تنظيمي رسمي، بل هم عادة ما يزدرون العمل النقابي و ينظرون إليه، على أنه ذو أهداف حزبية مقيتة تنطوي على الكثير من المنكرات، المخالفة للدين و التي يأتي على رأسها فعل المعارضة المخالف لمبدأ الطاعة و الولاء للحاكم، بهذا المعنى فان الجماعة السلفية، تتصرف داخل الحيز العمومي بشكل تطوعي، معتمدة في ذلك على رصيدها الأخلاقي، وعلى ما تتحصن به من روابط إيديولوجية و أخوية [8]، إلا أنها في ذات الوقت تضطر للاستعانة أحيانا، بالمنظمات الرسمية التي تعج بها ساحة الإقامة في إنفاذ بعض أنشطتها!!، فأبو جابر الإمام يقول " لقد كان بيننا و بين AREN تعاونا، حيث كنا نستدعي باسمها في بعض الأحيان المشايخ لإلقاء المحاضرات ".

[8] - يذكرنا هذا التصرف داخل الحيز العمومي، بما يشبه الحالة التي سبقت ظهور البورجوازية في الغرب، لقد كان الحيز العمومي حينها محتكرا من قبل الإقطاع و العلاقات الشخصية، إن بنائه كان من التمثلات، أي بمعنى من استعمال العلامات و كيفيات الظهور والحضور وطرق البلاغة و التعبير يختصر لنا جورجيان هابر ماس هذا المعنى فيقول " في كلمة واحدة، بشيفرة جازمة في السلوك... يمكن للفضيلة ما أن تتمثل ظاهرة أمام أعين الناس" (بالتصرف الشخصي)، أنظر: Habermas (J), 1962, L'espace public, Archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société Bourgeoise, P20, Paris, Edition Payot, 324 P.

مثل هذه السلوكيات تنصب التساؤل، على الفعل التبادلي داخل الإقامة وتدعو، إلى التفكير في منطق الممارسة داخل الحيز العمومي، فلماذا يستعين السلفيون بمنظمة، جل نشاطها قائم على حفلات DJ الصاخبة و المختلطة و على تنظيم الرحالات التي يختلط فيها الحابل بالنابل و لا يراعى فيها أي خلق أو وازع ديني، مثلما يتردد ذلك عند الطلبة ؟، أما كان على السلفيين أن يلجئوا إلى الاتحاد العام الطلابي الحر ذو الخلفية الدينية، القريبة من توجهاتهم الأخلاقية ؟، كيف يبرر السلفيون هذا التمييز وعلى أي أساس معياري يزاولونه؟، إن الجواب على هذه الأسئلة، من شأنه أن يكشف لنا بوضوح عن التنظيم و التقسيم الاجتماعي للحيز العمومي من وجهة نظر سلفية، يقول أبو جابر " عن تعاوننا مع AREN و ليس مع UGEL.

ذلك أن الفصيل الأول على ما به من انحرافات في السلوك، إلا إنهم في الأصل " عوام "، أي أنهم أناس على الفطرة فعقيدتهم لم تتلوث و لم تنحرف، لذلك فنحن نتعامل معهم من باب الضرورة وكذلك لدعوتهم، بينما الفصيل الثاني، فهم ينتسبون إلى جماعة الإخوان المسلمون، وهم في نظرنا فرقة ضالة تمارس البدعة، لذلك وجب هجرها و عدم التعامل معها "، لا يمكننا فهم هذا الشكل من أشكال التعاقد إلا على قاعدة الخالص و الغير الخالص، أو النفيس والخسيس، الذي يقسم على أساسه الطلبة السلفيون الحيز العمومي، فالبحث على الأخلص والأنفس هو من مسلمات، عقلانية سلوك الجماعة كما هو متعارف عليه كلاسيكيا [(9)]، لكننا لا يمكننا أن ننفيا في ذات الوقت السلوك الذرائعي البراغماتي كما هو معلوم لدى الطلبة السلفيين.

فحرصهم على العلاقة الطيبة مع إدارة الإقامة، و شكل التحالفات التي يعقدونها مع المنظمات، كلها تعبر عن محايثة ما يتداخل فيها الخالص بغير الخالص، بهذا المعنى يمكننا القول أن مسألة الاستقطاب الثنائي العتيد، القائم بين مفهومي الجماعة والمجتمع كما هو مطروح عند F- Tonnës قد تم تجاوزه ذلك أن الطلبة السلفيين بحسب ما تقدم، يؤسسون لخرق جديد يحدث بين كيانين مختلفين، كيان الجماعة الذي توحده العقيدة، وكيان المجتمع القائم على علاقات المصلحة و الروابط الإنسانية إن العقدية النقلية والعقدية العملية، تدخلان هنا في امتحان حقيقي خصوصا، لما يحتك ممثلوها بواقع ليس كله متجانسا.

يمكننا ملاحظة ذلك على نحو آخر، فعلى الرغم من قولهم " ببدعة العمل التنظيمي "، ورفضهم لأي عمل حزبي أو سياسي – أو هكذا يبدو إلى حد الآن –، المنافي و المناقض لوجود الحيز العمومي، فان الطالب السلفي المقيم بالحي الجامعي يبدي ممارسات و تصرفات هي من صميم تطوير، هذا الإطار الحيوي الضروري لبناء حياة اجتماعية حديثة، فهو مثلا لا يخترق الطوابير التي يقيمها الطلبة عند المطعم داخل الإقامة لأخذ وجباتهم الغذائية، أو عند الحافلة الخاصة، ولا يرمي النفايات أو يقوم

بحسب هذا المعنى فان التصرف السلفي، مثلما تعرضنا إليه داخل الحيز العمومي، يشتغل على إعادة ترتيب العلاقات و تنظيمها على قاعدة من المعيارية، تقصي و تدمج بحسب التوافق مع المتتاليات الثلاثة الأنفة الذكر، يأتي هذا كله في معرض المنافسة الشديدة الجارية بين وكلاء " البضائع الأيديولوجية " داخل الإقامة
و ذلك في سعيهم لكسب الرهان و السيطرة على الحيز العمومي.

9 - حول مفهوم الطائفة و علاقته بتطور الرأسمالية أنظر
Weber (M), " L'épanouissement de l'esprit capitalistes ". Enquête Janvier 2006, n 07, PP 1-16

بالفعل المخل بالحياء داخل الفضاءات العامة، حضوره ضمن هذه التجمعات، موجب في حد ذاته للاحترام ومراعاة الحدود فتطفأ السجائر عند وجوده و يقلل من اللغط، أو التلفظ و المجاهرة بالكلام الغير اللائق، أما داخل الأجنحة حيث الصخب و الضجيج السمة الغالبة على المكان، إذ ترتفع أصوات الموسيقى والغناء في جميع الأوقات، مخترقة بذلك خصوصيات الآخرين حتى داخل حيزهم الحميمي فان الطلبة السلفيين المتواجدين في عين المكان، ينفرون في شكل جماعي من أجل تنقية الجناح من "التلوث الصوتي "، بحيث يقودون حملة توعية داخل الحجر التي ينبعث منها الضجيج، فيلزمون أصحابها " ترغيبا أو ترهيبا "، حتى يكفوا عن إيذاء جيرانهم، هذا فضلا عن خطب الجمعة أين يتحدث الإمام السلفي بالصوت المدوي، ناهيا عن مثل هذه " المفاسد " التي باتت موضع قلق داخل الأجنحة.

بهذا المعنى فان " معادلة الدين وإعادة النظام بحسب تعبير Khosrokhavar [10] تعد سمة من سمات الشباب الملتزم دينيا "، فالكيفية التي يقدم بها الطالب السلفي نفسه في مثل هذا السياق التفاعلي مرتديا في ذلك القميص القصير، والطاقية البيضاء و مرخيا للحيته الكثة، ومتسلحا بالفصحى و البلاغة الدينية، كل ذلك يجعل منه شخصا مفضلا و مؤهلا أكثر من غيره لإعادة التوازن إلي المكان، إن "الاستقامة الدينية " بحسب ما أسلفنا، هي أداة فاعلة في إعادة تنظيم المجال و امتلاكه.

إن مسالة الأصوات المثيرة للضجيج داخل الإقامة، باتت تشكل أرضية نقاش مشتركة topos في ما بين المتدخلين في الشؤون العامة الخاصة بالطلبة، إنها مسألة تتصل " بالمصلحة المشتركة " و بحرية البعض تجاه البعض الآخر، بمعنى آخر، إن مسألة تنظيم الأصوات المرتفعة داخل الإقامة، ترتبط بكيفية تقاسم الحيز العمومي، في ما بين أناس محكوم عليهم بالعيش معا، لقد لاحظنا و بشكل مفارق التناحر الحاصل حول إدارة هذه المسألة على الأرض، فطرفي النزاع الممثلين في التيار الديني بشقيه السلفي و الاخواني [11]، – على ما بين هاذين الفصيلين من قطيعة و نفور – من جهة والمنظمات الطلابية " الغير الدينية " من جهة أخرى، غالبا ما يحتكمون إلى العنف و الشجار خصوصا عندما يتعلق الأمر، بإقامة الحفلات الموسيقية الصاخبة أو إحضار المغنيين داخل الإقامة حيث تمتد أصوات الضجيج ليصل مداها ليلا، إلى حد الأحياء الحضرية المجاورة، إن المتدخلين المؤيدين يرون من حقهم القيام بمثل هذه النشاطات، مثلهم في ذلك مثل الطرف المناوئ، الذي يستضيف الشيوخ من أجل تقديم محاضرات، في الوعظ و الإرشاد أو ينظم حفلات الإنشاد الديني فلماذا إذن يحجرون حقا على طرف يجيزونه هم لأنفسهم ؟!.

---

[10]- Khosrokhavar (F), 1997, L'islam des jeunes, P Paris, Flammarion, 323P

[11] - يكتفي السلفية في مثل هذه الأمور بأسلوب المناصحة و ممارسة الضغوط بالخصوص داخل الأجنحة و ضمن علاقات الجوار، بينما التيار الاخواني المنظم ضمن الاتحاد العام الطلابي الحر يتبع و يراقب من خلال خلاياه و مكاتبه المنتشرة في مختلف الاقامات الجامعية
و إذا ما ترام إلى أسماع مناضليه أن ثمة حفل موسيقي صاخب ينتشر فيه الاختلاط والممارسات الحرة فانه يسعى بشتى الوسائل للإيقاف هذا النشاط و منعه، يتم هذا بالأخص في اقامات البنات.

إن مناط التخاصم بحسب ما تقدم، يعود إلى كيفيات تداول المكان وتنظيمه، حيث تعتمل في عمق الموضوع لائحة القيم و المعايير، التي تبدو بشكل مفارق في الجانب الديني، أكثر ضبطا لمسائل ليست بالضرورة دينية، كمسألة الحريات و البيئة و النظام الأيكلوجي، إننا نستشف هنا من خلال ما تقدم أننا أمام " علمنة " جديدة، لكن لا تشبه بحال العلمنة التي بشر بها Gauchet، بحيث يترتب عن بلوغها بحسبه " خروج من الدين " و تجفيفا لينابيعه [12] ، على العكس من ذلك تماما.

إن الطالب السلفي داخل الإقامة يضطلع بأدوار جد مدنية لا تخاصم الواقع أو تلفظه، فهو يشارك في الدورات الخاصة، بكرة القدم مع مختلف الأطياف، يساهم في حملات التبرع بالدم، يقود حملة نظافة و جمع النفايات داخل الإقامة إن الطالب السلفي بحسب تعبير Olivier Roy " ليس معاديا للحداثة، إنما هو نتاج لها " [13] .

3) سلفي في المدينة:

ليس من قبيل الصدفة أن يتميز الطالب السلفي عن غيره، بمواصفات خاصة في الانتشار والتوزيع داخل الحواضر، و لا من قبيل الاعتباط أن يظهر في أوقات و يختفي في أخرى، ويبرز في مجالات معينة و يغيب عن أخرى، انه على أساس من المعيارية يهندس خطواته ويرسم خارطة حراكه وتحركه في المجال، فهو مثلا لا يتردد على المقاهي، أين يكثر اللغط وشرب السجائر، لأن ذلك من وجهة نظر دينية، يخدش في المروءة و يسقط الشهادة، و لا يجلس على الطرقات و الأماكن العامة بشكل طقوسي [14]، وذلك تجنبا للمعاصي و الفتن، ولا يزاحم الناس على مدرجات كرة القدم، فضلا عن قاعات السينما أو قاعات الحفلات و المسرح، لما فيها من منكرات و مخالفات شرعية، يسرع الخطى و يغض من بصره في الأماكن التي يتقاطع فيها الجنسين، لأنها " أماكن شبهة "، جل وقته يقضيه بين فصول الدراسة و قراءة الكتب وسماع الأشرطة الدينية من جهة

و بين مجالسة أفراد الجماعة في الحلقات الجارية، إما عند أو داخل المسجد، أو في الحجر من جهة أخرى، انه يمثل بذلك وجها تطهريا يغالب أو يوازن به صورة المدينة " المدنسة "، التي فقدت المعنى أو تكاد بسبب " العقلنة الكثيفة " التي استوطنت المراكز و الحواضر، و شجعت تعميم تقسيم العمل المعمق، الهادم لأطواق التضامنات الطبيعية القائمة على التماثل و التشابه.

تقفيا لهذه الخطوات نتساءل، ما الذي تعنيه الحياة داخل الحضيرة، بالنسبة للطلبة السلفيين ؟، كيف يستغلون وجودهم بداخلها ؟، كيف يظهرون على خشبتها ؟، مثل هذه الأسئلة ستسمح لنا بالتعرف على الخريطة الحضرية الخاصة بذات الطالب

12- Gauchet (M), 1985, Le désenchantement du monde, une histoire politique de la religion, Paris, Edition, Gallimard, 306 P.

13- Roy (O), " Quel archaisme ", Autrement, " Islam, le grand malentendu ", hors serie, N 95, 1987, P. 207-213

14- بحسب أحد شيوخ " و لاة الأمور "مثلما يطلق عليهمن و عن سؤالنا له لماذا لا يعتاد السلفيون المقاهي العمومية؟، أجابنا قائلا : أن ذلك ليس بحرام، انما يعد من خوارم المروءة التي تسقط شهادة الرجل و تجرحها، فانه من باب الورع ، وجلب على الطاخ الملتزم اجتناب الظهور في مثل هذه الاماكن ".

السلفي، فبالنسبة للجماعة السلفية فان العواصم و الحواضر والمدن الكبرى هي ذات أهمية عقدية قبل أي اعتبار آخر، فهي تتناغم مع المحتوى الأيديولوجي للاتجاه النصوصيي والكتابي المفضل لدى الجماعة [15]، إذ تعتبر المقر الرئيسي الذي تتواجد فيه المعاهد الدينية، كما تحفل بوجود المشايخ والعلماء والدعاة وطلبة العلم الشرعي، وتنتشر فيه المكتبات والمعارض المحتضنة للمنتج الديني، و عليه فان تواجدهم داخل الاقامات في المدن، يعد فرصة سانحة ومبررا منشطا لحراك يحدث على " أرض المشايخ "، نور الدين مثلا طالب في السنة الرابعة علوم تجارية، 24 سنة، و يعمل بالموازاة في التجارة و أحد النشطاء في إقامة 2000 سرير، هو شخص كثير التردد على العواصم الكبرى في البلد، فالدافع التجاري و الدافع الدعوي يضطرانه لذلك، فهو يترصد حركة المشايخ يتتبع أخبارهم، يتصل بهم، يزورهم في بيوتهم و يجالسهم، ويتبادل معهم أطراف الحديث، فيطلعهم على أحوال الإخوة السلفيين في الجامعة وفي الإقامة، وعن مدي حاجتهم لدعمهم وتوجيههم، حتى يتمكنوا من " نشر السنة و التوحيد الصحيح .

إن نور الدين فاعل إعلامي مهم في الوسط السلفي الطلابي، لديه أرقام الهواتف الخاصة بجميع المشايخ، يتنقل عبر مختلف الاقامات الجامعية الموجودة على أرض الوطن، ينظم وينسق مع "الإخوة" النشطاء، الملتقيات و الأيام الدراسية التي يحضر فعالياتها رواد الجماعة السلفية.

فتعطي بذلك مظهرا ملفتا لا تخطئه العين، إذ بإمكان الناظر أن يرى و هو يقف عند بوابة الإقامة الجامعية، أو عند مدخل الجامعة، كيف تتوافد الجموع من الطلبة (بشقيهم الداخليين والخارجيين) و من غير الطلبة متجهة نحو الإقامة لتملأ قاعة المحاضرات، فتستمع وتشاهد " نجوم " التيار السلفي، التي جاءت لتسمع صوتها و تعبر عن و جودها
و كذلك لتوسع من رقعة حضورها وانتشارها على أرض الجامعة و الإقامة ككل.

لنستمع إلى نور الدين و هو يحدثنا عن دوره، في إعطائه للنشاط السلفي واقعا ملموسا تكون فيه علاقات المدينة إحدى دعاماته الصلبة، يقول " أنا أعلم أن لدى المشايخ برنامجا مكثفا، على طول أيام السنة، من بين بنوده تخصيص دورة كاملة

---

15 - يميز Gellner بين الدين الحضري و الدين الريفي على النحو الآتي: " الصنف أ: الإشارة منصوبة فيه على الكتابات و بالتالي على التعليم.- قائم على النزعة التطهرية و على غياب الأيقونات و المنحوتات.- فهو عبارة عن توحيد جازم – والمساواة في ما بين المعتقدات والتقليل من التراتبيات.- غياب الوسيط و المغالاة في العبادات. يميل إلى الاعتدال و إلى البساطة.- يركز على ملاحظة القواعد و ليس على إتباع المشاعر. " " الصنف ب: قائم على شخصنة الدين مع الميل إلى تأليه الولي.- يتميز بإباحة طقوسية وغياب النزعة التطهرية .- تتعدد فيه أنواع المقدس في صور مادية.- يتصف بتعددية في الديني و تجسيدات محلية للمقدس .- حضور التراتبية و الوساطة فيه رائجة "،(ترجمة خاصة)، أنظر :
Gellner(G), 2003, Les Saints de l'Atlas, sur l'économie de bazar, p 23, Paris, Edition Bouchéne, 374 P
لكن هذا التصنيف بحسب ملاحظتنا، و إن كان في فترة الستينيان و السبعينيات يلامس الواقع إلا أنه في الفترة الراهنة لا يبدو متماسكا، لقد تجاوزت الوقائع الاجتماعية هذا التقسيم، فلم يعد الريف مدخرا للعبادات الشعبية و الطقوس الوثنية كما من ذي قبل، إن المد السلفي في المناطق الطرفية و القرى و المد اشر الداخلية – معاقل الزوايا و الأولياء – أصبح كاسحا ومتغلغلا مثلما تراه العين و تسمعه الأذن، بينما النشاط الصوفي المنكب على تأديب النفس والاشتغال على الروح، فقد ترك مواقعه العتيدة و غزا المدن و الحواضر و اختلاط بقضايا الشأن العام و أصبح جزء من المشهد السياسي المعاصر، فحزب الإصلاح الوطني في مصر و حركة العدل و الإحسان في المغرب، علامتين دالتين على ذلك التحول ،حيث ينتمي الحزب الأول إلى الطريقة العزمية و ينتمي الثاني إلى الطريقة البوتشيشية المطورة من قبل الشيخ عبد السلام ياسين

لمختلف الاقامات الجامعية الموجودة في البلد، و هذا في وقت محدد، فعلى أساس هذه الرزنامة يبدأ الإخوة هنا، في العمل حيث يتكفل البعض بمهمة الاتصال بمدير الإقامة، و ذلك من أجل الحصول على الموافقة، و على الدعم اللوجستي فيجدون منه كل التعاون – جزاه الله كل خير–، أما أنا فأتجه إلى ولاية وهران، لأتصل بأحد المشايخ هناك، فأرتب معه باقي الاتصالات مع المدعوين من أهل العلم و الدعوة من العاصمة و من ولايات أخرى، كما نتفق على عنوان الملتقى و محاوره و ذلك بحسب الحاجة، التي تتلاءم مع خصوصية الطالب الجامعي.

فمثلا في الملتقى التاسع الأخير اتفقنا على أن يكون العنوان كالتالي: " الشباب و حاجته إلى طلب العلم "، و في مناسبة أخرى نظمنا يوما دراسيا تحت عنوان، " الانتحار في صورة الهجرة السرية " بعد الانتهاء من جميع هذه الترتيبات، و الاتفاق على المواعيد و الآجال المحددة لإجراء الملتقى يشرع الإخوة داخل الإقامة في الدعاية و الإعلام، و ذلك عبر الحلقات و الدروس وتعليق الإعلانات والمنشورات في المصلى، أو في الأماكن العامة داخل الأجنحة، عندما يحين الموعد و يأتي المشايخ ننسق نحن مع الإخوة من أهل البلد، حيث يتكفلون باستضافة المشايخ في بيوتهم، للمدة يوم أو يومين إلى حين الانتهاء من فعاليات الملتقى لينتقل بعدها المشايخ إلى اقامات جامعية أخرى في الوطن فيستقبلهم الإخوة هنالك، لإتمام الدورة التي بدءوها ".

بناء على ما تقدم، ماذا يعني وجود الجماعة الدينية في المدينة ؟، وبتعبير أعمق ما الذي يعنيه الإيمان في المدينة؟، إن تحليل هذه المسألة على الصعيد الأنثروبولوجي يتطلب الوقوف على تجارب إنسانية مماثلة، تكشف لنا عن أنماط أخرى من أنماط، علاقة الطبيعة بالثقافة، أستشهد هنا على سبيل المثال، بما كتبه Jaque Ellul حول الدلالات المسيحية المضفاة على المدينة الكبيرة حيث يقرر Ellul انطلاقا من قراءته للكتاب المقدس، أن علاقة المسيحية بالمدينة، تبدأ من التساؤل القائل: هل نغير الحياة حتى تتغير المدينة، أم نغير المدينة حتى تتغير الحياة ؟، فيرى أن المعتقد المسيحي وانطلاقا من مدينة القدس السمائية(مدينة الله)، " التي تعتبر دعوة للتعالي بالانجاز الإنساني.. فمدينة القدس ليست نتاج مجهود بشري، بل هي من خلق الله وإعادة خلقه لأنها تقطع التواصل التاريخي .

للتاريخ نفسه، لكن في ذات الوقت وعلى الرغم من أنها منحة الرب للإنسان، فان الوحي يقول لنا أن الانجاز الأكبر للإنسان المتمثل في المدينة، نابع في الأصل من تلك الحالة العظيمة الجديدة، المتمثلة في إرادة إعادة الخلق، إن المنظور المسيحي حول إعادة التوازن بين السماء و الأرض، يتم من خلال اشتراك الطائفة عبر جسد المسيح، الوسيط ليس فقط في أداء الطقوس الدينية و حسب، بل أيضا بأفعال الحب التي يمكن تعميمها داخل المدينة " [16] .

Racine (J.-P), 1993, la ville entre dieu et les hommes, P238, Paris, Anthropos Economica, 354. -16

ألا يلتقي هذا المنظور الجنيالوجي/ الثيولوجي للمدينة، في حالة النموذج السلفي بإعادة وصل ما هو أفقي بما هو عمودي؟، أليست السلفية كالمسيحية في إطارها الطائفي، هي رد على ما حدث و يحدث من أعطاب و خسائر، يتكبدها الإنسان من جراء مغالاته في الاعتماد، على فعل القوى الأحادي و ذلك في سعيه لكسب المصير؟، إن تنظيم المجال بحسب تعبير Eliade لا زال يمر عبر" وعي الإنسان بالمقدس والذي قد يتجلى في، ألوهة الأشياء أو في شخص القديسين، كأن يكونوا صورة مرئية للعيان"[17] .

[17]- Eliade (M), 1965, Le Sacré et le Profane, P23 Paris,Gallimard, 185 P

خلاصة القسم :

إن ثلاثية الجامعة و الإقامة الجامعية و النطاق الحضري، و ما تنطوي عليه من تواصل وتفاصل بعلاقة ذلك مع ما ترتب و ترسخ، لدى الطلبة الجدد من قناعات و تصورات، أفرزت رؤية وممارسة متعددة الأشكال، لدى طلبة الاقامات الجامعية، الكل بحسب حاجته وحسب وضعيته وأولوياته، فمنهم من يرى في المدن الكبرى، أماكن للاستثمار فرص النجاح، فيخوض في ذلك تجارب و مسارات طويلة على المستوي الشخصي، ليحقق في كنفها اندماجه المهني والاجتماعي بعد تخرجه، و منهم من ينسج فيها شبكة من العلاقات، ترسخ من قدمه وتزيد من حظوظه، لأجل البقاء و الاستمرار في العيش فيها، أيضا بعد تخرجه و إنهاء مشواره الدراسي، ربما السير الذاتي المشار إليها، التي يتقاطع فيها الخاص بالعام، قد أبانت عن أنواع النضج و الجدية، التي تجد ضمن و بين تجارب طلبة الأحياء الجامعية، وجوها تحضرت و انبنت، في سياقات و مسارات متصلة بالبيئة و بالحياة الجامعية ككل .

إن الطالب الجاد و الطالب النقابي و الطالب السلفي، عناوين ملموسة و مداخل رئيسة، لكل من يود تأسيس علاقة راشدة، تتصل بأشكال التضامن و الاندماج و النجاح الاجتماعي والمهني، إن تجربة النضج و الرشد الطامحة للوصول إلى المستقبل الواعد، و إلى تحقيق الاندماج الايجابي في المدن والحواضر الجامعية، و المشكلة من الوجوه الثلاثة المذكورة، هي من تتصدر المشهد المتعلق بالثلاثية المشار إليها، على الأقل إلى اللحظة التي أجرينا فيها هذا التحقيق، فما الذي يعنيه إذن توسل النجاح المهني و الاجتماعي، بالاعتماد على المواصفات المذكورة ؟، إن الجامعة العامة وعلى الرغم من الضعف المؤسسي الذي تتصف به و بالرغم من عزلتها الاجتماعية، و عدم حيويتها الاقتصادية، إلا أنها لا تزال تحمل آمالا معتبرة، لدي العديد من طلبة الوافدين من الأطراف و المناطق العميقة فالطالب الجاد النابع من مثل هذه الأماكن، التي تعوزها الإمكانات المادية و البنا التحتية الضرورية في الاستقرار، فان الهجرة نحو المدن عبر شرعية التكوين الجامعي وفرصه المتعددة، تكاد تكون قارب نجاة بالنسبة إليه الذي يركبه في رحلة البحث عن الذات، إن امتطاء الرمزية الدينية هي الأخرى تأتي في هذا السياق، لسان حالها يقول، أن لا اندماج إلا في إطار المعايير و القيم الدينية، التي تبدو مشتتة ضمن الحياة الحضرية .

القسم الرابع:

الحي الجامعي، الرابط المديني في رهان

- ❖ مقدمة القسم الرابع
- ❖ الفصل السابع: المنظمات الطلابية في الأحياء الجامعية
- ❖ الفصل الثامن: المسجد و تنظيم الإقامة
- ❖ خلاصة القسم

مقدمة القسم:

إن الأحياء الجامعية هي أحياء، بما تتمتع به من نشاط جمعوي، يشارك في تنظيم الحياة العامة ويمثل الإرادة الجماعية و يعبر عن المباينة و الاختلاف، في طرائق و سبل الانخراط و الاندماج ضمن الحياة الداخلية، إن العمل الجمعوي داخل الأحياء الجامعية، هو عنوان للمواطنة الطلابية، إذ يحمل على عاتقه حماية حقوق الطالب الأساسية، و يبلور مطالبه وانشغالاته، فيطرحها للمفاوضة والمناقشة أمام الإدارة الوصية، هذا على المستوى المبدئي المعمول به في شتى الأنشطة ذات الإطار الجمعوي، التي تكتسب شرعية وجودها من حق الممارسة و المشاركة في الشأن العام، بهذا المنطق تتنوع و تتعدد المنظمات الطلابية داخل الأحياء الجامعية، فهل وفقت في انجاز المهمة ؟، السؤال هنا ليس لإنزال الأحكام، إنما للتنبيه إلى ضرورة الالتفات إلى هذا الإطار المهم الذي يحمل على كاهله مهمة الارتقاء بالشروط الإنسانية إلى مستوي المواطنة المدنية، من دون الالتفات إلى اعتبارات ذاتية .

لذلك فان سؤالنا المركزي المتصل بهذا الموضوع، يتمحور أساسا بأساليب التدامج والانخراط الأساسيين في ضرورة العيش معا، فكيف ينشأ الطلبة داخل الأحياء الجامعية ممثلياتهم التي تنافح عن حقوقهم، و تضمن لهم العيش الكريم؟، كيف تساهم المنظمات الطلابية، في تنشيط الحياة العامة داخل الأحياء الجامعية ؟، قبل هذا و ذاك، كيف تنشأ المنظمات و تتكون؟، كيف تشتغل و تعمل على أرض الواقع ؟، كل هذه الأسئلة سنقذف بها، نحو ميدان الجمعيات الطلابية، و نستخرج منها مسارات التكوين و العمل مثلما هو كائن و متواجد على أرض الواقع، هذا عن الشأن المؤسسي الذي يعد جزء محوريا في تنشيط الحياة العامة الداخلية.

أما الشطر الأساسي الثاني الذي يعتبر وجوده جزءا رئيسيا، متحكما داخل للعبة تنظيم الحي الجامعي و تنشيط حراكه فهو يتعلق بميدان الرمزية الدينية، التي تمنح لنفسها مشهدا ملموسا على المستوى المجالي و المستوى العملي، إن المسجد كمعلم ديني لا يقتصر على الشأن التعبدي و الشعائري، إنما يتدخل في إعادة رسم خارطة الانتشار و التوزيع داخل الإقامة الجامعية، بحيث يعاد فرز الطلبة الداخليين، على قاعدة الخالص و الغير الخالص، و ذلك من أجل بناء علاقات التعايش و تكوين روابط التضامن هذين الإطارين، المنظمة و المسجد كيانين أساسيين لا يمكن تجاوزهما، إذا ما أردنا فهم إدارة و تنظيم الشأن العام، داخل الاقامات و الأحياء الجامعية.

المنظمات موضوعا :

بداية و قبل الولوج في الموضوع، ينبغي وضع المسألة ضمن السياق الاجتماعي و السياسي الذي تنتمي إليه، فالمنظمات الطلابية مثلما سبق و أن رأينا، عرفت منعرجات عديدة تساوقت وتفاعلت مع ما كان جاريا على مستوى الجبهة الاجتماعية و السياسية، لذلك تأتي أهمية دراستها الآن، وذلك من باب استخراج الأنماط الذهنية و الفعلية، المتعلقة باستيعاب المكان و تنظيمه فمفهوم الإقليمية la territorialité مثلما تشرحه العلوم السياسية، يتصل معناه و دلالته التعريفية، بدأ من لحظة بناء السلط ورهانات السيطرة، الجارية على الأرض، ضمن هذا المعنى نود فهم و تحليل كيفية " صناعة " الحيز الاقامي، الملتحم أساسا بالنشاط الجمعوي، و الذي لا يتحرك إلا وفق سياسة هذا الأخير و ترتيباته، الناشئة عن فعل التفاوض و التبادل، مع الطلبة المعنيين و الإدارة الوصية على حد سواء .

" انه مكان مفضل – أي العمل الجمعوي – بالنسبة للطلبة الأحياء الجامعية، ومخبر حقيقي لتجريب واختبار المبادرات و مركز نشط من أجل اكتساب و تعلم المهارات، المتواصلة مع مكانة الطالب "[(1)] لكن هذا التصور حتى لا يؤخذ على إطلاقه ينبغي وضعه على محك الحقائق التفصيلية والتجارب الموضعية، المتصلة بالسياق التاريخي و الثقافي الخاص بالمحل، لننزل إلى الأغوار ولننظر كيف تتشكل العملية، لكن ليس قبل وقفة خاطفة، تتعلق بالتصور المبدئي الخاص بمعني وبضرورة، إعادة بناء العلاقات والروابط على أساس جمعوي، أملته دواعي الارتقاء بالشأن الإنساني، و دعم شروطه و حقوقه الأساسية، و ذلك مثلما هو دارج تداوله ضمن المعرفة الإنسانية .

2– منطق و ممارسة:

إن موضوع الجمعيات كما هو في حالة بلادنا، الذي خرج إلى العلن لأول مرة، و ذلك بموجب قانون 31/90 [(2)]، فتح الباب أمام عدد هائل من التنظيمات ذات الطابع السياسي و الاجتماعي، للظهور على الساحة الوطنية، يقرأ هذا ضمن سياق علاقة الصراع و الاستقطاب الساخن والملتهب، الذي عرفته الجزائر في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي، حيث كانت الواجهة الأيديولوجية عنوانا تنظيميا، تخفي ورائها تذمرا هائلا من انسداد الأفق و غياب البدائل، ورغبة عارمة في الانعتاق من ربقة الأحادية والخروج إلى رحابة التعددية، و ذلك من أجل تجديد المجتمع و إعادة بنائه، على أسس مدنية و الدولة الديمقراطية، بعد عقود عديدة من التكلس والتجوف، المجتمعي والسياسي .

---

[1]- Kunian (F), Houzel(G), 2009, Politique de vie étudiante des universités, P 186, Paris, la documentation Française, 270 P.

[2] - أنظر في ذلك، للمرسوم الرئاسي رقم 18/89 العدد التاسع، المادة 40، المنشور في الجريدة الرسمية، للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الصادرة بتاريخ 28 فبراير 1989

إن تحقق المطلب الجمعوي و السياسي، مثلما هو الشأن في الديمقراطيات الحديثة، لم يكن بمنئي عن مسمع وبصر الناس و في مقدمتهم النخب العارفة، إذ انتبهوا إلى أفضال الانفتاح و التعددية وما كان لها من عظيم الأثر، علي تدشين مسلسل الانجازات المبهرة، في شتى الصعد المادية منها و الإنسانية، لذلك كان من الطبيعي جدا، أن تحذوا المجتمعات المسماة بالنامية خصوصا التواقة منها إلى الحياة الكريمة والحالمة بالشرعية و بالشفافية، حذوا الدول المتطورة، حتى تنعم هي الأخرى بالعدالة وبالحرية، فيكون لها الحق في أن ترى إرادتها العامة، تطبق على أرض الواقع ومصالحها العامة و المفردة، مترجمة ومفعلة على مستوى التنظيمات الحقيقية و ليست الوهمية، و كذلك في المؤسسات المنتخبة و الشرعية بهذه الكيفية تبنى السيادة وتشيد المواطنة.

وفق هذا التصور النظري، يصبح من الواضح لدينا أن الفعل الجمعوي، باعتباره حركة وفعل هو من يحمل على عاتقه العملية التغيرية، و إعادة بناء الروابط على أسس مدنية غير مشخصنة ، يفرز على إثرها بناء السلط و المؤسسات الحاكمة بشكل تداولي شرعي و شفاف، فالعمل الجمعوي والنشاط الحزبي جزء منه، هو من يملأ الدولة بالكادر المؤهل و المستحق وليس العكس على الأقل هذا ما تقوله لنا دواوين الفكر الكوني الحديث **(2)** [3]، عن تطور الديمقراطيات العالمية في العالم الحر، التي تحولت إلى مثال Ethos بالنسبة إلى كل من يحلم بالتغير والخروج من عتمة الفساد و الاستبداد .

ربما هذا ما كان يعتمل في العمق، يوم أن كان العمل الجمعوي المبلور في الجامعات، في طبعته الغير الرسمية، يبحث عن الخروج من الشرنقة والظهور إلى الضوء، ثمة أسئلة عديدة تدور في خلد من يبحث و ينقب، في مثل هذه المواضيع، يا ترى هل اكتملت الولادة ؟، هل نضجت العملية، و دقت ساعة الإصلاح أو التغيير؟، أم أن مسلسل التحولات لا يعدو أن يكون مجرد دال من دون مدلول signifiant sans signifié على حد تعبير Berque، في مقدمة كتابه البنا الاجتماعية في الأطلس الأعلى ؟ .

إن الإطار الجمعوي و أثره على تحويل أو تحوير شؤون الحضيرة، يبدأ في ما نعتقد من نقطة التقاطع والتجاذب و الاستقطاب، في مابين الرغبة في تجاوز و إحداث القطيعة مع نموذج " الراعي والرعية" و الولوج على علاقة جديدة مبنية، على نموذج التكامل المنسق في ما بين المجتمع السياسي والمجتمع المدني، و بين رغبة تستلهم من التسلط و الاستبداد الشرقي كطريقة [4] في الحكم و السيطرة، و لا تمانع من وجود توليفة شكلانية، تمازج في ما بين العتيق و الحديث، ربما سؤال من يغير من، هنا ؟ في نظارنا يعد المفتاح المفصلي الصحيح، الذي ينبغي التمسك به، وذلك من أجل فتح مغاليق، منطق سير الفعل الجمعوي، ضمن الأحياء الجامعية، باعتبارها نماذج مصغرة micro société، تعبر على ما هو متصل بالحياة الوطنية ككل .

---

[3]- Rosanvallon (P), 1992, le sacre de la citoyen, histoire du suffrage universel en France, P Paris, Gallimard, 490 P.

[4]- Harbi (M), 1992, L'Algerie et son destin croyen ou citoyens, P 66, Paris, Arcantere,254 P

فتجربة الجمعيات السياسية، مثلما كان يطلق عليها في مستهل الحياة الديمقراطية، من تسعينيات القرن المنصرم، أبانت عن مفارقات عجيبة، اتضح فيها أسلوب التعاطي و العمل مع الإطار المؤسسي والرسمي، فبدت الأحزاب الديمقراطية، الممجدة للقيم الحداثة و التعددية الغربية، على أنها أكثر جهوية وأثنية، بينما الأحزاب ذات الطابع الديني، كانت أكثر وطنية من حيث الامتداد الجغرافي و التنوع الديمغرافي !!، يشبه هذا الموقف أو يلتقي إلى حد ما، مع ما حدث بعد الاستقلال، في منتصف القرن التاسع عشر، حيث تأثرت الحياة السياسية بحركة النزوح الكبير، من الأرياف إلى المدن و الحواضر الكبرى، " فحل الشعب محل القبيلة و حل الحزب محل الزاوية (...) ، و حول أهالي الريف – في هجرتهم إلى المدن –، التيارات المعتدلة، فاخلطوا تراتبيتها و اجتثوا نظامها، فشكلوا باعتبارهم حشدا كبيرا، الوطنية الشعبوية، فأصبحت المحسوبية التي كانت عند الأعيان من ذي قبل، في صلب الأحزاب السياسية " [5].

هل حدثت القطيعة مع هذه الممارسة المتداخلة، أم أن ذات المنطق لا يزال يكرر نفسه، كلما حدث الاتصال في ما بين الرسمي و الغير الرسمي ؟، إن الفحص الجزئي المتطابق مع ما هو جاري على الأرض، كفيل بتقديم عناصر ملموسة، نفهم من خلالها الذهنية التي يبنى منها الفعل الجمعوي، لنضع المجهر في ما بين المبحوثين، و نرى ما الذي سيكشفه لنا .

إن موضوع بحثنا بهذا الصدد، سيعتني بتسليط الضوء على الجوانب الأكثر ذاتية، التي تمنح للعمل الجمعوي شكلا و مضمونا، ذلك أن الممارسات الموضوعية و الوسائل و الآليات النظامية الرسمية، ليست سوا حطب وقود، يستعمل من أجل إشعال و إذكاء نار العناصر الكامنة العتيقة، المشكلة للذات الجماعية وليست الجمعوية، حول هذا التصور سنشتغل من أجل تثبيت النقاط التالية : أولا تشخيص المنظمات الطلابية المكتسحة للأحياء الجامعية، ومكوناتها الديمغرافية، وكيفية الانخراط والمشاركة ضمن دواليبها ثانيا البحث في طبيعة النشاطات و الفعاليات المقامة على أرض الاقامات، و صلتها بالأهداف السياسية أو الغايات المآربية، و الوجه السائد الذي ترسمه و تسوقه هذه المنظمات داخل الحي الجامعي، ثالثا الوقوف على الرابط المدني وتحليل مخرجاته داخل الحياة الطلابية .

3- المنظمات أنواعا:

لا يكتمل المشهد الجامعي إلا بالحديث عن المنظمات الطلابية، الذي يعد وجودها شرطا ضروريا في تركيب العلاقة و تنظيمها في ما بين ثلاثية الطالب و الإدارة و الأستاذ، على مستوى الاقامات الجامعية فان التنظيمات الطلابية بمختلف أطيافها، تعد جسما رئيسيا يمنح للإقامة وجه الحي المستحق، ذلك أن مصطلح الحي ذاته، لا يستلهم مشروعيته إلا من وجود

[5] - عن جابي ناصر في ندوة مقدمة عبر شاشة الجزيرة مباشر، و ذلك قبيل إجراء الانتخابات البرلمانية في الجزائر، يوم الخميس 10 مايو 2012

هذه التنظيمات [6]، التي تأتي من شرعية الانتخابات أو هكذا يفترض، حينما تعقد في بداية كل سنة داخل الأحياء الجامعية، من أجل تأسيس المكاتب و الفروع النقابية، الناطقة باسم الطلبة في الاقامات الجامعية، لنعرج على المظلة الجمعوية التي تغطي مجال الاقامات الجامعية .

فإقامة عبدو سعيد بمعسكر مثلا، يجتمع في كنفها التنظيمات الطلابية التالية، المنظمة الطلابية للتضامن الطلابي ONSE، المنظمة الوطنية للطلبة الجزائريين ONEA، الاتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية UNJA، التضامن الوطني الطلابي SNE، الاتحاد العام للطلبة الجزائريين UGEA، الاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين UNEA، الرابطة الوطنية للطلبة الجزائريين LNEA، الاتحاد العام الطلابي الحر UGEL، التحالف من أجل التجديد الطلابي الوطني AREN، والمنظمة الوطنية لترقية الاقامات الطلابية ONPRE، الأمر سيان بالنسبة للإقامة 1500 سرير بنات، أو إقامةC1 ذكور بوهران على سبيل المثال.

هذه المنظمات تتسع أو تضيق بحسب أقدميه الاقامات الجامعية، فالأحياء الجديدة مثلا، تعرف في بدايتها ظهور التنظيمات العتيقة كـ UGEL أو UNJA، ينطبق الأمر هنا على إقامة 2000 سرير بنات، التي فتحت أبوبها للاستقبال الطالبات في معسكر سنة 2011، في العاصمة أو القبائل، يضاف على ذكر المنظمات المذكورة، وجود الحركة الثقافية البربرية، المعروفة باسم MCB، هذا الفسيفساء الذي يطبع الحياة الاقامية، يتنافس على التعبئة و على اكتساب أعداد الطلبة ضمن صفوفه، و ذلك قصد تمثيلهم والتحدث باسمهم، من أجل تثبيت الحقوق و تنظيم الاتصال المشروع، مع الإدارة أو السلطات العمومية عند هذه النقطة يتنوع مجهود المنظمات في الاشتغال على استقطاب و على استمالة الطلبة، حتى ينظموا و ينخرطوا في صفوفها.

ففي C1 مثلا تعرف سيطرة واضحة من قبل UGEL، في إقامة عبدو سعيد النفوذ فيها والاكتساح يعود إلى UNJA، و ذلك بسبب برنامجها المكثف، و الهدايا التي توزعها على الطلبة المشاركين ضمن فعاليتها، في إقامة 1500 سرير بتسمسيلت، فان الغلبة تعود إلى AREN وذلك بسبب تأييد بعض المسؤولين الإداريين الفاعلين، المنتمين إلى التجمع الوطني الديمقراطي RND، الموجود على رأس الحكومة الحالية، في إقامة سعد دحلب ذكور بالبليدة، فان طلبة UGEL يحسمون الأمر لصالحهم، ذلك لأن البليدة تعد العاصمة التاريخية، و المعقل الرئيس للحركة مجتمع السلم MSP، الذي تعد UGEL أحد أذرعها داخل الفضاء الجامعي .

بناءا على ما تقدم تتضح لنا الصورة الخارجية، المبينة للملامح العامة الخاصة بالتنظيم الجمعوي داخل الاقامات الجامعية و كذا التقاطع الحاصل في مابين الأحزاب السياسية، و بين التمثيليات الطلابية، حيث تعد هذه الأخيرة، الظهر الذي تستند عليه الأحزاب، خصوصا في المواعيد الانتخابية و ذلك من أجل الحشد و التعبئة في تنشيط الحملات، وحصد أصوات الطلبة الناخبين، إن المنظمات الطلابية داخل الأحياء الجامعية، على اختلاف مشاربها، و تنوع أيديولوجيتها و انتماءاتها، تعد في المقام

6- Lainé (F.B), (sous sa dir), 1999, faire société les associations au cœur du social, P 130 Paris, Edition, Syros, P.

الأول روافع سياسية تغترف منها الأحزاب ما تحتاج إليه من دعم وتأييد، لذلك فهي تتناغم – أي المنظمات الطلابية – بشكل متسق، مع ما يجرى اليوم على مستوى الحياة الوطنية، حيث حالة الفتور السياسي وضعف الحياة الحزبية (7)، علامة مميزة للمشهد السياسي في البلاد.

ضمن هذا المناخ ترسم المنظمات الطلابية الراهنة، خطى نشاطاتها التنظيمية والتي كانت من ذي قبل في شكلها الغير الرسمي، بالأخص في فترة السبعينيات و الثمانينيات من القرن المنصرم، طرفا أساسيا في صناعة الحدث السياسي، مثل هذا الوضع يمكنه أن ينبئنا بالتساؤل، المتصل بمسألة حقيقة المشاركة في الشأن العمومي، إذ لا يختلف اثنان على أن النظرة العامة للحياة السياسية، و الرغبة في المشاركة بالتغيير أو الإصلاح، تعرف انحسارا في المشاعر و ضعفا في الوجدان (8)، فما الذي يؤدي إلى تنامي و تعدد الحضور الجمعوي داخل الفضاء الجامعي بشكل شامل ؟.

4–المنظمات مضمونا:

إن العامل الديمغرافي الخاص بالتشكيلات التنظيمية، هو أحد المؤشرات الدالة، عن معني وجود هذه الكيانات داخل الأحياء الجامعية، فالمكونات البشرية للإطار التنظيمي، و أنماط التشارك والتضامن بداخله، تعد محورية في تحليل نوعية الرابطة، التي تمنح للعمل الجمعوي جسما وصورة، فمن الضروري إذن أن نتساءل، كيف تنشأ هذه المنظمات داخل الأحياء الجامعية ؟، ومما تتشكل ؟، و كيف يتحول الطالب العادي إلى طالب نقابي؟، فثمة سياق مفعم بالأحداث ورهانات السيطرة و بناء القوة، تبني منه اللعبة التنظيمية المؤسسية داخل الاقامات الجامعية، لنجاري في البداية الطرح الذي يعتبر، أن الحاجة المجتمعية الخاصة بالحداثة، استوجبت " إعادة بناء الرابطة الاجتماعية، بعد خلخلتها من بناءاتها العفوية الطبيعية والبدئية، وإعادة نسجها على المنوال العقلاني الغير المشخصن، المتجاوز لكل الاعتبارات الذاتية(9) أي بمعنى إعادة استبدال مجتمع الأجسام، القائم على الامتيازات و الانتخاب الطبيعي و التراتبية الهرمية، إلى مجتمع الجمعيات القائم على المساواة و تكافؤ الفرص، فإذا كان معيار العمل الجمعوي يقصد به هنا طرح بديل علائقي يرتقي بالمطالب الإنسانية، إلى مستوى مدني عملته في ذلك الإرادة العامة و " عقد الثقة " الموزون بميزان الاستحقاق والمؤهل، فمن المهم بالنسبة إلينا معرفة الخصوصية التكوينية للنشاط التنظيمي داخل الأحياء الجامعية .

7- Poujol (G), Education et formation : (sous la direction de) Champy (P), Etévé (C), 1994, Dictionnaire encyclopédique de l'éducation et de la formation, P 361, Nathan, Paris, 1097 P

8 - عن جابي ناصر في ندوة مقدمة عبر شاشة الجزيرة مباشر، و ذلك قبيل إجراء الانتخابات البرلمانية في الجزائر، يوم الخميس 10 مايو 2012 .

9- Lainé (F.B), (sous sa dir), 1999, faire société les associations au cœur du social, P 130, Paris-Edition, Syros, P

لنعود إلى أرض الميدان، فهو وحده الكفيل بإرجاع الأمور إلى نصابها، و الكشف عن حقيقة الخبرة الجمعوية، كيف تتشكل في الزمان و المكان، عبد الصمد مثلا 22 سنة، السنة الثالثة تخصص علم النفس التربوي يحدثنا عن سبب انخراطه في العمل النقابي، فيقول " عندما جئت إلى الإقامة في السنة الأولى واجهنا مشكل تسرب المياه، من القنوات الموجودة بداخل الجناح الذي كنت أسكن فيه، حيث أغرق المكان، فلم نستطع مواجهة المياه التي بدأ خطرها ينتقل إلى الغرف، لقد حضر رئيس منظمة UGEL إلى عين المكان، و بدأ يصرخ بصوت عالي قائلا : يا شباب، من فيكم يرضي بمثل هذا الحال؟!، من يريحه هذا الوضع فليقل، ألا تنظرون؟!، بعد هذه الحادثة اجتمعت في غرفتي برئيس المنظمة، وبدأت أسأله عن حقوقي كطالب جامعي فأجابني عن أمور عدة، عرض عليا بعدها الانخراط في الاتحاد فوافقت، و بعد شهرين عينت كرئيس للشعبة " عبد الحفيظ سعيد ".

مثل هذه الأحداث و تنوعها، الكثيرة التكرار في الاقامات الجامعية تعد محفزا جيدا على دفع الناس نحو المربع الجمعوي و ذلك من " أجل التمرن على النضال (...) و على التربية المواطنية[10] على حد تعبير(G) Poujol ، فمظاهر الإهمال و التسيب المتصلة بشروط السكن الاقامي، و التي لا يتجشم عنائها في النهاية، سوا الطالب في الحي الجامعي، من شأنها أن تشكل وعيا جماعيا منظما، يطرح نفسه أمام الإدارة الوصية و المسؤولة، على ضمان الشروط المريحة للتواجد داخل الاقامات الجامعية، من هنا يعد الإطار الجمعوي وسيطا أساسيا، من أجل تذليل العقبات وحل المشاكل العالقة .

فاروق مثلا 21 سنة السنة الثانية علوم اجتماعية، يحكي لنا سبب انضمامه إلى ONEA، قائلا " بعد شهر من دخولي إلى الإقامة، حدث بيني و بين أحد أعوان الأمن مناوشات، كنت حينها وحيدا و لم أعرف حقوقي وواجباتي فواجهتني صعوبات من أجل حل هذا المشكل، الذي لم أعرف له من مخرج، إلا بفضل التدخل الجماعي من أبناء بلدي، لقد أعجبت كثيرا بالثقة بالنفس التي أبدوها، و هم ينافحون عني ويدفعون عنت هذا العون، سألتهم عن سر قوتهم، فذكروا لي قائلين، إن التنظيم يمنحنا الحصانة الكاملة، التي ندافع من خلالها على الطالب، من تلك اللحظة انخرطت في المنظمة وأصبحت متمسكا بها، أكثر من أي وقت مضى "، مثل ذلك حدث مع أحد الطلبة الذي هشم زجاج الواجهة الخاص بالمطعم، و اعتدى على أحد الأعوان بالضرب، فلما عرض على اللجنة التأديبية، و عزمت الإدارة على معاقبه بالطرد، تدخلت المنظمة الطلابية بإبطال القرار و أوعزت أسباب ذلك، إلى أن الطالب المعني، لم يتحصل على حصته الغذائية منذ يومين متتاليين، وذلك بسبب الفوضى و الازدحام في الطوابير الطويلة، و كذلك إلى سوء تنظيم وتوزيع الوجبات، من حينها انضم ذات الطالب إلى المنظمة و أصبح عضوا نشطا فيها، فهو يقول عن نفسه، " لقد كنت من ذي قبل طالبا مهمشا و مهانا، لكن اليوم و بفضل انخراطي في المنظمة أصبحت مهابا و محترما، أصبح الأعوان و عمال الإدارة، يتعاملون معي بشكل مغاير، فازداد تمسكي بالمنظمة، بالأخص لما أدركت مكانتها داخل الجامعة".

---

[10] - أنظر في الملحق القوانين التأسيسية الخاصة ببعض المنظمات الطلابية

سوف لن أذيع سرا لو قلت، أن تلك التنظيمات المشار إليها، تقدم خدمات نقابية جليلة للطلبة داخل الحي الجامعي فهي تكاد تتدخل في كل شيء، فتراقب مثلا نوعية الطعام و الوجبات المقدمة للطلبة، تراقب وتتدخل في تنظيم حركة النقل الخاص بالمقيمين، تساهم عموما في تحسين شروط الحياة داخل الإقامة تدافع عن الطلبة عندما تعترضهم إشكالات إدارية، فتنتزع الحقوق من قبل الإدارة الوصية، وذلك بإتباع الطرق المشروعة، كل ذلك ملموس و معاين في الحياة الاقامية المعاشة، لا غرو في ذلك فالتنظيمات الطلابية، لم تكتسب شرعية وجودها، إلا من هذا الدور الدفاعي الذي تقوم به، و الموجه للخدمة الطلبة داخل الأحياء الجامعية، هكذا كما هو مثبت على الأقل في المواثيق الرسمية و القوانين التأسيسية، الخاصة بكل تجمع تنظيمي[11]إن المهام النقابية التي تضطلع بها المنظمات الطلابية داخل الأحياء الجامعية فعل موجود وملموس، غير أنه غير مبرأ من الرواسب الذاتية و التصرفات الشخصية، التي تتحكم في الفعل التنظيمي العقلاني وليس يحكمها .

5– البنية الداخلية:

لذلك فمن الضروري التساؤل، وفق أي آلية ينبني الكيان الجمعوي ؟، ما هو " النفس " أو الروح التي تعتمل في أوصاله هذا الجانب الغير المرئي يبدو مهما، لأنه يمثل الأداة الفاعلة الكامنة وراء تشكل العقد التنظيمي، حول هذه المسألة ووفق ملاحظة محققة على أرض الميدان**(9)** [12]، فانه يمكننا القول بأن التنظيم الجمعوي في الأحياء الجامعية، ليس بذلك الإطار الذي ينتظر منه و يرتقب، إعادة بناء الفرد وتحضيره للأدوار نخبوية أو ممارسات مواطينية جديدة ، إنما هو إطار يشبه إلى حد ما " نماذج التسيير المبنية على أساس من المراجع الرمزية، التي تظهر على مستوى السياسات العمومية، والممارسات الاجتماعية " **(10)** [13]، ذلك أن الانتماء الأيديولوجي الثقافي، والتقسيم الجهوي الإقليمي، يعتبر جزء لا يتجزأ من ذهنية ومن فعل النشاط التنظيمي داخل الأحياء الجامعية، بناءا على هذا التقييم، فإننا نلاحظ التالي .

انه عدا الاتحاد العام الطلابي الحر الذي يتمتع بجذب أيديولوجي متماسك إلى حد الآن، فان التنظيمات الطلابية الأخرى لا تكاد تنطوي على أي بعد عقدي تلتئم حوله، هذا إذا ما استثنينا البعد المآربي والذرائعي، ووشائج القربى و وحدة الجهة، التي تكون في الغالب مراجعا ذاتية، ينبت منها لحم و عظم المنظمات الطلابية، الفاقدة للمعيار الأيديولوجي على الأقل في مستوى الإحساس و الإيمان الجماعي لدى المنتمين و المنخرطين، لنعطي أمثلة جزئية على ذلك، لكنها ذات دلالة داعمة على ما نقول فتضع السطر تحت منطق و فعل العمل الجمعوي داخل الأحياء الجامعية، لحسن مثلا 23 سنة، السنة الرابعة تاريخ، يحدثنا عن تجربته النقابية، و تنقله الدائم من منظمة إلى أخري فيقول، " إن أول من نبهني إلى أهمية المنظمات، هم أصدقائي و جيراني الذين

---

11 - عمر دراس، 2002، نفس المرجع .

12- (Stoiciu (G), Modèles de gestion du pluralisme : grandeurs et misères : (sous la direction de) Perraton (Ch.), Bonenfant (M), 2009, P 101, Vivre ensemble dans l'espace public, Presses de l'université du Québec, 224 P

13 - نلمح هنا إلى الفصل العاشر، المعنون باسم الاستعمال الناضج و الجدي للمدينة، أنظر إلى الصفحة رقم 110

سبقوني إلى الجامعة وتخرجوا منها، فذكروا لي قائلين، إذا ما أردت أن تعيش مرفها و محترما في الجامعة، فعليك الالتحاق بالمنظمات و ذلك من السنة الأولى، لذلك عندما جئت إلى الإقامة في الوهلة الأولى، رأيت للافتات توجه الدعوة إلى جميع الطلبة و بالأخص الجدد منهم، للحضور إلى قاعة المحاضرات، أعجبني الكلام الذي سمعته من قبل ممثل UGEL، فانخرطت معهم .

لقد أمضيت سنتين مع التنظيم المذكور، أين اكتسبت خبرة واسعة في العمل النقابي، تركت بعدها الاتحاد وذلك لتشدده فأنا أحب أن أعيش حياتي، فانتقلت مجددا إلى ONEA، حيث شرعت مع طاقمها في العمل النقابي، فلاحظوا عليا تمرسا و خبرة في النشاط التنظيمي، لقد كنت أزاوله بحرفية عالية، بالأخص في أساليب التعامل مع الإدارة، الذي كانت تنقصهم فيه الخبرة الكافية، اختلفت معهم بعد سنة، و انتقلت من جديد إلى UNEA التي كان يربطني مع رئيسها علاقة قرابة و جوار" و عن سبب انسحاب التهامي 24 سنة، السنة الثالثة علوم اقتصادية، من ONEA يقول، " لم يكن ذلك قراري لوحدي، إنما بالاتفاق مع أبناء بلادي، الذين اتفقوا على ترك المنظمة المذكورة، بعدما احتدم الصراع بيننا و بين أبناء ولاية أخرى فقررنا الانسحاب بشرف، و لنبين لهم أننا لم نأتي إلى المنظمة، قصد السرقة و النهب، أو تحقيق المصالح شخصية، لقد غيرنا الاتجاه وانتقلنا دفعة واحدة إلى منظمة UNJA، و ذلك بعدما أصبح الكل يطلبنا من أجل الانضمام إليه، و هذا نظرا للخبرة التي نملكها، انخرطنا مع التنظيم المذكور، بعدما اتفقنا معه على مجموعة من الأمور اللوجستية و التنظيمية، فأصبحت مصلحتنا مشتركة والتفاهم ساري إلى يومنا هذا " للملاحظة فان التوجه المدعوم من قبل الأصدقاء و الجيران نحو المنظمات، أو انبناء الإطار الجمعوي على أساس من الانتماء الجهوي و المناطقي، مثلما أكدته شوهدنا الأنفة الذكر، هذا فضلا عن ملاحظتنا في كذا من موضع من هذا النص [14]، لا يشير إلى أي نوع من الطموح، الذي يؤمن بمثالية العمل الجمعوي، قصد تعميق و تعميم الثقافة و الممارسة المدنية المؤسسية، ما يعني لدينا على مستوى التحليل الأنثروبولوجي، أن ذات الممارسة، و إن كانت تصدر أفعالا تصب بشكل ملتبس ونسبي في المخزون المدني، المتصل بتنظيم و تسيير الشأن العمومي .

إلا أنها في خاصية أمرها وفي لحمتها البشرية، ترتكز في بناء صفوفها و في لملمة جموعها، انطلاقا من التمحور حول " النحن " المناطقي أو العقائدي المعطل و المعرقل أساسا، للنشوء " الممثل في الشبكة " acteur-réseau [15]، الضروري في العمل الجمعوي المؤسسي، الذي لا يتشابه فيه الأفراد ذاتيا بالضرورة و لا يتوحدون، إلا على قاعدة الأهداف المكرسة للخدمة قضايا جماعية محددة، تتراجع فيها الخصوصيات الذاتية، من أجل الصالح العام، بهذا المعني فان العمل الجمعوي داخل الأحياء الجامعية

14- Latour (B),2006, changer de société, refaire de la sociologie, P 206, Paris, La découverte, 400 P

15-Latour (B),2006, changer de société, refaire de la sociologie, P 206, Paris, La découverte, 400 P.

يبدو ضعيف التناسب في ما يخص العلاقة التي تجمع بين المحمول والموضوع، تتثوب فيه العناصر العتيقة archétypale بالثوب المؤسسي الحديث .

تحدثنا فاتن في هذا المعنى عن فعل الاجتزاء، الذي لا يستطيع فيه الفاعل النقابي، تجاوز أطواق الانتماء و الولاء إلى " الجماعة " وليس الجمعية قائلة، " إن المنظمات تستغل ضعف الطالبات الجدد، حيث تظهر في البداية، نوعا من التعاون و الاهتمام مع هذه الفئة، التي لم تتكيف بعد مع وضعها الجديد، فأنا مثلا كانت تتردد عليا في سنتي الأولى، طالبة من UGEL، تسألني إذا ما كنت في حاجة إلى أمر ما، فتعرض عليا خدماتها، لكن مع مرور الوقت، و مع تأكدها أنني لا أود الانخراط في صفوف منظمتها، أبطلت التعاون معي، بل أصبحت تتجاهلني كليا، و ذلك عندما أتقاطع معها أو مع جماعتها في الرواق!! " لنذكر أمثلة حية تتصل بتأسيس المنظمات وفتح مكاتب لها داخل الأحياء الجامعية، ففي إقامة 2000 سرير، نجد أحد التنظيمات يجدد اعتمادها، بناءا على العلاقات الشخصية و الروابط المناطقية، حيث نجد كل من طلبة تيارت وبالتحديد سكان السوقر منهم و طلبة تسمسيلت، هم من يتصدرون قائمة المنخرطين في المنظمة، ذلك أن رئيس المكتب الجهوي ذاته و المنتمي أصلا إلى أحد الأحزاب البارزة، يعد من أبناء منطقة تيارت، وعليه فهو يمنح محضر التنصيب إلى أهل جهته، بنفس الطريقة تحصلت منظمة أخرى على ذات الوثيقة، فطلبة تسمسيلت، و على رأسهم مسؤول مكتب التنظيم، تجمعه بعضو المكتب الوطني علاقة خؤولة .

للعلم فان هذه التنظيمات ترفض أن يستولي على مراكزها الحساسة، عناصر لا تنتمي إلى نفس الجهة لذلك يورث السابقون منها اللاحقون، مقاليد التنظيم و مفاتيح المكتب، فالتواصي على هذا الأمر يتم في الغالب، في المنطقة الأم التي وفد منها " الطالب المناضل " أو المرشح إلى ذلك يقول جمال رئيس خلية إحدى المنظمات داخل الحي الجامعي، عن هذا الموضوع " إن الانضمام إلى المنظمة التي أمثلها، يكون في الغالب إما على أساس القرابة أو الانتماء إلى نفس المنطقة، فأثناء اللقاءات العادية في البلد، يدور حديث من نوع، يفضل أن تدمج ابن بلدك الجديد في المنظمة وتسلمه المكتب، فهذا ينفعك بعد تخرجك من إبقاء على حبل التواصل، فتستفيد من الخرجات ومن الرحلات، و من الهدايا التي توزع على المعنيين في مناسبات عديدة " .

6- منظمات للبيع :

إحدى المنظمات التي لها أفرع و خليا داخل الأحياء الجامعية، ينتمي غالبية مناضليها إلى الطلبة الخارجيين المنتسبين إلى نفس الولاية، فرئيسها الواحد منهم، و الذي هو على صلة وثيقة مع المسؤول الجهوي، تعرض إلى انتقادات و احتجاجات عديدة من قبل رؤساء المكاتب الكائن مقرها داخل الأحياء الجامعية، فلما أرادوا الانقلاب عليه و سحب الثقة منه، و إعادة ترتيب البيت الداخلي الخاص بالتنظيم طلب منهم دفع أموال عينية، إذا ما أرادوا الحصول على محضر التنصيب، للعلم فان هذه المسألة لم تعد من المواضيع الخفية، لقد سمعت عن أكثر من تنظيم وهو يسعى إلى المتاجرة بمحاضر التنصيب التي بموجبها، يمكن للمنظمة

أن تنشط و تتحرك في الجامعة و في الأحياء الجامعية، فهي صفقة مربحة بالنسبة لأولئك الذين يسعون إلى التكسب تحت غطاء النشاط الجمعوي، إن الطلبة يعرفون الكثير عن هذه المواضيع المتكررة في حياتهم اليومية .

دحوا مثلا 23 سنة، السنة الرابعة علم الاجتماع، يحكي لنا خبرته الجمعوية فيقول، " إن أول ما شد انتباهي نحو التنظيمات هو المطعم، لقد شاهدت الطلبة الذين يؤخذون الوجبات كما و نوعا، ودونما عناء يذكر، فسألت من كان يقف بجانبي في الطابور قائلا، من هؤلاء؟ فرد عليا قائلا : هؤلاء أصحاب المنظمات، قلت في نفسي لماذا لا أكون مثلهم، في ماذا أختلف عنهم، فافتعلت الخصومة و الشجار معهم ذات مرة، فانتبهوا إلى جرأتي و إلى إقدامي، فدعوني للانخراط معهم قائلين لي، أنت ذكي و شجاع، لما لا تنضم إلينا، فتستفيد من مزايا عديدة و لا ينقصك شيء ؟، من تلك اللحظة بدأت قصتي مع المنظمات قضيت في واحدة منها مدة سنة كاملة، تعلمت فيها مخاطبة الجموع و تحمل المسؤوليات، لكن أيضا تعلمت فيها السرقة، و كيفية الضغط و التلاعب على الإدارة، حتى تزودني بالإمكانيات و الوسائل، من أجل عقد النشاطات، لكن غالبا ما كنت أحولها لمصلحتي الخاصة ، بعدها انتقلت إلى منظمة أخرى، بعدما دب الخلاف و استفحل النزاع في ما بين أعضاء المكتب، الذين كانوا من أبناء منطقة واحدة، كان ذلك بسبب عدم اتفاقهم على كيفية اقتسامهم ما " غنموه " من محافظ و هدايا، كان يفترض توزيعها، على من أقيم النشاط باسمهم، لا علينا، هذه المسائل ليست غريبة على الحياة الجمعوية داخل الإقامة، فلو شئت لذكرت لك منها الكثير، بعد خبرة دامت سنتين في العمل الجمعوي، زادت مطامحي حيث أصبحت أفكر في المدى البعيد، لم أعد اكتفي بمجرد العضوية، فأنا أود الوصول إلى أعلى المراتب، لذلك اخترت هذه المرة منظمة " مختلطة " من مختلف الجهات، انخرطت فيها، وجدت الظروف جد مواتية، و ذلك من أجل فرض الذات، فأصبحت على رأس المكتب داخل الجامعة، و ذلك بعدما نجحت في الحصول على محضر التنصيب، من المكتب الوطني " .

للعلم فان السعي لأجل الحصول على محضر التنصيب، و الذي يخضع الحصول عليه إلى المضاربة قد يصل ثمن بيعه إلى حدود المئة ألف دينار أو يزيد، و ذلك بحسب تصريحات بعض الطلبة المعنيين بالعمل التنظيمي، لكن هذا الثمن يمكن تعويضه من خلال الأشياء العينية، المضاعفة إلى مرات عديدة والتي يسحبها المسؤول عن التنظيم المعتمد من قبل الإدارة الوصية، وذلك تحت شعار تموين الدورات التحسيسية أو إقامة الدورات الرياضية، أو حتى في مثل المناسبات كمناسبة 8 مارس الخاصة بعيد المرأة أو 19 مايو الخاصة بعيد الطالب، هذه اللحظات تعد المناسبة الثمينة، التي تتربح من خلالها بعض المنظمات، فتضخم أرقام الطلبات العينية، و التي لا يستفيد منها في الأخير إلا العدد القليل، و يحول الباقي منها إلى البيع في الأسواق العامة .

بطبيعة الحال فان مثل هذه الأعمال، التي لا يمكن أن توصف إلا بالفاسدة، فإنها لا تخص سوا أصحابها ولا تشمل كل الجهات التنظيمية، لكن في ذات الوقت لا يمكن نكران وجودها أو السماع عنها، و نحن نتدارس وضعية العمل الجمعوي في الزمان و المكان، وفق التصريحات و المحادثات التي نعقدها مع مختلف نشطاء العمل الجمعوي داخل الأحياء الجامعية، فمثل هذه الأعمال من شأنها أن تكشف لنا عن جانب من جوانب الأساليب المتداولة من قبل العمل التنظيمي، التي تؤكد وضعيته

أن روابطه المدنية المفترض ترقيتها و النهوض بها، و ذلك بالاعتماد على هذا الجهاز، أنها محتواة ضمن ميكنزمات غير متجانسة مع لوائحه وقوانينه التنظيمية الرسمية، و لا متناغمة و متوازنة مع قيمه و أخلاقية عمله في بعض الأحيان .

مقدمة :

لا تكاد تخلو إقامة من الاقامات الجامعية، ذكرية أم أنثوية، من وجود فضاء مخصص للصلاة وللعبادة فالأحياء الجامعية شأنها في ذلك شأن المناطق الحضرية، يهتم أهلها بشؤون" المعاد " مثلما يهتمون بشؤون" المعاش "، هذا في الإطار العام الذي يتقاطع فيه البعد البشري بالبعد الرمزي، و ذلك من أجل "تليين" الحياة الإنسانية، و إشباعها بالمعاني و الدلالات المافوق المادية لكن هل من خصوصية تذكر تنفرد بها المساجد الخاصة بالإقامة الجامعية [1] ؟، لنتساءل بشكل أعمق، ما معنى وجود مسجد داخل الاقامات الجامعية؟، ما هي الدلالة المجالية التي يثبتها هذا المعلم، داخل الحياة اليومية للطلبة المقيمين؟ من الناحية القانونية لا حديث يذكر عن وجود قوانين و مراسيم تنظم الشأن العبادي الخاص بالطلبة، فهي أماكن غير رسمية متروكة للتفاوض الضمني في ما بين إدارة الحي الجامعي و المنظمات الطلابية المعنية بمثل هذا الأمر، و هذا خلافا للمساجد الحضرية التي تخضع مباشرة للحكم السلطات العمومية وتنظيمها الإداري [2].

إن الفراغ القانوني في مثل هذه المسألة – بقصد أو بغير قصد –، منح استثناء خاص للمساجد الإقامات الجامعية، حيث باب المنافسة و التفاوض في ما بين التيارات المختلفة، مفتوح باستمرار و ذلك من أجل الاستيلاء على هذا الركن، بهذا المعنى فان " مسجد الطلبة " يؤخذ معنا جيليا يتناغم و سخونة الشباب المحبة للتجريب والتجديد، التي تطال هنا مجال الرمزية الدينية [3] هذه الخصوصية المتصلة بمسجد الإقامة، في عين من يلاحظ المكان، ذات أثر بارز على تراتبية المجال الاقامي و مكانته الداخلية والخارجية، فهو من جهة يتدخل بمستويات مختلفة في تنظيم السلط و ضبط العيش المشترك في قلب الحي و من جهة أخرى يخرق الحدود الفاصلة في ما بين الإقامة الجامعية و العالم الخارجي، فيختلط بذلك الخاص بالعام و المقيم بغير المقيم، " ذلك أن المقدس

---

[1] - بحسب التصنيف الفقهي فان أماكن أداء الصلاة جماعة، هي ثلاثة : المصلي و هو عبارة عن مكان عام، محجوز للصلاة العيدين و الاستسقاء و الحاجة، الجامع، مكان تؤدى فيه صلاة الجمعة، فلا يجوز بحسب الفقه المالكي إقامة جمعتين في حي واحد، يسع جامعه عموم المصلين من السكان، المسجد، هو عبارة عن قاعة يؤذن فيها للصلوات الخمس فقط، و لا تؤدى فيه صلاة الجمعة، لكن الشائع في مابين الطلبة تسمية مساجدهم باسم المصليات، علما أن الاقامات لا تحتوى إلا على مساجد و في بعض الأحيان على جوامع، ربما يعود ذلك إلى غياب المكانة القانونية التي تأسس إلى بناء مسجدا بمئذنة على مستوى الإقامة، " فالمصليات " في تصور الطلبة، هي مجرد قاعة من قاعات المرافق العامة داخل الإقامة، تم فتحها بشكل عاجل و إلباسها لباس المسجد، من جهتنا سنجاري الطلبة في تبني قاموسهم اللغوي، ذلك أن الأولوية تمنح للدلالات الفاعلين و ليس إلى مضامين النصوص .

[2] - يمكننا أن نشير هنا إلى المراسيم الثلاثة التي صدرت يوم 23 مارس سنة 1991، على التوالي : المرسوم الأول رقم 81/91 جاء ليعدل و يتمم مسألة بناء المساجد و تنظيمها و يحدد وظائفها و يضبط مهامها، المرسوم الثاني رقم 82/91 جاء لينص على تأسيس جمعية المسجد أما المرسوم الثالث رقم 83/91 فهو خاص بتأسيس نظارة الشؤون الدينية و تحديد و وظيفتها ومهامها

[3] - علينا أن نتذكر أن Weber (M)، يعتبر علم الاجتماع الديني، جزء من علم الاجتماع السيطرة، فالتجمعات الدينية بحسب تعبيره هي تجمعات من أجل السلطة و التسلط، أنظر ذلك في

Weber (M), 1996, Sociologie des religions, P358-359, Paris, Gallimard, 565 P.

في مثل هذا الوضع، لا يعترف بالفوارق الموجودة بين الديني و الدنيوي، بل يجعل من هذا الأخير أداة من أدواته، مثلما هو معروف في التقاليد الإسلامية"(4) .

إن وصم الإقامة الجامعية بالدلالة الدينية، فعل له تاريخ، فهي من جهة تستلهم مجرى تمثلها وسلوكها على المستوى الهوياتي من تمركز الحواضر الإسلامية و تمحورها منذ نشأتها، على وجود المساجد والمآذن السامقة (5)، بحيث تود مجارات هذا التاريخ العمراني و السير في اتجاهه، أما من الناحية الثانية فان المسألة تتعلق، بالتاريخ المحلي الخاص بالجامعة ذاتها، حيث يعد تأسيس " مسجد النخبة " في الجامعة المركزية بالعاصمة، والمفتتح من قبل الملهم الروحي مالك ابن نبي سنة 1966 نموذجا أصليا un prototype وحدثا مؤسسا، لا يزال الطلبة المتعاقبون على الجامعة جيلا تلو الجيل، يحرصون على ضرورة إيجاد قاعات تخصص للصلاة و لأداء العبادات .

حول هذا المعلم المؤثر في الحياة الداخلية للطلبة، و كيفية مشاركته في إعادة بناء ضوابط ومعايير ضمن بيئة " مفتوحة على السلوك الفردي، والمفتقرة إلى المعالم الجماعية، تجعل من الطالب يتجه نحو الانطواء و الانسحاب من الحياة الجامعية العامة ويتصرف من ذاته كأنا وكشخص و ليس كطالب " (6) ، تأتي الأهمية التعويضية، للمعيارية المفتقدة داخل الحياة الاقامية .

1- تهيئة المسجد:

من حيث المخطط العام الخاص بهندسة و باعمار الاقامات الجامعية بالمرافق الضرورية، لا مكان للفضاء المسجد، على الأقل هذا ما تكشفه الصور و المجسمات النموذجية، الموجودة في بعض من مكاتب الإدارات الخاصة بالإحياء الجامعية، لذلك فان العلمية لا تخضع إلا إلى التدبير والمجهود الجماعي الذاتي، الذي تزاوله المنظمات الطلابية ذات الطابع الديني، و ذلك من خلال تفاوضها مع الإدارة من أجل إيجاد مكان يخصص للشؤون العبادة، فالمسجد داخل الإقامة من حيث الوجهة التوبوغرافية، ليس بالفضاء المحوري الذي يتوسط المكان، فتتقاطع حوله كل الأنشطة الجماعية، و تضبط على إيقاعه الحياة الاجتماعية داخل الحي فلو تعرضنا على سبيل المثال إلى بعض الوضعيات المكانية الخاصة بالمصليات الاقامية، لتبين لنا ذلك، فمسجد السنة في إقامة 2000 سرير ذكور بجامعة معسكر مثلا، مر بعدة مراحل وذلك قبل أن يستقر على وضعه الحالي، لقد كانت البداية مع افتتاح الإقامة سنة 1997، حيث لجأ الطلبة بالتعاون مع الاتحاد الطلابي الحر إلى تحويل قاعة واسعة، موجودة في الطابق السفلي من المطعم العام إلى قاعة تؤدى فيها الصلاواة الخمس و الجمعة معا بشكل مؤقت .

4- Moussaoui (A), " le pur et l'impur ", document de travail, URASC Université d'Oran, Sept. 1989

5- Gardet (L), La cité musulmane, 1954, Paris, Librairie Philosophique 404 P

6- Lapeyronnie (D), Marie (J), 1992, Compus Bleues, les étudiants face à leurs études, P 94-95, Paris, Seuil, 265 P .

لكن ظروف تهيئة الإقامة و استغلال الأماكن فيها وتنظيمها، أوجب ضرورة إخلاء القاعة المعدة للعبادات، و استبدالها بقاعة أخرى تمثلت هذه المرة في قاعة المحاضرات، الكائن مقرها داخل إدارة الإقامة ذاتها، لكن لم يدم ذلك طويلا، فلم يكن هذا الأمر سوا وضعا ظرفيا مؤقتا، لذلك رحل المصلى بعد ذلك إلى حجرة صغيرة موجودة بقرب التجهيزات الكهربا نية و محرك التدفئة، لم يكن الوضع لائقا ولا مريحا بالنسبة إلى الطلبة، فاضطروا إلى البحث عن مكان مناسب آخر، لذلك انتقلوا مجددا إلى الجناح رقم 12 المتواجد مقره عند الحدود النهائية للإقامة من الجهة الشرقية، ففتحوا هنالك غرفتين في الطابق السفلي من الجهة الخلفية، حيث تقل الحركة الراجلين، إلا من نعال المصلين و الناشطين المستجديين تطور أمر المصلى بعد ذلك، لتضاف إليه أربعة غرف أخرى، بعدما تم تهيئتها وتوحيدها في قاعة مستطيلة الشكل، وخصصت حجرة إضافية للمكتبة التابعة إلى المسجد، مصلى الرشاد بإقامة زدور إبراهيم بوهران من جهته، حظيا بمكانة مجالية متميزة، فهو موجود أمام الساحة العمومية التي ينتشر فيها الطلبة للجلوس والاسترخاء، و القريب من المرافق الحيوية الخاصة بالإقامة، كالمطعم و الإدارة والمستوصف، يتربع على مساحة واسعة تزيد عن 400 متر مربع، حظيا بالاستقرار و الاهتمام من اللحظة الأولى، فهو لم يعرف تغير في المكان، ربما يعود ذلك إلى العناية الخاصة التي أولاها مسؤولي الإدارة بهذا الركن، و التي لاقت ترحيبا و تأيدا من قبل الاتحاد الطلابي الحر، المسيطر الوحيد على مجرى الأمور داخل الحي، مسجد الرشاد بالإقامة مفتوح على الصلاواة الخمس و على أداء صلاة الجمعة، تهيئته الإجمالية لا تختلف في شيء عن الهندسة المعمارية العامة للإقامة، عدا اليافطة المكتوب عليها اسم المسجد المثبتة في أعلى الباب الخارجي، فلا شيء يشير أو يوحي بدينية المكان .

في إقامة البنات ببوزريعة المسماة ب1500 سرير، تحتوي على مصلى عائشة أم المؤمنين، فلقد كان المكان من قبل، عبارة عن مخزن عام توضع فيه السلع الخاصة بالحي الجامعي، لكن بفضل اعتصامات البنات وضغطهن على الإدارة، حول المكان إلى مصلى، لكنه لا يحتوي بداخله لا على ميضائة و لا على مؤذنة، ولا يختلف في شكله و لا هندسته، عن باقي المرافق الموجودة بالحي، فهو مجرد منطاق يتربع على سبعة أمتار مربع، لكنه مفعم بالنشاط و الحيوية، ذات الطابع الديني على مدار الأسبوع تقول زهية 22 سنة مسؤولة المصلي، و طالبة في المدرسة العليا للأساتذة، " نقدم داخل المصلى بعد صلاة المغرب، أشرطة فيديو مصورة، تعرض مواعظ و إرشادات دينية، يقدمها الدعاة و المربون المعروفون على مستوى الفضائيات الدينية، تعمل للجنة المصلى من جهتها على تحضير المسابقات، و إقامة الملتقيات السنوية التي تهم بالدرجة الأولى، شؤون المرأة و التحديات التي تواجه الفتات المسلمة بشكل عام، كما نتعاون أيضا مع مركز الذكاء الجزائري الخاص بالتنمية البشرية، الذي يقدم لنا مختصين ينشطون لنا دورات تدريبية، خصوصا عند قرب فترة الامتحانات "، إن مصلي الإقامة المذكور هو بمثابة البيت الثاني للطالبة، بحيث ينشأ بداخله التعارف و الترابط ، و تخفف بداخله وحشة المكان و برودة العلاقات الوسائلية، التي تنشأ داخلا السكن الجماعي في الحي .

2- تنظيم المسجد:

إن عملية تنظيم مصليات الإقامة الجامعية، هي من أعقد المسائل التي ما تزال تخضع إلى رهانات القوة والاستقطاب الشديدين، ليس فقط في ما بين الأطراف المعنية بالشأن الديني، بل تكاد تحرك كل مجالات الحياة الاقامية، بمختلف اتجاهاتها و تياراتها الدينية و حتى الغير الدينية هي" مركز نشط"[7] un centre actif بتعبير Geertz، يختصر كل التناقضات التنظيمية داخل الحي، فتسليط الضوء على هذه المسألة بحد ذاتها، هو عمل ذو قيمة تأويلية، من شأنها أن تطلعنا على مجمل الأبعاد، التي تتحكم في منطق الفعل المتحرك خلف ستار المشهد اليومي، والذي تظهر به حياة الإقامة الجامعية، لنفصل عمليا كيفية اشتغال هذا الفعل على أرض الميدان/ فمثلا مسجد مصعب ابن عمير بحي الفضيل الورتلاني، والذي كان بيد الاتحاد العام الطلابي الحر، على الأقل منذ مطلع سنة 2000، عرف صراعات " ما فوق مسجدية " تجاوزت الحدود الإقليمية الخاصة بفضاء العبادات، فجلبت إليها مختلف الفرقاء، لينخرطوا في اصطفافات متعددة هندست مجمل الروابط السوسيو مجالية داخل الإقامة .

لنرى ماذا يقوله لنا صديق مجددا حول هذا الموضوع، " لقد كان المصلى في بداية الأمر بيد الإخوة يؤمون الناس في الصلاواة الخمس و في الجمعة، و يشرفون على مختلف النشاطات الجارية فيه، لم يعجب هذا الوضع جماعة السلفية في الحي، التي تعاظم شأنها و ازداد عددها، فرفضوا الصلاة خلف الإمام بحجة، أنه من الإخوان المسلمين الذين لديهم انحرافا في العقيدة ويؤمنون بالتحزب و يحرضون الشباب للخروج على طاعة الحاكم " ، لذلك وجب – من وجهة نظرهم – مقاطعة الإخوان وهجرهم، ما ترتب عن ذلك اقتسام المسجد إلى نصفين، النصف الأمامي الأول أين يتواجد المحراب و المنبر وميكروفون الآذان و الخطب يتقدمه الإمام وللجنة المسجد و الأتباع من تيار الإخوان، و جناحهم التنظيمي المتمثل في الاتحاد العام الطلابي الحر، و النصف الخلفي من المسجد الذي غمره الطلبة السلفيون، أين كانوا يتجمعون إلى الصلاة جمعا وقصرا[8]، في وقت متزامن مع غرمائهم " الاخوانيين " .

لقد أدى هذا التشاحن إلى التوتر و إلى تفجر الأوضاع، فانخرط الطرفين في مشادات عنيفة استدعت تدخل الأمن فأغلق المسجد نهائيا للمدة شهر كامل، و ذلك في انتظار إتمام التحقيقات و البث فيها من قبل السلطات العمومية الرسمية، حول هذا

7- Geertz (C), 1986, Savoir local Savoir global, les lieux du savoir, P 154 Paris, Edition P.U.F, 293 P

8 - كثيرا ما كانت تؤدي هذه المسألة إلى فوضى في وسط مصليات الإقامة، فالشباب السلفي من أجل الإفصاح عن نفسه و التعريف بذاته، كان يلتزم في صلاة الجماعية " بالرخصة " التي تجيز للمسافر أن يجمع في ما بين الصلاتين الرباعية و يقصرهما إلى ركعتين ركعتين، بآذان واحد واقامتين، مثلما هو معروف بالأخص في المراجع الدينية المتبعة لدى المذهب الحنبلي، المفضل من قبل الشباب ذوي التوجه الوهابي السلفي، أما الشباب المتدين من غير هذا الفصيل، فكان يتم صلاته و لا يعتد بحجج السلفيين، التي لا تقر بمذهب مالك المعروف مغاربيا، و الذي لا يجيز قصر الصلاة بالنسبة للمسافر، الذي تجاوز مدة الثلاثة أيام، لقد شهدت هذه الظاهرة في السنة الأولى التي افتتحت فيه إقامة C5 في وهران، حيث كان الإمام من الجماعة السلفية، لقد صلى بنا صلاة العشاء ركعتين ثم قام و التفت يقول للمأمومين معه " قوموا و أتموا فنحن قوم مسافرون ".

الوضع يقول صديق، " لقد كانت غاية السلفيون من كل هذا، الاستحواذ على فضاء المسجد، حيث وجدوا في دعمهم مدير الإقامة و المنظمات الأخرى، التي وجدت في مثل هذا الحدث فرصتها الذهبية، من أجل تصفية حساباتها و الانتقام منا، خصوصا لما كنا نمنع عنها من قبل إقامة الحفلات الغنائية الصاخبة أو المختلطة داخل أحياء البنات، و من أجل تطويق الخلاف وانتزاع فتيل النزاع، طلبنا من نظارة الشؤون الدينية، إيفاد إمام مرسم من قبلها، إلا أن هذه الأخيرة رفضت هذا الإجراء، و قبلت بفتح مسابقة بين مرشحنا، وبين مرشح السلفية، لقد كان مرشحنا من آدرار، طالب في معهد العلوم الشرعية، في السنة الرابعة ويحفظ القرآن كاملا، لقد فاز بالمسابقة، مثلما أخبرنا أحد المسؤولين في نظارة الشؤون الدينية، إلا أن مدير الإقامة و بدعم من المنظمات المناوئة لنا، استطاع أن يقنع الجهة المشرفة على المسابقة، فغيرت النتيجة لترسيا في الأخير على مرشح السلفية، بهذه العملية انقلبت موازين القوى، و أصبح المسجد تحت حكم السلفيين، و أصبحنا نصلي خلفهم دربا للفتنة ولانقسام" .

لقد كان لهذا الحدث انعكاسات هامة، على مستوى كيفية تنظيم و اعمار مكان الإقامة بشريا، إن عنصر المنفعة و تغليب المصالح الجزئية، تخطى كل الغايات الأيديولوجية و العقدية، بشكل مفارق، و هو يتداول في الشأن الديني و بالأحرى في حيز الدين، فلقد نجحت الإدارة جزئيا من جهتها في التخلص من وجود الشريك " المدني "، الذي يراقب أدائها على مستوى تسيير الحي الجامعي، إن منح حكم المسجد للطلبة السلفيين، يأتي في إطار تقليص القدرات التعبوية للاتحاد الطلابي الحر، الذي يسعى دوما إلى امتلاك الأغلبية، و من ثمة فرض إرادته و هيمنته التنظيمة على أرض الإقامة، فإدخال السلفيين في مثل هذه اللعبة، و تثبيت أقدامهم على أرض المسجد، هو من دون شك فعل مريح للغاية بالنسبة للإدارة، فالسلفيون المضادون عقديا للفعل الاحتجاج والمنشئون على فعل الطاعة للحاكم، هم بلا شك كنز ثمين و مغري يسيل له لعاب كل صاحب سلطة وحكم [9] لذلك يعد إدخالهم ضمن رهانات تنظيم المكان، يعد أمرا أساسيا بالنسبة لأهل التخطيط و المعنيين بالشأن العام .

من المفارقات التي تفرزها مثل هذه الأحداث أيضا، هو نشوء تحالف، بل تضامن، في ما بين الطلبة السلفيين و الطلبة للادينين المنضوون على سبيل المثال، في منظمة الاتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية U.N.J.A أو الاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين U.N.E.A، فلقد ذكر لي أحد طلبة U.J.E.L، كيف وقف السلفيون " ضدنا و نحن نود منع إحدى حفلات DJ بالحي فلما سألت أحدهم مستغربا من تضامنه مع هذه النشاطات!!، قائلا له لماذا تقفون ضدنا، كان يفترض أن تقفوا معنا في رفض

---

[9] - بحسب G, Balandier، فان السلطة و المقدس مسألتان، تحتلان الواجهة في العمل السياسي ذلك " إن الممثل السياسي لا يحكم الواقع إلا بواسطة المخيال "، و المجتمع لا تتماسك وحداته إلابفعل الأيديولوجيين، لذلك يعول الساسة و العاملين في الشأن العام، على البلغاء و الكرزميين ومن يملكون السلط الروحية، في بناء حكمهم و دعم سيطرتهم ، أنظر في هذا الشأن :

Gosselin (G), 1993, Les nouveaux enjeux de l'anthropologie, autour de G, Balandier, p 11, 25, Paris, Edition L'Harmattan, 302 P

هذا المنكر!! فأجابني منفعلا و مستنكرا الحديث معي قائلا: لا تحدثني أنتم أصحاب بدعة وتحرضون الشباب على المظاهرات " لقد أسفر عن هذه الوضع نشوء مبادلات تنظيمية، في ما بين الطلبة السلفيين وبين المنظمات الأخرى من غير" طلبة الاتحاد " طبعا .

إن الطلبة السلفيين و على الرغم من قولهم ببدعة العمل التنظيمي، إلا إنهم لا يترددون في الاستعانة بحلفائهم الغير الدينيين، في تنظيم ملتقياتهم و أنشطتهم الدينية داخل الحي، حيث يجدون كل الدعم الرسمي و الإداري، الذي يمنح لهم المشروعية في مزاولة مثل هذه التظاهرات، أمام هذه المفارقات، لنا أن نسأل ما هي الدلالات العميقة، الممكن استخلاصها من تحت هذه الأحداث المتضاربة، و المؤسسة للشغل المكان؟، إن الحلحلة الأنثروبولوجية للمثل هذا الموضوع، تمنحنا استنتاجات هامة يمكننا أن نجملها في النقاط الآتية :

أولا، إذا ما سلمنا مع G, Balandier في تعريفه للمجتمع على " أنه مقنع بثلاث صفات رئيسية محصورة أولا، في فعل إنتاج التفاعلات على قاعدة النظام و اللانظام ، وعلى المحددات القبلية والعشوائية في آن و احد، و أن إنتاج الصورة الإجمالية للمجتمع لم تكن أبدا مؤكدة، بل على العكس من ذلك، هي في توالد متواصل دونما اكتمال، و أن المجتمع هو عبارة عن كل موحد يفرضه تناسق داخلي ملزم " (10) فانه من شأن ذلك، أن يمنحنا المعنى الذي على أساسه، ينتظم المشهد المجتمعي داخل الإقامة الجامعية و الذي يجعل من مرتكز الحيز الديني، أحد المصادر الأساسية، الباعثة للممارسات و التشكلات الجارية على الأرض .

إن التفاف كل من الفرقاء المذكورين حول حيز المسجد، و التزامهم بمرجعية المصلحة والمنفعة و ليس الدين، و ذلك من أجل أخذ كل طرف حصته في امتلاك المجال و التحكم فيهن يجعل من الجميع يفارق مواقعه الالتزامية و المبدئية، التي رهن نفسه بها، فلا الإداري هنا، يحافظ على مسافة واحدة مع الجميع ولا المنظمات الغير الدينية، تنأى بنفسها على ما هو ديني، ولا الاتحاد الطلابي الحر الذي أخلط مبكرا في ما بين الديني و الدنيوي، من أجل حصد أصوات الأغلبية لصالحه، قد اكتفي و تفرغ لجانب دون الآخر، ولا السلفيون توحدوا مع مبادئهم ومرجعياتهم، المضادة للكل ما هو براغماتي و ذرائعي (11) .

---

10 - Balandier (G), 1985, Anthropologique, P8,France, Biblio essai,316 P

11 - حول الواقع وقيمته الفعلية في الفهم السلفي، نشير هنا على سبيل المثال لا الحصر إلى ماكتبه الشيخ ربيع المدخلي و هو من أبرز ممثلي التيار الوهابي و الأكثر اجتذابا للشباب المنتسب إلى السلفية اليوم، يقول " إن أغرب ما يقوم به المتحمسون لفقه الواقع يقدمونه إلى الناس و كأنه أشرف العلوم و أهمها، و هو في الحقيقة لا يسمى علما و لا فقها، فأين المؤلفون فيه، أين علماؤه و فقهاؤه في السابق و للاحق، أين مدارسه؟، إن فقه الواقع لا يختلف عن مبدأ الصوفية في التفريق بين الشريعة و الحقيقة...و يعتمد على اختبار الصحف التي تحترف الكذب وتقوم على الجهل و الهوى و المبالغات و تحريف الكتاب و السنة"،(نقلا عن عبد الحكيم أبو اللوز تصلب الأيديولوجية السلفية الجديدة "، إضافات، العدد الثالث

الكل إذن ينشد تحقيق المصلحة و اكتساح فضاء التنظيم، و التسيير الخاص بمجال الإقامة الجامعية، و ذلك انطلاقا من فضاء الرمزية الدينية .

ثانيا، إن قوة الطرد المجتمعي، بالاستناد على مجالية المسجد في الإقامة و التنافس المستميت على "مصالح الإيمان والخلاص " les biens du salut بحسب تعبير Weber، يكشف لنا وفق ملاحظتنا في الميدان، إلى إعادة تقسيم فضاء الإقامة و توزيعه، إلى مراكز و أطراف، ففي حي زدور إبراهيم C1 الذي يعرف تمركزا قويا و تنظيما محكما محتاط و منتبه، من قبل الاتحاد الطلابي، لا يترك أي مجال أو فرصة للمد السلفي، أن يطمح في أكثر من أداء الصلاة جماعة في مسجد الرشاد، و الاكتفاء بإدارة حلاقاته ونشاطاته الدينية، إما أمام باب المسجد بعد غلقه عند انتهاء صلاة العشاء، أو داخل الغرف التي يقطنها أفراد هذا التيار، نفس الملاحظة تذكر على أتباع الاتجاه الصوفي، سواء في إقامة الفضيل الورتلاني، أو إقامة 2000 سرير بمعسكر على سبيل المثال، أين يعرف التيار السلفي تحكما مطلقا في المساجد، في مثل هذه الحالة تشكل الجماعة الصوفية أقلية دينية، حيث تكتفي هي الأخرى، بتأدية نشاطاتها داخل الغرف أو الأماكن الطرفية، البعيدة عن المجالات الحيوية داخل الإقامة، أين يحلو لهذه

و الرابع/ صيف و خريف 2008، ص، ص 94-108)،يشير هذا النص إلى نكران الواقع و عدم الاكتراث إليه و التعامل معه، و ذلك في سبيل التشبث بالنص و بدلالته الحرفية التي لا يكتمل التعريف السلفي إلا بها فكيف لنا أن نفسر إذن تناقض الطلبة السلفيون، مع مراجعهم وانغماسهم الكامل في الواقع، الذي يعني تقديم المنفعة إذا ما اعترضت مع النص و المبدأ الملتزم به ؟، فهم لا يبدون أي تفسير تجاه فعلهم المتناقض ـ كما هو في الحالة المشار إليها أعلاه ـ، سوا تذمرهم من تيار الإخوان المسلمون المناوئ لهم .

في الحقيقة إن أي صفة اجتماعية على وجه العموم، ينبغي مراجعتها و فهمها ضمن السياق الزمني و المكاني الذي نشأت فيه، إن السلفية كغيرها من المواصفات و النعوت و الاطلاقات المتعددة، لا تختلف في شيء عن هذا المعنى، فهي مرتهنة للواقع و لضغوطاته الذي تتفاعل فيه، فالسلفية ضمن الواقع المعيش، على الأقل في حدود مجال ملاحظتنا، تشبه كثيرا التوصيف والتشخيص الذي تحدث عنه عبد الله العروي، و هو يحلل معنى السنة من حيث الاستعمال والتوظيف الزمني لها، فهو يقول " إن السنة التي تتجدد على رأس كل قرن كما يروى ... هي بالطبع غير السنة السابقة عليها، فهي بالمعنى الحرفي سنة مبتدعة، أو لنقل في استعمال اليوم نيو- سنة...إنها تستحق هذا النعت بمجرد، عملها في سياق مختلف، إن تغير المحيط (بالهجرة أو الثورة و الهزيمة و الغزو و الاستيطان) يزيد السنة انتقاء و صفاء و اتساقا و عمقا بالظرف الذي تتواجد فيه، فهو بالضرورة فاصل بين قبل و بعد، داخل مجرى السنن نفسه وهو ما تنفيه السنة بالتأكيد، إذ لا تعترف بأي عامل داخلي أو خارجي في تشكيل أي من أوجهها، بعبارة اليوم نستعملها عن قصد حتى نميز بين نيو- سنة و ما هو بوست، إن السنة في أية للحظة من تاريخها هي بوست- سنة، وهو ما لا تعنيه في معناها التقليدي " قياسا على هذا التحليل فان السلفية الجديدة، التي تخضع في تشكيليها إلى الناظم الزمني الذي تنتمي إليه، لا علاقة لها بحال بالنموذج المثالي الذي تنتسب إليه اسميا، فهي بنت ظروفها و الوضعية التي تتواجد فيها، لذلك نجدها في حالة بحثنا تتصرف بكل براغماتية، من دون اعتبارات فوق زمنية تقفز على الواقع وتمحي أثره حول هذا المعنى أنظر، العروي عبد الله، 2008، السنة و الإصلاح، ص 192 الدار البيضاء المركز الثقافي العربي، 222 ص.

المجموعات مزاولة طقوسها الجماعية، كتلاوات بعض آيات القرآن الكريم، ثم الذكر فالسماع و الإنشاد الصوفي، و في بعض الأحيان ممارس طقس الحضرة L'extasie .

مثل هذه المؤشرات، تسمح لنا بتبني رؤية موسعة خاصة بالشأن الديني، فنستخلص منه مؤثراته المجالية، وكيفية التراتبيات التي يتدعها، و هو يتفاعل مع إيقاع الحياة اليومية، داخل الاقامات الجامعية وتنظيم الانتشار و توزيع الأفراد بداخلها، فلقد سبق و أن تحدثنا في مثل هذا الصدد، إلى مسألة حرق الحدود في ما بين المجال الداخلي والمجال الخارجي، الذي يحدثه حضور المسجد داخل الإقامة، و لا يترك التمايز موجود في ما بين الأطرف و المراكز، لكن هذه المرة نلاحظ شيء آخر، فعلى العكس من طريقة الدمج بين الطرف و المركز، ينقل المسجد باعتباره " مركزا نشطا " داخل الحي، هذا التقسيم إلى عمق الإقامة الجامعية و يعيد رسم الحدود الفاصلة في ما بين المراكز و الأطراف، في مثل هذه الوضعية تتحول الغرف و الساحات الجانبية و الأماكن الخارجية للمسجد، إلى فضاءات طرفية ينتعش فيها " الديني المهشم "[12]، الذي لم يحضا بالاعتراف من قبل المركز المتمثل في المسجد، صاحب الشرعية والمشروعية الرسميتين .

إن هذا التصور مهم من حيث أنه، يمنحنا التقسيم الإنساني الحقيقي الغير المعلن للمكان، حيث ينتسب ذلك إلى الأبعاد الأنثروبولوجية، المرجحة لأهمية التنظيم الغير الرسمي للمكان و ليس لتنظيم الرسمي الذي لا يسمح برؤية الحقائق على الأرض .

3- المسجد و العلاقات العامة بالحي :

إن المكانة المركزية التي يتمتع بها المسجد داخل الإقامة الجامعية، تجعل منه فضاء تقاطعيا يصل شؤون " المعاد " بشؤون " المعاش "، فالنشاطات المنبعثة من داخله ذات الاهتمام بالمجال الدنيوي le profane، تتشابك بشكل مباشر مع الحياة المعاشة في الحي الجامعي، فمن أجل وصم المكان بالخلقية الدينية و تثبيت الدلالة الرمزية فيه، يتحرك المسجد الجامعي في عدة اتجاهات فمثلا في الحي الجامعي 2000 سرير بمعسكر، يطلع مسجد السنة الذي يشرف عليه شباب السلفية، بعدة مهام دعوية، نذكر منها على سبيل المثال، القيام بدورات منتظمة، تتمثل في زيارة الغرف والاطلاع على شؤون أصحابها ودعوة من لا يصلي منهم إلى الصلاة، و حث من يؤدي جاره بصوت الموسيقى و ارتفاع الأصوات بالكف عن ذلك، يتم هذا الفعل في جو من المودة وللباقة، توزع فيه القصاصات و المطويات و الرسائل الدينية، ذات الطبعة الأنيقة بشكل مجاني، يقول أبو أيمن حول هذا الموضوع " الحمد لله لقد أثمرت هذه الدورات، حيث لاقت ترحيبا و إقبالا من طرف المقيمين، لقد حصل بموجبها تعارفا في ما بين الطلبة الوافدين من مناطق شتى، إذ أصبح الجميع بعد ذلك يسأل عن بعضه البعض، نتحدث في ما بيننا عن شؤون الدراسة و عن

---

[12]- Kilani (M), (sous sa dir), 1998, Islam et changement social, Lausanne P 13, Edition Payot? 334 P

مشاكل الإقامة، حتى أولئك الطلبة الذين كانوا غير منضبطين و لا مبالين بجيرانهم أصبحوا يخجلون، فعدلوا من سلوكهم و من طباعهم " .

على مستوى الشأن العام، فان الطلبة في إقامة C1 بوهران يفضلون صلاة الجمعة بالمسجد الداخلي يرجع السبب في ذلك بحسب قول عمار 22 سنة، السنة الرابعة علم الاجتماع، " إلى اطلاع الإمام على مشاكل الطلبة، فهو واحد منهم، فيشدد في الخطبة، على أهمية الحرم الجامعي، فيذكر أن مكانته من مكانة الحرم المكي، فلا يجوز تدنيسه بالمخدرات و الخمور و كلام السوء، كما يحث الطلبة عند قرب الامتحانات، على ضرورة العمل بجدية و تجنب الغش فيها، لأن ذلك مخالف لأحكام الدين و يوصي بأدب الجوار فلا يجوز، – يقول إمام الإقامة – إيذاء الناس بالصخب والضجيج، خصوصا وأن إخوانهم يتأهبون للدخول في امتحانات، مثل هذه المواضيع لا نجدها نحن الطلبة في مساجد المدينة، فالخطباء هنالك لا يعرفون مشاكلنا، لذلك فأنا أفضل الصلاة هنا ".

للعلم فان اختلاف إيديولوجية الخطباء في مساجد الاقامات، موجب لنشوء حراك وتنقل في ما بين الأحياء الجامعية فالطلبة المتدينون الرافضون للتيار السلفي أو للتيار الاخواني أو حتى أصحاب الاتجاه الصوفي، كلهم يتحرك في الاتجاه الذي ينسجم مع معتقداته ومن ثمة ملاقاة أفراد طائفته و جماعته، فمعمار مثلا يترك إقامة الفضيل الورتلاني ذات الحضور الكثيف للعنصر السلفي، و يتوجه إلى إقامة زدور إبراهيم C1، ليصلي صلاة الجمعة مع شركاء الأيديولوجية، و يقضي جل يومه في ما بينهم، أما علي 26 سنة، السنة الخامسة، تخصص طب عام الساكن في الحي الأخير المشار إليه، فيفضل التنقل إلى C5 و أحيانا إلى حي الفضيل الورتلاني ETO حتى يصلي الجمعة مع نظرائه السلفيون، فنحن أمام الهجرة و الهجرة المعاكسة، من أجل الإشباع الروحي و كذلك الاجتماعي، فالمناسبة أيضا هي مناسبة للترفيه، ولقاء أبناء البلد لتحدث و شرب القهوة و تناول الطعام جماعيا الأحياء التي عرفت فترة من الاختلاط في ما بين الجنسين، لعب المسجد فيها دورا حاسما، وذلك من أجل الفصل في ما بين الجنسين في السكن، و تخصيص إقامة مستقلة للبنات، حدث هذا مثلا في إقامة C1 التي عرفت سنة 95/94 من القرن الماضي، هذا النوع من التجاور و الظرف الطارئ، أقلق جماعة السجد في الإقامة، فكتبوا العرائض للإدارة و علقوا اللافتات وأعلنوا الاعتصامات داخل الحي، فلم يستتب الأمر إلا بعد إخراج البنات من الإقامة، وذلك بعد سنة واحدة من السكن المختلط .

أصحاب تدين الهامش، لهم أيضا طقوسهم و أعمالهم الخاصة بهم، داخل الإقامة الجامعية ينطبق الأمر على الاتجاه الصوفي، قليل الظهور و الحضور في الأماكن الحيوية، إن مبارك 26 سنة، السنة الرابعة شعبة العلوم الزراعية، تخصص ري – فلاحة، مثال جيد على ذلك، لندعه يحدثنا عن إسهاماته داخل إقامة 2000 حيث يقطن، فيقول " في يوم الجمعة أقوم بتطهير المراحيض، الخاصة بالجناح الذي أنا متواجد فيه، أستجمع الخبز الجاف المرمي في الأروقة، أغير من موضع رمى النفايات، أنظف المدخل الخارجي للجناح، و أعطر المكان انطلاقا من غرفتي، مستعملا في ذلك البخور والروائح الزكية، أطلق الأناشيد الدينية

المسجلة من على صوت المذياع، كل ذلك من أجل إشعار الناس بقداسة يوم الجمعة، فيستعدوا إلى الصلاة و يتجهوا إلى المساجد، أما أنا فآخذ طريقي تجاه الزاوية التيجانية حيث للذكر و الصلاة، و لقاء الشيخ والمريدين على حد سواء " .

بناء على ما تقدم، فانه بإمكاننا أن نستجليا، المنطق الذي على أساسه تنهض العلاقات المجالية داخل الحي الجامعي، إن أهمية المسجد على هذا الصعيد، و مكانته في توسط الأحداث الأساسية داخل الإقامة تجعلنا نرتب النتائج الآتية، بداية ينبغي علينا أن نؤكد أن مجالية المسجد من حيث الاتصال والممارسة اليومية تؤخذ صفة مغايرة عن أي تداول آخر للمجال، فالمسجد ليس بالمكان الوظيفي أو المكان الدراسي أو بمكان النوم، الذي يتعامل معه بشكل نفعي ووسائلي، انه بالدرجة الأولى مكان للهوية و التعريف بالذات، هكذا هي صفته المجالية، في عموم التقاليد الإسلامية، بتعبير آخر يمكننا القول مع Sakura (K) في دراسته للمكانة المسجد لدى المسلمين المهاجرين في اليابان " أن المسلمين فقط من دون باقي الأعراق والقوميات، من يعرفون أنفسهم بهويتهم الدينية، فأين ما حلوا و ارتحلوا، يقتطعون لأنفسهم مكانا يخصصونه للصلاة و للعبادة، تأكيدا منهم على أهمية البعد الهوياتي، الذي يجمعهم ويميزهم عن غيرهم" [(13)] و لنا في مناطق أخرى من العالم أمثلة عديدة .

إن المسجد داخل الإقامة الجامعية، الخالية الوفاق من أية رمزية دينية، مثلما هو ظاهر في تهيئتها العمرانية، ينطبق عليه نفس التوصيف، فالاهتمام بهذا الركن منذ اللحظة التي يجتمع فيها الطلبة ويلتقون على أرض الحي الجامعي، معبرا عن انشغالهم بتنظيم شؤون الصلاة و العبادة، والتي تتكون بموجبها روابط و قابليات مجتمعية، تؤسس للعلاقة معيارية تتدخل في تنظيم المكان و الانتشار فيه، إن مقابلة مفهوم الحرم الجامعي بمفهوم الحرم المكي، مماثلة تعبر عن قدسنة للمجال و كيفية التصور للتواجد فيه لكن هذا التمثل ليس منسحبا عن شؤون الدنيا و تناقضاتها المختلفة، بل إن المسجد في الحي الجامعي لم يشذ يوما عن مكانته الحضرية، التي صاحبت مختلف التطورات الخاصة بالحياة العامة داخل الحواضر والمدن، ففي الاقامات الجامعية يتدخل المسجد، في تجميع الطلبة وتصنيفهم وفرزهم، بحسب انتماءاتهم الرمزية والأيديولوجية، فهو مكان منفتح على مختلف الراديكاليات، لكنه في ذات الوقت مكان للحيوية وللنشاط المنبعث من فضائه، فيجسر العلاقة بين المدينة والإقامة بعد إلغائه للحدود في ما بينهما لكنه يعيد رسمها من جديد على مستوى الداخلي في الحي، فيميز بذلك بين الخالص و الغير الخالص، بين المسموح به والممنوع، بمعنى آخر انه " يعيد مشارطة المجال العمومي (الاقامي) بحسب المعايير العقدية " [(14)].

إن مشكل النوع والتقسيم الجنسي للمكان، هي من أهم المؤشرات الدالة، على تدخل مساجد الاقامات الجامعية، فعلى الرغم من قلة عتادها و معمارها المتواضع، و تسييرها العفوي و الإرادي، لطالما منحت النموذج الأصلي، الذي استلهمت منه

---

[13]- Sakura (K) " construction de l'émigration musulmane : la mosquée espace pour la communauté musulmane au japon ", REMMM, N 125. premier Trimestres 2009, PP 89-110

[14] - نفس المرجع، أنظر إلى المدخل، ص، ص 15-20 .

المساجد الحرة في المدن و الحواضر الجزائرية في فترة مضت، أين تنامت جيوب الغضب و الاحتجاج، " فتحولت إلى مكان للمحاكمة السياسي، و التدخل المباشر في تسيير الشأن العام " (15)، فالتبس التميز في ما بين المدني النسبي و بين الديني السرمدي الخالد، من هنا تأتي أهمية مدارسة و تحليل هذا الركن، وذلك في إطار تلاحمه مع مجريات المعيش اليومي، الخاص بحياة الطلبة داخل الاقامات الجامعية، و كيفية ترجمة المراس الدنيوي، إلى للغة معيارية تشكل حقيقة قوة فاعلة في التحول و التغير

إن دخول الاتجاه السلفي الجديد على خط التناقضات التنظيمية، في ما بين مختلف الفرقاء داخل الحي الجامعي، لدليل على تحرك آلة التغير الاجتماعي و إعادة رسم خارطة القوى لمجرد تدخل الفاعل الديني في ذلك .

15- Moussaoui (A), " La mosquée au péril de la commune ", Peuples Méditerranéens, N 52-53, Juillet- décembre 1990, PP. 81-89

خلاصة القسم:

نستطيع القول أن مسألة تنظيم الحي الداخلية، تنشطر في ما بين الاعتماد على الإطار الموضوعي الذاتي من جهة و على الإطار الذاتي الموضوعي من جهة أخرى، ما معنى هذا الكلام ؟، إن الإطار الجمعوي بمنطقه الحديث، ابتكر لأجل التجاوز و التحجيم من مكانة العناصر الأولية العفوية المتصفة بالطبيعية، أي بمعنى إعادة موضعة العلاقات الإنسانية و بنيتها على أسس مدنية، تعطي الأولوية من أجل الانخراط ضمن سياقها، للكفاءة و الأهلية والتخصصية، فالعمل الجمعوي بهذا المعني جاء ليستبدل علاقات و روابط الجهة و الدم والمعتقد، بعلاقات و روابط تقوم على الاشتراك في الهدف والمبدأ الذي ينص عل العقلنة في التسيير، و ينشد تحقيق المنفعة العامة، المتصلة بالحقوق الكونية التي لا تختلف و لا تنحاز لإنسان دون آخر.

في حالة بحثنا المحقق فيها، فان هذا التصور يبدوا مقلوب الشكل، ذلك أن المؤشر الجهوي وعلاقات أبناء البلد و أبناء العم، هي الأظهر و الأحسم، في منطق تشكيل الجمعيات و العمل المنظم الرسمي، مرد ذلك في نظرنا يعود إلى غياب " الأدلوجة " الملهمة و الجامعة، التي تجعل من الكل يقفز على انتماءاته الجزئية، ويعبر نحو العمل الجمعوي الحقيقي الذي لا تثبط سيره أو تشوهه الانتماءات الصغيرة و الضئيلة، يحق لمن يقرأ هذا الكلام أن يسميه بالمعياري، ذلك أنه لم يجد أمامه سوا الأيديولوجية ككلمة سرن يبرر بها استواء العمل التنظيمي المؤسسي الرسمي، أقول إننا على وعي بهذه المسألة، و نحن نحاول فهم و تحليل عمليا هذا الموضوع، خصوصا إذا ما أوصلناه بالتقييم العام الخاص بأشكال التقاطع الموجودة في ما بين الرسمي و الغير الرسمي، إذ لا يخفى على كل ذي نظر حالة التشرذم و الانطواء السائر في اتجاه العلاقات الشخصية، وذلك عندما يتعلق الأمر بتسوية الوضعيات و إيجاد الحلول الخاصة بتنظيم الشأن العام إداريا، أمر غير معمم لكنه موجود.

ما يجعل الإشكالية المعيارية في صلب الموضوع، إذ لا يتحرك الناس ايجابيا نحو هدف نبيل، إلا بمعتقد قوي يدفع بالجموع إراديا للانجاز المهمات التاريخية، أستدرك و أقول أن حالة التشويه التي تحدث عندما يلتقي الرسمي بالغير الرسمي، هي حالة ناجمة أيضا، عن تغييب الإرادة العامة في المشاركة الحقيقية لإدارة الشأن العام، لذلك فان الركون إلى المراجع المعيارية يبدو البديل المؤقت المطروح في الواقع، و ذلك في انتظار للحظة عودة التصحيح و الإصلاح الحقيقين، حتى تنفخ في العمل النظامي روح و قيم كونية تحقق الخلاص في الزمان و المكان، و ليس باللجوء إلى المعيارية المتعالية، ربما هذا ما يفسر لنا و بشكل مفارق، دخول العمل الجمعوي الرسمي و النشاط المسجدي الغير الرسمي، قدما لقدم على تنظيم الحياة الاقامية الخاصة بالأحياء الجامعية، و كأن الرمزي الخالص يرسل برسالة توبيخ و إدانة إلى النشاط المآربي و الاجتزائي الغير الخالص، و يعد بان يكون قوة تغيرية حقيقية تكتسح الإطار الموضوعي، بما لبدها من رصيد نظافة و مصداقية .

القسم الخامس:

السكن الجماعي ومنطق تداوله

- مقدمة القسم الخامس
- الفصل التاسع: الجناح علاقات القوة و علاقات المعنى
- الفصل العاشر: حجرة الطالب
- خلاصة القسم

مقدمة القسم:

تكشف لنا العلاقة الجامعة بين الأشكال المادية والأشكال الإنسانية، الدلالات المضفات على المكان وعن المعاني الحقيقية التي تمنح للعتاد السكني الأصم، صوتا و صورتا، تنطق باسم مستعمليه، هذا التقليد الفكري ليس بالأمر الجديد، فلقد عهدنا منذ Halbwachs أن الاجتماعي و المجالي يشكلان جسما واحدا، أي بمعنى أن المجال المسكون، هو في حقيقة أمره مجرد صورة منبثقة عن جملة العلاقات الإنسانية، ذات الحمولة الثقافية و العاطفية، المنطبعة به، إن " الحفر " في ما هو بشري في علاقته بما هو حجري، هو أولوية نتبعها في محاولة فهم وتفسير أنماط إنتاج السكن الجماعي من قبل طلبة الأحياء الجامعية .

إن ملاحظتنا الميدانية تكاد تجزم أن السكن الجماعي المؤسسي، لا يتطابق بالضرورة مع التعليمات الرسمية التي تحددها التنظيمات الإدارية، فالطلبة داخل الأجنحة، لا يترددون في إعادة ابتكار المكان مع ما يتوافق ويتلاءم، مع علاقات الانتقاء و المفاضلات المتباينة، التي يعمرون على أساسها مجال الأجنحة، رهانات القوة و السيطرة هي الأخرى من العناصر المهمة الموجدة، في تقسيم المكان و إعادة الانتشار فيه، حول هذه النقطة تظهر أساليب التبادل و التفاوض في ما بين الرسمي و الغير الرسمي إذ غالبا ما يكون للعلاقات الذاتية، الحظ الأكبر في احتواء و في امتصاص العلاقات الموضوعية والتي يتأثر بها المجال المسكون .

الرمزية الدينية لها حصتها هي الأخرى، في امتلاك المجال و طرق التسكن في الجناح، إذ يعتمد السلفيون بما يتمتعون به من رصيد أخلاقي، على المشروعية الدينية، التي تزود من أسهمهم لدى المتدخلين الرسميين، فتسهل من عملية إعادة تنظيم السكن داخل الجناح، بما يتناغم مع المخزون الرمزي الخاص بالجماعة، إن الأبعاد الذاتية في إعادة امتلاك المجال هي ليست أحادية البعد فالمؤشر المنطقي مثلا، له حضه الأوفر في إعادة هندسة السكن الجماعي، ضمن هذا الفضاء المحض طلابي يجد الطالب نفسه أمام رهان، تمتحن فيه منظومته القيمية، التي خلا منها و لأول مرة عنصر الرقابة العائلية العرفية، فغرفة الطالب مخبر حقيقي تنتعش فيه مختلف الممارسات، و تنشأ ضمنه الروابط الجديدة، التي تؤدي إلى مختلف الاتجاهات، إن فتح هذا الملف يعد مهما، إذ سيسلط الضوء على كيفيات التوحد ومنطق التداول الجاري، في ما بين السكن الجماعي المؤسسي، و بين أشكال اعماره بشريا .

مقدمة:

في المقدمة التي خص بها كتاب Raumond Humont، المؤسس و الموسوم باسم L'Habitat Pavillonnaire أكد Lefebvre " أن السكن بداية، هو عبارة عن فعل أنثروبولوجي، فالتمسك بالأرض و التجدر فيها، هو من صميم الفعل المؤسس لوجود كيان الإنسان "، ليس فقط " في الجوانب التي تتعلق بالتواجد الموضوعي للساكن كاهتمامه بالأشغال و بالأشياء "، إنما أيضا بكيفيات التسكن المعبر عنها من خلال الحديث و الكلام "[1]، إن مفهوم تملك المجال هنا و الذي يحيل مباشرة إلى الأنشطة الملموسة، ليس له من معنى أو دلالة، إلا إذا كان مؤديا إلى اكتشاف الرمزيات و النظم الاجتماعية والأيديولوجية، و الحاجة إلى الإبداع والخيال، فالقرب أو البعد وابتكار المسافات المختلفة هي صفات مكانية، لا نجد لها من معنى، إلا ضمن الاستعمال والتوظيف الاجتماعي للوسائل و الأشياء، مفهوم الأماكن المغلقة les clôtures على سبيل المثال، يأتي ضمن هذا الإطار، انه يومأ إلى الفصل في مابين المجال الخاص والمجال الجماعي، و بين المكان الحميمي و المكان المشترك، يجري ذلك كله في إطار مجموعة الطقوس، التي تضبط الفعل الاجتماعي على الأرض، و التي تختلف بطبيعة الحال باختلاف الأوساط الثقافية والإقليمية، هكذا يحدد لنا إذن Humont أهمية البعد الكيفي في امتلاك السكن والفضاءات الجماعية .

Augé من جهته يسير على نفس الطريق، فالمكان بالنسبة إليه ليس له من معنى، إلا إذا كان أنثروبولوجيا، أي بمعنى أنه يسمح " برؤية وقراءة النظام الاجتماعي، و كيفية تشكل الروابط فيه على أساس من الرمزية "[2]، إن الفهم الأنثروبولوجي في التداول للمكان واستثماره، يمر عبر عمليه " إعادة ابتكار الجوانب المادية و القياسية، الناجمة عن الممارسات التحكمية الصادرة عن الأشخاص و عن الحراك الثقافي و التخيلي "[3]، لذات الأسباب نجد Segeaud في كتابها الجديد ترفض من أساسه، الجمالية الغربية المسيطرة، التي لا تمجد سوا الجوانب المنطقية والمتجانسة والوظيفية، المرتكزة أساسا على الرياضيات و القياسات الجيومترية، فتلفت الانتباه إلى أهمية " المجال التمثلي الخاص بالجوانب المشيدة، و إلى الوسائل التقنية و التصويرية المستعملة، التي ينبغي أن ينظر إليها، في إطار ما تنهض عليه من تمثلات و ما تفرزه من رموز "[4].

1- Humont (R), Humont (N), Humont (A), 1966, L'Habitat Pavillonnaire, P 10, Paris, Centre de recherche D'urbanisme et institut de sociologie urbaine, 148 P .

2- Collyn (J.- P), Dozon (J.- P), " Lieux et non-Lieux de Marc Augé "L'Homme, L'anthropologie et le contemporain : autour de Marc Augé 185-16/ 2008, PP 7-32.

3- Girard (L), Mayol (P), préface de De Certeau (M), 1980, L'invention du quotidien, 2/ Habiter, Cuisiner, P 8, Paris, Gallimard, 316 P.

4- Segaud (M), 2007, Anthropologie de l'espace, Habiter, Fonder, Distribuer, Transformer, P 199, Paris, Armand Colin. Coll. " U ", 223 P.

على وقع هذه الأفكار و أضوائها العاكسة، نستلهم مقاربتنا الخاصة بتحليل كيفية التسكن الجماعي لدى الطلبة داخل الأحياء الجامعية، و أنماط إعادة تقسيم الأجنحة و الطوابق و الأروقة على أساس من الروابط المفعمة بالتوجهات الثقافية و الرمزية، لكن أيضا بعلاقات القوة وعلاقات الوجهة و الأهداف المتبعة والمسطرة من قبل جمهور الطلبة الغير المتجانس، حول هذا الموضوع نتساءل، كيف يعيد الطلبة المقيمون رسم خارطة تسكنهم ضمن المجال المشترك والجماعي المتمثل في الأجنحة ؟، إن البعد المناطقي – مثلما نفترض – و التخصصي والعقائدي و النقابي، و كذا الاشتراك في الذوق و الميل وعلاقات القوة و النفوذ، عناصر أساسية، تستعمل في إعادة " طبع " المكان و بصمه، بما يجعله يمتثل ويستجيب للضرورات العيش المشترك والحاجة في البقاء معا .

لنفحص هذه المسألة عن كثب، و نرى إلى أي مدى تتجاوب أم لا، كيفية شغل المكان الجماعي الخاص بالاقامات الجامعية، مع المؤشرات المشار إليها، فتصور هذا التوزيع و الانتشار في المكان، من شأنه أن يجلي لنا كيفية استمرار الجوانب " البدئية "، في التسيير و تنظيم المجال ومواصلة تقاطعها في أو مع التقسيم الرسمي و المعاصر دونما ميز أو فصل واضحين .

1-الأجنحة التنظيم و العلاقات:

بداية لا بد من ذكر أن الأجنحة في الاقامات الجامعية، هي عبارة عن بنايات رسمية منظمة بشكل إداري، يشرف عليها رئيس مصلحة الإيواء، الذي يتولى عملية توزيع الطلبة إلى الأجنحة و من ثمة إلى الغرف و هذا بعد استيفاء الشروط المطلوبة و الموافقة على الملفات، على مستوى الجناح يوجد مسؤول إداري آخر تقتصر مهامه على الجناح فقط، يراعي أعمال الصيانة ويشرف على عمال النظافة، ويسلم ويستلم المفاتيح وعتاد الحجرة، من فراش و أسرة و كراسي وغيرها من اللوازم الموجودة داخل الغرفة من الطلبة، كما يراقب النظام العام و يسهر على تأمين الظروف الملائمة للإقامة الطلبة، مسؤول الجناح هذا يشكل همزة وصل بين المقيمين وبين إدارة الحي، بحيث يضطر الطلبة المرور عليه، إذا ما واجهتهم مشاكل أو صعوبات في الإيواء فيرفعون إليه التقارير، لينظر فيها في اجتماعات مخصصة من قبل الإدارة العامة، هكذا هي الصورة من الخارج، أو لنقل الرسمية .

أما من الداخل الغير الرسمي، فان العملية محبوكة بشكل مغاير، فرهانات المصالح الشخصية والعلاقات البينية، تكاد تتدخل بشكل مباشر قي إعادة ترتيب شؤون المأوى و التواجد داخل الجناح، حول هذه المسألة يروي الطلبة حكايات و قصص، كلها تتعلق بعلاقات الرسمي و الغير الرسمي في ترتيب شؤون السكن و تحقيق الشروط المادية الضرورية في ذلك، لندع الطلبة يحدثوننا على هذه الأمور، فاتن 22 سنة، السنة الثالثة علم الاجتماع، تصف الوضع في الاقامتين التي سكنت فيهما فتقول، " في إقامة 1000 سرير التي قضيت فيها سنتين، كانت رئيسة الجناح تقوم بعملها على أكمل وجه و ذلك بالمقارنة مع نظيرتها في إقامة 1500 سرير.

فمثلا كانت تمنع تعليق لافتات الإشهار التجاري التي يعلقها الطلبة داخل الأجنحة، فتقوم بنزعها، أذكر من بين ذلك لافتات شحن الهاتف flexy، لافتات الحلاقة أو بيع الأوراق و ما شابه ذلك، تمنع نشر الملابس في الرواق أو وضع الأحذية و الصناديق الثقيلة من على واجهة النافذة تمر كل صباح على جميع الأجنحة والطوابق و تقوم بدورة كاملة داخل الغرف، العمال وأعوان الأمن من جهتهم لا يدخلون إلى الأجنحة إلا بإذنها أو في حضورها، بينما في إقامة 1500 سرير و بالأخص في الجناح " A " الذي أسكن فيه حاليا، فان المسئولة على المكان لا تكاد ترى أو تعرف، اللهم إلا في بعض الغرف التي تربطها مع صاحباتها علاقات شخصية، فهي لا تتحرك من مكتبها و لا تغادره في الغالب إلا في وقت خروجها إلى المطعم، لا تبالي في شيء بانشغالات الطلبة و لا تراعي شؤونهم، باستثناء أولئك الذين تجمعهم معها علاقات خاصة " .

عن أهمية هذه العلاقات و أثرها على إعادة الانتشار داخل الجناح، أو تحقيق مكاسب عينية أو علائقية، تتدخل بشكل مباشر في تحسين شروط السكن داخل الحي، أو تضمن هامش أوسع من الحرية الذاتية المتخطية أحيانا للقواعد الرسمية، تتنوع الأمثلة و تتعدد النماذج المرتبطة بسير الحياة الفعلية في الجناح محمد مثلا المقيم منذ خمس سنوات بإقامة عبده سعيد، السنة الرابعة تاريخ، يذكر أنه بسبب خصوماته وشجاره المستمر مع سكان الجناح، و ذلك لإطلاقه صوت الموسيقى أو التلفزيون عاليا صبحا مساءا عمد طلبة الجوار إلى كتابة تقرير مفصلا و موحدا يطلب بعزله من الجناح، وقدموا ذلك إلى المسئول عن المكان، لكن هذا الأخير الذي كانت تربطه مع الطالب المدان علاقات طيبة، حيث كان يهاديه و يستضيفه للشرب القهوة في حجرته، غير من نص التقرير و حور مضامينه قبل أن يحوله إلى اللجنة التأديبية في الإدارة، التي اكتفت في الأخير بمعاتبة المعني شفويا، سميحة مقيمة منذ أربع سنوات، السنة الرابعة فرنسية، تربطها هي الأخرى علاقة جيدة مع " صاحبة " الجناح، فكثيرا ما كانت تداري عنها عندما تخوض في خصومات و شجار مع طالبات الجوار، و ذلك عندما يصل الأمر إلى الإدارة، فعلى الرغم من مبادأة سميحة بالخطأ، إلا أن " السيدة الرئيسة كانت تخرجني منها كالشعرة من العجين " – تقول سميحة– هذا النوع من المحاباة ما كان له أن يبرم و ينشأ، لو لم تكن هنالك مبادلات من نوع خدمة مقابل خدمة فسميحة مثلا لا تتردد لما تطلب منها " صاحبتها " استضافة بنات للمبيت من خارج الإقامة دونما إذن أو ترخيص إداري مسبق، و لا تتوانى في تقديم أشيائها الخاصة من ملابس و أدوات تجميل إلى مسئولة الجناح إذا ما احتاجت هي إلى ذلك .

" لقد كنت أرتشيها في بعض الأحيان، بقارورة عطر أو علبة شكولاطة، وذلك من أجل قضاء مصالحي، ففي سنتي الثانية من الدراسة مثلا، كنت أسكن في الطابق الخامس داخل غرفة جماعية، أما الآن فأنا في الطابق الأول أسكن بغرفة منفردة، فيها من اللوازم و الأشياء ما يكفي أربعة طالبات مجتمعات بحجرة واحدة، أليس هذا جيدا " .

مثل هذه المرويات كثيرة في الأماكن المشار إليها، فهي تملأ الأجنحة و ترافق الحياة الجماعية اليومية فيها، فلو شئت لبسطت منها الكثير، لكن ما ذكرته أظنه يجزئ في الكشف على أهمية بناء العلاقات البينية من أجل تحسين شروط الحياة داخل الأجنحة فلقد بات من الشائع في أوساط الطلبة المقيمين، انتشار " الثقافة الوصولية " المتبعة من قبل الساكنة في الأحياء الجامعية

هل لي أن أذكر هنا بالأحاديث والدردشات التلقائية، الذائع صيتها ما بين العديد من الطلبة، و التي ترد في شكل تساؤلات من نوع، ما رأيك في من يصاحب بعض من مسؤولي الإقامة، كيف تنظري إلى مصاحبة بعض من عمال الإدارة ؟ كيف تنظر إلى " مآكلة و مشاربة " رئيس الجناح ؟، هذه التساؤلات و إن كانت تطرح في الغالب، على سبيل التفكه و ترف الحديث، إلا أنها تدل بالفعل على مدى انتشار ما أسميناه بالثقافة الوصولية، التي تنشأ أحيانا في ما بين بعض مسؤولي الإدارة و طلبة الاقامات، و التي غالبا ما يكون الغرض منها، تحقيق التنفع والاستمتاع ببعض المكاسب .

مثل هذه العلاقات الذرائعية المافوق الرسمية، تعني في مضمونها الكامن والغير الصريح مدى تنفذ واستمرارية الأشكال الذاتية، المصاحبة للأطر الرسمية في البناء التنظيمي والتفاوضي الخاص بشغل المكان، إن الاتكاء و الوثوق بالروابط العفوية و العقود الشخصية البينية، بدلا من الارتهان إلى القيم والمعايير المؤسسية الصرفة، في التسكن و الإيواء الجماعيين، لدليل على " خيبة " و ليس "هيبة " البعد الرسمي في التنظيم و التسيير، الذي فشل حتى الآن في تقويض البنا العلائقية " الطبيعية "، واستبدالها بطرائق و آليات مفكر فيها، تتناسب و تتوافق مع الحاجيات المركونة على الجانب في الواقع الحقيقي، هذه الملاحظة في تقديرنا تبدو مهمة لأنها تسلط الضوء على طبيعة عقلانية الفعل التسكني داخل الأحياء الجامعية، و التي لا تبتعد في مجملها على ما هو متداول و متعارف عليه في مختلف المؤسسات العمومية على الأقل هكذا هي الأصداء على المستوى الشعبي، والتي من دون شك لا تخلوا من دلالة أو واقع له أثره على الأرض، لندع الآن هذه المسألة الدالة جانبا، ونلتفت إلى عناصر أنثروبولوجية أخرى مؤسسة تتدخل هي الأخرى في هندسة و رسم خارطة ملأ المكان واستئناسه .

فتأكيدا منا على أهمية الروابط الانتقائية، التي تنهض عليها ثقافة الطالب اليوم، فانه بإمكان الملاحظ أن يرى ترجمة ذلك على الأرض، إن النظرة من الداخل الخاصة بأنماط الانتشار والتوزيع داخل الحي وتقسيم الأجنحة، تكاد تجزم بوجود تردد ما يحدث على مستوى إيقاع الروابط المكانية، التي تتحرك بالمرة بين مد التكامل أو التوافق، و جزر التشرذم و الاختزال حول هذه المسألة يمكننا أن نعرج على عدد من الحالات .

2- الجناح رقم 12 :

الجناح الثاني عشر من إقامة عبده سعيد ذكور، بمدينة معسكر، هو عبارة عن صندوق يجمع أغلب الطلبة المنتمين إلى التيار السلفي، الذين يفرضون نمط حياتهم و أسلوب عيشهم في المكان هل هي الصدفة أم هي الحنكة و التدبير؟، إن إعادة تشكيل الجناح على أساس من الروابط العقدية الموحدة، عمل اشتمل على جملة من المسارات التفاوضية، التي انبنت و تطورت عبر مراحل زمنية مختلفة، تأتي البداية مع فتح مصلى السنة في الطابق السفلي من الجناح، و ذلك قبل سبع سنوات خلت من الآن، لقد تداعى الشباب السلفي الساكن في الإقامة، إلى العمل التطوعي في إعادة التهيئة والبناء، شاركهم في ذلك العمال والأعوان المشتغلون في الإقامة، ساعدت الادراة من جانبها هي الأخرى بالعتاد و الوسائل المستخدمة في البناء و التعمير، فتحول المصلى

الذي كان عبارة عن مجرد حجرة صغيرة تقع في الجناح الأخير من الحي، إلى قاعة كبيرة مستطيلة الشكل، حلت محل الطابق السفلي من المبنى، أعلن بعد ذلك على افتتاح المسجد الذي حضره الرسميون والأعوان و العمال و الطلبة السلفيون، الذين نشطوا عملية التدشين، على أنقاض هذا الفعل المشترك الجامع بين الرسمي والغير الرسمي، – مثلما سنرى في الفصل...–، يكون الجناح الثاني عشر و المركب من خمس طوابق، قد تدامج و تماهى من حيث المكانة المؤسسية، بحيث انتقل من " المهمش المسوا (نقصد به هنا في حالة موضوعنا، مكانة المسجد الغير الرسمي) إلى تسوية المكان الغير الرسمي " [5].

إن الأهمية المجالية لمثل هذا الحدث، تكمن في تحفيز ذوي الاتجاه العقدي الواحد، على إعادة امتلاك المكان بناءا على المشروعية الدينية، إن المسجد هنا هو " أداة إستراتيجية، من أجل الإقامة حيث تتحول أعمال البناء معه، إلى وسيلة من وسائل الدخول على الجناح " [6]، و امتلاكه فيصبح المكان بذلك يسمى باسم قاطنيه، جناح السلفية هنا هو مثال على شرذمة المجال المشترك التي لا يعدم وجودها في أماكن أخرى من الإقامة مثلما سنرى لاحقا، فعملية شحن المكان و حقنه بما " يتوائم و النفسية الجماعية، يعد فعلا واعيا يتدخل في إعادة استثمار المجال و التواجد فيه " [7]، إن الجناح الثاني عشر بحسب هذا التوصيف ولأهمية مكانة المسجد المتواجد فيه أحدث حراكا في الحل و الترحال، حيث انسحب منه من تضايق بالقيود و الحدود المعيارية المتبعة من قبل الجماعة المستحوذة على المكان، التي لا تتساهل بحال مع من يطلق صوت الموسيقى أو يثير الضجيج و الصخب و الكلام الحر في الجناح، أو يملأ أروقته بسحائب الدخان أو يصول و يجول مرتديا التبان القصير، فهذه الممارسات لا يسمح لها بالتواجد و لا يمكن أن تتلاقى بحال مع أرض يملأها صوت القرآن و انتشار القميص و أصحاب اللحى، و روائح المسك والعطور الغير الكحولية .

عمال الإدارة و مسئول الجناح، الذين يرمقون إلى هذه الفئة بعين الاحترام و التقدير، يدركون جيدا هذه الخصوصية، لذلك فمن الصعب لديهم قبول " العناصر الغير المنضبطة "، أن تسكن في الجناح الثاني عشر، أما من سمح له بذلك فهو على وعي مسبق، بمجموعة المعايير و القيم الواجب التمسك بها أو احترامها داخل الجناح، محمد مثلا، السنة الثالثة تخصص علم الاجتماع القاطن بذات المكان، و لا ينتمي أيديولوجيا إلى المجموعة المشار إليها، شارك العام الماضي مع العديد من الطلبة في الإضراب والاحتجاج ضد إدارة الكلية، يقول " في المساء جاءني أحد السلفيين إلى الحجرة، فسألني قائلا : لماذا شاركت في الإضراب ألا تعلم أن ذلك حرام ؟، قلت : و كيف لي أن أطالب بحقوقي ؟، قال : اصبر، قلت : إلى متى ؟، قال : هناك عدة طرق سلمية أخرى، قلت : أنا لم أقم بحرق أو كسر أو تخريب، بل قمت بما هو مناسب، من أجل استرداد الحقوق، في الأخير أعطاني قصاصة

5- Prenant (A), 2002, " L'informel en Algérie ", Cahiers du GREMAMO, N 17, PP. 71-93. Recensement Général de la Population, 1998. Armature urbaine, coll. " Statistiques ", N 97, Alger.

6- Belguidoum (S), Millet (D), 1985, " Détournements et retournements des modèles urbains et architecturaux à Sétif ", dans N. Humont et A. Marie (sous la dir), Politiques et pratiques urbaines dans le pays en voie de développement, Tome 2, Paris, L'Harmattan, PP. 228-247.

7- Ducret (A), " L'arbitraire du digne mémoire collective, phénomène urbain et lien social ", P 115-126, in Gosselin (G), 1993, op. Cit.

مكتوب عليها، فتوة تنص على تحريم الإضراب "، ذات الفعل تكرر مع جيران آخرين في الجناح، قد شاركوا في الاحتجاج المذكور،حيث وزعت عليهم مطويات، تجرم " شرعا " القيام بمثل هذه الأفعال .

المناظرة و المحاجة مع مسئولي الاتحاد الطلابي الحر، العدو اللدود للجماعة السلفية، فعل رائج في الجناح، فلقد ناظر سيد أحمد المكنى باسم أبو عبد الرحمان (طالب في الإعلام الآلي السنة الثالثة)، رئيس الاتحاد " في عقر داره "، أمام مرأى و مسمع الطلبة الحاضرين، أين كان موضوع التحزب و الاختلاط والمسيرات و الاحتفال بالمولد النبوي، عناوين رئيسة في هذا السجال محمود الطالب الغير المقيم الملتحي، الذي يرتدي القميص و الطاقية، و الذي استضيف مع زميل له عند صديقه فارس، ليقضيا الليل معا من أجل الاستعداد و التحضير للامتحانات سمع منه وهو يجلس في مسجد الإقامة ينتظر الصلاة، حديثا دار بينه و بين زميله عن الربيع العربي، و احتفائه بما فعلته الثورة في كل من مصر و ليبيا، انتشر الخبر بعد ذلك في مابين السلفيين فشكلوا على اثر ذلك جماعة يزيد عددها عن العشرين نفرا، و ذهبوا ليلا إلى غرفة الطالب المضيف، فعنفوه و وبخوه، و ألزموه طرد الضيفين للتو من الجناح .

ماذا يعنى على المستوى التأويل الأنثروبولوجي، تنظيم التسكن الاجتماعي داخل الجناح على أساس عقدي ؟، ألا يحيل ذلك إلى فكرة تصفية المكان و عقد الارتباط به على أساس من العودة إلى الطبيعة الأصلية ؟، توضيحا منا لهذه المسألة، يمكننا إعادة توظيف مفهوم " le nativisme " الذي طوره Muhlmann و هو يتحدث عن الحركات الوطنية، " إن الارتباط الطبيعي بالمكان le nativisme – يقول Muhlmann –، هو عبارة عن مسار من الأفعال الجماعية، مقرونة برغبة في التمكين، للمشاعر وللضمير الجمعي، المتوافق مع تدخل ثقافة أجنبية عليا "[8] بهذا المعنى فان الاكتساح السلفي للجناح يتحرك ضمن حدود الرابط الطبيعي nativiste الذي يشرعن للتشارك و التعايش في الجناح، على أساس من الثقافة و الوعي التي لا تتجانس بالضرورة مع الحاجة و الضرورة المحليتين، إنما مع الصورة المتخيلة المشكلة اجتماعيا على مستوى نفسية المجموعة، إن القيمة الدينية المرتبطة باستيعاب المكان ليست مقصورة – بحسب تخريجنا للمسألة –، على كيفية التسكن السلفي للجناح كنموذجا، إنما هي نشاط كوني ينطبق على مختلف التجمعات النضالية، الساعية في اتجاه إثبات وجودها و إظهار مكانتها في وجه المخالف و المضاد .

3– الجناح و الالتمام الجهوي :

لا تعدم عين المشاهد داخل الأجنحة، من ملاحظة التجمعات الطلابية التي تتمحور على أساس من الفرز المناطقي، فانتقاء واختيار الجار أو الشريك في الغرفة، شرط لا بد منه في إعادة تشكل الروابط الاقامية داخل الحي الجامعي، إن الانتماء إلى الجهة

8- Muhlmann (W), 1968, Messianismes révolutionnaires du Tiers Monde, P 14, Paris, Gallimard, 389 P

أو المنطقة الأصلية التي وفد منها الطالب، تعد عاملا حيويا في تنشيط التسكن و الإقامة على أساس من الانتماء المجالي، هذه المسألة هي ذات بعد ومغزى ثقافي بالدرجة الأولى، إذ على أساسها " تحدد الخصوصيات الجماعية، وتضبط البطاقات التي يفسر و يقرء بواسطتها الواقع " [(9)]، فتترجم عمليا بتحديد الحدود، و إعادة ضبط المسافات و العلاقات الإقليمية داخل الأجنحة، في إطار ثقافي ذاتي وليس موضوعي رسمي ، بهذا المعني نستطيع القول أننا أمام " بطاقتين " مختلفتين في نشر و توزيع الطلبة داخل الأجنحة و الغرف، فمصلحة الإيواء في هذا السياق، لا تعتمد إلا على دراسة الملفات و شروط الالتحاق بالإقامة، فمؤشر سنة التسجيل، و مؤشر الشعبة والتخصص في بعض الأحيان و ليس دائما، عناصر أساسية من أجل إسكان الطلبة و توزيعهم داخل الأجنحة، عدا هذه المسائل التقنية فان إدارة الإيواء، لا تولي أي اعتبار للمسائل الغير الموضوعية .

ففي الجناح " F " و " E " مثلا من إقامة 1000 سرير، أين يتجمع طلبة السنة الأولى، يذكر الطالب فريد، السنة الثالثة تخصص ترجمة، أن المكان " يعرف خصومات و شجارات غير منقطعة، و التي غالبا ما يكون سببها عدم التأقلم فيما بين الجيران الجدد، فيتهم البعض منهم البعض الآخر بالسرقة وباستعمال أشيائه الخاصة، فتكثر بينهم عملية التنقل و إعادة تغير الحجر أو الجناح، و البحث عن الشركاء من " أبناء البلد "، يتم ذلك بإعادة التنسيق مع الإدارة، و أحيانا أخرى بالاتفاق البيني في ما بين الطلبة أنفسهم "، في الجناح " C " و " B " و " A "، يحتشد طلبة السنة الثالثة و الرابعة، هؤلاء و بفعل عاملي الزمن والتجربة، يكونوا قد نضجوا في ما بينهم، عناصر التوافق والاشتراك في العيش معا و تقاسم المكان .

المؤشر المناطقي هنا يبدو من بين العناصر المهمة ميساء مثلا، السنة الرابعة، قسم فلسفة، من ولاية الشلف، تقول " في السنة الأولى، دخلنا إلى الإقامة موزعين، كل واحدة منا في حجرة لا تعرف فيها شريكتها في السكن، لكن في السنة الثانية ألححنا على مسؤولة الجناح، حتى تجمعنا في جناح واحد، بعد موافقتها، اتفقنا مع الطالبات على التبادل، و هكذا استطعنا التجمع مع بعضنا البعض في نفس الطابق " وعن سر و سبب إعادة الانتشار بهذه الكيفية تقول ميساء، " إن السكن مع بنات البلد يشعرك بالأمان وأنك في وسط أهلك، فتستطيع أن تطمأن على أشيائك و أغراضك الخاصة، نشترك في الطبخ و تحضير الطعام وفق ما تعودنا عليه في بيت أهلنا، نتناوب بشكل دوري على زيارة ذوينا في العطل الأسبوعية فتتصل الواحدة منا بباقي أسر الزميلات فتطمئنهم على أحوال و ظروف بنتهم داخل الإقامة، أما في ما يخص الدراسة، فنكتفي بإرسال واحدة منا لتحضر إلى الدرس فتنقل بالنيابة عنا ما يمكننا مراجعته جماعيا في الغرفة بعد ذلك " .

في الطابق الرابع من إقامة الذكور المشار إليها، يعرف اكتساحا شاملا للسكان الوافدين من ولايتي تيارت و تيسمسيلت و ذلك بعدما انسحب منه سكان بلدية المحمدية، اثر التناحر الذي حدث في ما بين الجانبين والذي كان سببه علاقات القوة

9- Augé (M), 1994, Le Sens des autres, actualité de l'anthropologie, P 90, Paris, Edition Fayard ..P

و الرغبة في الاستحواذ على قاعة لعبة " طاولة البيار"، الموجودة في الطابق السفلي من الجناح، إن الانتشار داخل الأجنحة على خلفية الرابط الجهوي، مسألة جد ملموسة داخل الحياة الاقامية، و عليه فان التجاور داخل الجناح مثلما يقول Haumont (B) هو تجاور " داخل فضاء وسيط، لا هو بالخاص و لا هو بالعمومي لذلك تتركب المجموعات فيه، وفق حسابات للمسافات و الأبعاد فيكون التعارض هنا مبني على أسس معيارية "[10]، إن مسألة الأنفة و الحمية و بناء القوة المسيطرة خلفية قائمة من أجل تشكل الذات المجموعاتية " l'être groupale "، الضرورية لأي نوع من التواجد والتعايش مع " الفرقاء الجهويين " في مثل هذا الفضاء الوسيط، مسألة لا يمكن التنكر لوجودها، رغم محاولة الاغماط الأيديولوجي و الشعبوي لها[11] .

في الطابق الثالث من الجناح " A "، يتجمع طلبة الجنوب، حيث روائح البخور و نكهة الشاي علامات واصمة و معرفة بالمكان، يقول ميسوم السنة الرابعة تخصص تاريخ، مبتسما " أنا بمجرد ما أشتم رائحة العود، أعرف نفسي أين أنا من الجناح فأدرك مباشرة أن أهل الجنوب يسكنون هنا "، على ذكر الرائحة فإن انتشار سحائب الدخان في كل من الطابق الرابع والثالث من الجناح " B " و " E " بإقامة 1500 سرير بنات، أين تنتشر " شلة " من الطالبات اللواتي يدخن خفية عن أعين الرقيب، بحيث " يخصخصن " المكان لصالح الممارسات الحرة، ويصمونه بما يستحق من سمعة ومكانة، في وسط الطالبات اللواتي يتحشين وروده أو السكن ضمن فينائه، إن الروائح هنا، هي ذات دلالة مكانية و اجتماعية، بحيث تبعث بإشارة حدودية، تخبر عن هوية المجموعة التي تنتشر بداخله، مثلما تستقطب أيضا " أصحاب الرغبات والأذواق "، إلى إنشاء روابط وعلاقات، يكون المكان فيها عنوانا للتشويه والاحتقار[12]، إن نعت الجناح " B "و" E " من قبل عموم الطالبات المقيمات بعين المكان، باسم " أجنحة الماسخات"، لدليل على أن قيمة المكان تنشأ ضمن قيمة ساكنيه، و ما يمارسونه عليه من نشاط و أفعال معيارية أو إنسانية أخرى إن موضوع الرائحة في هذا المعنى هو ذو دلالة أنثروبولوجية، يمكن إيعازها إلى علاقات الجسد وكيفية تسيره و تنظيمه، ذلك أن هذا الأخير، ينشأ قبل أي شيء آخر، ضمن إطار الأحاسيس والمشاعر والتي تختلف بحسب اختلاف الثقافات و العقائد و العادات، " فالناس لا يتذوقون أو يستشعرون الأشياء بنفس الكيفية، لذلك ينتجون المعني بحسب ما يحسون

10- Haumont (B), Morel (A), 2005, La société des voisins, P 16, Paris, La maison des sciences de l'homme, 334 P

11- يقرر الهواري عدي في أطروحته، أن السياسة الشعبوية في الجزائر، قائمة على نكران الصراعات الداخلية، فالأيديولوجية الشعبوية بحسبه، جعلت من السلطة تنفصل عن أصولها الاجتماعية، و تقفز على مختلف الخصوصيات التاريخية، فتختصر الكل وتختزله ضمن خطاب وحدوي أحادي موهوم، لذلك جاءت أحداث أكتوبر 1988، لتكشف عن عوار و عيب هذا الطرح

Addi (L), 1990, L'impasse du populisme, L'Algérie : collectivité politique et Etat en construction, Algérie ENAL, 242 P

12- Bourdieu (P), 1993 " effet de lieu " la misère du monde (ouvrage collectif), Paris, Edition le seuil .949 P

ويستشعرون، وفق هذا التصور، فان الأحاسيستدرج ضمن العلاقات العامة، التي تنشأ فيما بين الناس، و داخل نقاشاتهم وتعريفاتهم الخاصة بها " [13].

بناءا على ما تقدم، فان البعد المناطقي في إعادة هندسة الأجنحة داخل الاقامات الجامعية، فعل يجد كل دلالته في التفسير الأنثروبولوجي الخاص باستثمار المكان و العيش فيه، فبناء القوة وفرض الرقابة وتوفير الأمن، و ذلك بالاتكاء على رابطة أبناء البلد، فعل يجزء المكان ويتجاوب على مستوى المخيال والتمثل، مع المورفولوجية التقليدية في السكن، التي أشبعها Berque من ذي قبل، بحثا ودراسة، خصوصا في كتابته المتعلقة، بتشكل المدن و الحواضر المغاربية حيث يرى أنها، " لا تزال تحتضن في عمقها، إعادة البناءات العصبوية، وذلك بصفة غير مكتملة " [14]، لكن البعد المناطقي في إعادة الانتشار على الأرض، على الرغم من أهميته مثلما تشير إلى ذلك التحقيقات الميدانية، إلا أنه يتزاوج أحيانا مع عناصر أخرى و يتداخل معها أو ينسحب تماما مخليا المكان، لبروز أنماط جديدة من القابليات الاجتماعية، فعلاقات الشلة أو الصداقة ذات الطابع الأخلاقي أو التخصصي مثلا، قد تتفوق أحيانا على مبدأ الانتماءات الاجتماعية، إن الانتساب إلى خلق ما Ethos هو أسلس و أسهل، من تمركز العلاقة على الرابطة الإقليمية الأولية وحدها .

3- الجناح و الشعبة:

ماذا الذي سيترتب عن اختلاف الشعب و التخصصات العلمية، إذا ما أدمجت بموضوع الممارسات السكنية داخل الأجنحة ؟، ألا ينعكس ذلك على مجمل العلاقات و القابليات المجتمعية، المتصلة بالحياة الاقامية ؟، بتعبير آخر كيف يفعل اختلاف التخصصات الدراسية نشاط الاختلاف و المباينة، على مستوى الحياة السكنية داخل الإقامة الجامعية ؟، أمام هذه الأسئلة فان حراك الأجنحة داخل الأحياء الجامعية، لا يضبط إيقاعه في الواقع بحسب البعد الواحد بمعنى آخر، إن مسألة التسكن داخل الجناح هي عملية مركبة، تظهر ممارستها على عدة و جوه فتارة يتزاوج التشابه الحاصل في الدراسة والشعب، مع الرابط المناطقي، فيلتقي الأصل الجغرافي الموحد للطالب، مع توحد الشعبة العلمية، على نفس المكان .

عند هذا الوضع، يتولد لدى هذا الصنف من الطلبة نوع من القرابة، التي يتضافر فيها البعد الجهوي بالبعد التكويني، " فابن بلدك يمتضغك، لكن لا يبتلعك "، تقول ميساء، يترجم هذا التضامن على المستوى البيداغوجي و أساليب تلقي الدراسة، فتتحول

[13]- Le Breton (D), 2006, La Saveur du monde, une anthropologie des sens, P 26,27, Paris, Edition Maitailié .451 P

[14]- Berque (J), 2001, " médinas, ville neuves et bidonvilles ", Opéra Minora II, PP 239-271, Pais Bouchéne, 480 P

هذه العلاقة إلى نوع من " التكتيك " [15]، الذي يعزز من تكيف الطالب و تأقلمه مع الدروس و مع الامتحانات، و مزاولة الالتزامات و الواجبات الجامعية، الحالة المشار إليها آنفا دليل على ذلك، لكن ماذا لو وجد الطالب المقيم نفسه، داخل وضعية سكنية، لا تتجانس مع تكوينه و لا الشعبة التي يدرس فيها ؟، هل سيؤثر حينها الانتماء إلى التخصص، أم الانتماء إلى " أبناء البلد " ؟، في الحقيقة لا يمكن الجزم بأولوية متغير على متغير آخر، فالتخصص العلمي قد تضعف أهميته أمام أسبقية الرباطات والعلاقات المناطقية أو العلاقات المجتمعة على خلق ما، ففي إقامة 2000 بنات وعلى مستوى الجناحB1 مثلا، تجتمع الطالبات من ولايات شتى نذكر منها ولاية سعيدة، غيليزان معسكر وكذا تيسمسيلت، يدرسن في تخصصات متعددة و متنوعة، أدبية منها و تقنية، فتجد في الحجرة الواحدة، من تدرس في الفلسفة و من تدرس في التكنولوجيا، لا يجمعهم سوا علاقات الثانوية والحي المشترك، أين يتواجد ذويهم و ذكريات الطفولة، الأمر سيان بالنسبة للذكور، ففي إقامة 2000 سرير وفي الجناح C، ينتشر طلبة الاقتصاد و التاريخ وعلم الاجتماع و البيولوجية و كذا علوم التسيير منهم من جاء من منطقة الشريعة، ومنهم من جاء من منطقة عين الصفراء أو النعامة، أو سعيدة و بلعباس، تتباعد تخصصاتهم، و تتقارب مناطق وفودهم بالأخص عندما يتعلق الأمر بالسكن داخل الحجرة الواحدة .

هذا النموذج يبدوا طاغيا، لكنه قد يفقد تماسكه نسبيا، إذا ما ظهرت اكراهات أخرى، تعترض الطالب وتعرقل انسجامه مع الدراسة و التكوين في التخصص الذي ينتمي إليه، البعض من طلبة الطب والهندسة المعمارية مثال على ذلك، حول هذا الوضعية تحدثنا خديجة 23 سنة، السنة الثالثة هندسة معمارية، جامعة بو بكر بلقايد، بتلمسان، فتقول " في البداية كنت أسكن مع واحدة من بنات بلدي من سعيدة، كانت تخصص آداب، لكن سرعان ما نشب بيني و بينها خلاف، و ذلك بسبب الليالي البيضاء التي كنت أقضيها، في رسم المخططات و صناعة النماذج الهندسية، لقد كانت تنزعج من جراء الاضائة المتقدة طول الليل، فلا تستطيع النوم ، تشاجرنا على اثر ذلك مرات عديدة، و بقينا على هذا الحال، إلى أن طردتني من الحجرة فاضطررت إلى تغيير مقر الإقامة والسكن مع زميلة لي في التخصص، و هي من منطقة مغنية " .

في نفس الخط يحدثنا حسين، السنة السادسة طب عام، الساكن بإقامة C1 بوهران، فيقول " سكنت في البداية مع أبناء بلدي من الشلف بإقامة ETO، لقد كنت جد منزعجا فيها، و ذلك بسبب الفوضى والضجيج والأوساخ المنتشرة في الرواق هذا ناهيك عن صراعات المحسوبية و العشائرية المنتشرة في عين المكان، و أنت تعلم أننا نحن طلبة الطب، عندنا ما يسمى بنظام المقاييس، الذي تكثر فيه الامتحانات الجزئية، فأحتاج مع ذلك إلى الهدوء و القعود مطولا داخل الغرفة، لم يلائمني الوضع الإقامة

[15] ـ في الجامعة العمومية اليوم، التي تغيب عنها نوعية التعليم و التكوين، يلتجأ الطالب إلى الفعل التكتيكي بدلا من الفعل الاستراتيجي، حول الفرق بين المصطلحين يقول Felouzi " أن الحس الاستراتيجي، يتحرك وفق المصلحة و المردودية الخاصة بالشهادة، و ذلك في السعي نحو الحصول على المناصب و المراكز الإطارية العليا، هذا الحس لم يعد مهيمنا اليوم، لأن الأهداف لم تعد واضحة، و الوسائل أصبحت غامضة و غير محددة من قبل المؤسسة، لذلك يفضل الطلبة الفعل التكتيكي الذي يطورونه في ذاتيتهم، وذلك من أجل التكيف مع الأوضاع الغير المؤكدة في الجامعة، التي انقلب وضعها من تنشئة الأفراد و تهيئتهم، لتحمل المسؤوليات المهنية و الاجتماعية، إلى إنتاج شخصانيات، تتصرف من ذاتها، في سبيل تحقيق الاندماج "، عن Felouzi (G)، 2001 ص242 ، مرجع سبق ذكره .

المذكورة فاضطررت إلى الرحيل، و التوجه نحو إقامة C1 حيث الهدوء و عدم وجود المحسوبيات، فأنا أسكن اليوم مثلما ترى في الجناح E، الذي ينتشر فيه طلبة الماجستير و طلبة الطب، الكل يحترم الكل هنا، فلا أصوات الصخب و الموسيقى تزعجك، و لا روائح النفايات والقاذورات تزكم أنفك " .

ما الذي تود قوله لنا مختلف التقسيمات الإنسانية، المغذية للحياة التواجدية الخاصة بالطلبة داخل الأجنحة؟، لماذا يعاد ترتيب شؤون التسكن الجماعي، وفق المتطلبات و الحاجيات الذاتية والتي تتصل بشكل أو بآخر، إما مع المخزون الجمعي للذاكرة و العائلة، أو المعتقدات و الأخلاق المجمع عليها ؟، في الواقع إن منطق التسكن في أجنحة الأحياء الجامعية، ذات الطابع المؤسسي لا يمكن إدراك دلالته، إلا في إطار التجربة و الخبرة الشبابية، بحسب السياق الزمني والمجتمعي الذي نشأت في محضنه هذه العملية و هي تبنى و تركب، تشتغل على إشكالية الذات، و أساليب اختبار " إحلال الأنا ضمن، النحن " [16] المجموعاتي .

لكن ليس بالمعنى الذي تلغى فيه الحدود والفواصل الفردية، و لا بالمعنى الكامل الذي تتأسس منه الذات الجماعية داخل العائلة، و التي ترتكز في عمقها على الحس " الليبيدي " la libido مثلما يذهب إلى ذلك Freud، إن توافق الطلبة على التشارك جماعيا في الحياة داخل الأحياء الجماعية، و تنشيط ديناميكيتها الداخلية ينشأ عن قابلية مجتمعية تستبطن الرابط الليبيدي المعدل، والمشخص أساسا في رابطة أبناء البلد هذا صحيح، لكن الناظم العقدي و الميولات الثقافية أو الأخلاقية الأخرى ، تبدوا أسهل و ألين من أي انتماء آخر، في بناء العلاقات السكنية والتجمعات العددية داخل الأجنحة و الطوابق، التي تسجل نفسها ضمن المنطق الاجتماعي والثقافي الغالب، " إن التباين المعرف للمجموعات المتعارضة، يتحول ضمن النظام التراتبي إلى مبدأ مدمج داخل المجتمع " [17] ، وفق هذه الصورة يضبط منطق الانتشار و التسكن داخل الأجنحة على الأقل إلى اللحظة التي نكتب فيها هذه الأسطر .

16- Akoun (A), " Sociabilité (formes de) ", Encyclopoedia Universalis, PP 116-11

17- Dumont (L), 1966, Homo hierarchicus, P 242, Paris, Gallimard

1–حجرة الطالب، الكلمات و الأشياء:

علاقة الطالب بالحجرة تعرب أنثروبولوجيا، في إطار فعل التبادل الجاري في ما بين الساكن والمسكن، بمعنى أدق، تفكك هذه الرابطة من خلال الوقوف على جملة الشيفرات الاقامية، المتعلقة بتملك المكان ضمن مختلف المستويات و الاستعمالات، إن البحث في هذه المسألة يقتضي تبني وعيا و فكرا انعكاسيا، تسهل معه عملية استخراج و استخلاص مختلف الدلالات التسكنية، وفق هذا التصور، يجدر بنا أن نتساءل قائلين، بأي كيفية يتم تداول الغرف الاقامية داخل الحي الجامعي؟، كيف يتكيف الطالب بداخلها، آخذا بعين الاعتبار مختلف التحديات الموضوعية و الذاتية، الموجودة بعين المكان ؟، إن الإجابة على مثل هذه الأسئلة يستوجب منا الإصغاء جيدا إلى ما يقوله الفاعلين الحقيقيين، عن مجالهم الحميمي، فهو حاضر بشكل بنيوي في النقاش و التفاوض، في التخاصم و التوافق، في الأفراح و في الأتراح، كل ذلك يمر و يعبر عبر بنية تعبيرية، تنشأ في صميم العناصر الذاتية الجماعية منها والفردية .

لذلك فإن الانتباه للمكان في الخطاب، يعد أساسيا في فهم "منطق التسكن " على الأرض، فمن وجهة نظر سوسيو سميوطيقية، فان استثمارات المكان والتفاعل معه، يرجع بالأساس إلى " اختراق المجال للمنظومة الكلامية، فمن بين الكلمات ينبثق الفضاء الذي نقوله ويقولنا، انه منتج و ومنتج، فهو مجال للتنشئة و مجال للرموز و مجال للتبادل، بحيث تصبح فيه الرابطة الاجتماعية محل تفاوض و إعادة ابتكار " [(1)]. إن الكلمات بهذا المعنى ليست مفارقة للواقع و لا منعزلة عنه، بل هي تحتضنه وتعكسه، إذ يكفي الوقوف على المضامين اللفظية، و تحليلها حتى يمكن استجلاء الواقع الفيزيقي أو الاجتماعي الذي تمثله.

إن وصف هذه العلاقة يقتضي تجاوز الطابع كارتوغرافي التصويري الجاف، الذي يقف عند حدود التوازن والتوازي المرتب والمحبوك في ما بين الكلمات والأشياء، و يندلف نحو "الوصف المكثف "[(2)] التأويلي، الذي يسمح بالتفاعل مع الفاعلين على الأرض و الوقوف على الدلالات و المعاني التي يضفونها هم على أفعالهم، هذا الأسلوب يتضمن، تبادلا بينيا و ذاتيا يسمح بالوقوف على " المعالم العميقة في محليتها "، بمعنى آخر إن الوصف بطريقة التأويل، يقتضي فهم الأخرمئل أو أفضل مما يفهم هو نفسه، هذه المهمة تبدو صعبة ما لم يمارس الباحث ذات التجربة على نفسه و يتمثل بنفس الوضعية التي يتمثل بها مبحوثيه، لذلك فان اقتحام هذه التجربة بات ضروريا بالنسبة لنا، وذلك حتى يبوح لنا الميدان بأسراره وخصوصياته . [(3)].

---

[1]- Lannony (P), 1966, Le Village Périphérique, un autre Visage de la Banlieue, P… Edition, L'Harmattan, Paris, 217 P

[2]- Geertz (C), 1998, La Description Dense, Vers une Théorie Interprétative de la Culture, Enquête, N 6, PP 73-105

[3] - لم نكتفي في عملنا البحثي فقط على المقابلة الخارجية مع أفراد " العينة " بشكل اعتباطي، بل قضيت في فترات متقطعة أوقات طويلة أقاسمهم حياتهم الداخلية و الذاتية فبت في غرفهم مثلما يبيتون، و أكلت من مطاعمهم مثلما يؤكلون، و استعملت وسائل النقل التي يستعملون، و شاركتهم حتى في أنشطتهم الرياضية و الترفيهية، فهل وفقت في استيعاب و استبطان الجوانب الغير المرئية و الغير المقالة، المتحكمة في السلوك الجماعي في مختلف استعمالاته المنسوجة مع الفضاء؟، هذا ما سأحاول إثباته والبرهنة عليه في هذا العمل

إن تجربة السكن داخل الإقامة و مساراته المختلفة، تنم عن تفريعات غير منتهية من الوضعيات العديدة، التي يصعب حصرها أو حتى تجميعها، لكن بالإمكان إعادة بناءها، وتركيبها وفق الخطة الأنثروبولوجية –كما هو عند Balandier –، التي تسلط الضوء على متغيرات التباين، الحاصل داخل الكل من جهة، و تساءل كيفيات التلاقي، التي تحدث في ما بين الفعل التقليدي والفعل المتغير، من جهة أخرى، بهذا المعنى فان الاستعمال الكيفي للمكان، وممارسة السكن فيه ليس بالعملية المجوفة أو العقيمة، التي تمتثل فقط للإجراءات الإدارية الرسمية، و ما تنص عليه هذه الأخيرة من تعليمات ملزمة في استغلال الحجر داخل الإقامة، بل لدى الطالب المقيم " عبقريته " الخاصة، يستغلها في إعادة تقسيم المكان و تهيئته، بحسب مخزونه الرمزي و حاجته المادية، كأن يضفي على الحجرة لمسة جمالية شخصية تتناغم مع نفسيته و مشاعره .

إن السكن الاقامي في وجه من وجوهه، هو إحساس و عواطف و علاقة مشاعرية، مثلما يصفه بذلك Bachelard في كتابه " شاعرية الفضاء " La Poétique de L'Espace، أين يكون المأوى " قبل أي اعتبار آخر، مسألة روحية "[4] هنا نلاحظ تنوعا دالا يتصل بإعادة، " استبطان " الطالب لمقره الحميمي الجديد، فيضع تمثلاته فيه و يجسد حاجياته المادية و الرمزية بداخله، لكن في ذات الوقت تعتبر علاقات الاغتراب و استوحاش المكان، ومجافاته و عدم القدرة على هضمه أو التكيف معه صورة ثانية من الصور اليومية، التي يمكن ملامستها داخل الاقامات الجامعية، يكفي أن نشير هنا إلى الاستعمال الاضطراري للمكان، الذي يعبر فيه الطلبة الاقاميين عن مشاعر" الغربة " والإخفاق فيعيشون حالة العزلة والوحدة، و ذلك بسبب المصاعب الغير المألوفة لديهم، وهم يواجهون مطالب الحياة الضرورية، و متاعب الاستفادة من شروط العيش، التي يتنافس عليها النظراء في الإقامة على حد سواء، هذه الأشكال و غيرها من الاستعمالات المختلفة للسكن الاقامي، ستكون محل دراستنا في هذا .

2–وصم المكان، التلقيب و دلالته:

إن النعوت و الأسماء التي يطلقها الطلبة، على عدد من الأماكن و النقاط و الغرف، تخفي ورائها المرجعية القيمية و المعيارية، التي على أساسها يرسمون خارطتهم السلوكية و المكانية الخاصة بالمحلة، إن التداول الشفوية للأسماء و الألقاب، المتردد في ما بين التعابير المشرقية و الغربية و كذا المحلية، هو من صميم الفكر الأنثروبونيمي Anthroponymique، الذي يستلهم دلالته و مغزاه من المخزون التمثلي، بحيث يساهم في إعادة هندسة المكان و ترتيبه، لنفحص في هذا المعنى على وجه الخصوص مثلا، إطلاق اسم " الداخليين " les internes على ساكنة الأحياء الجامعية، هذه الإشارة، وان كانت تحمل معني مكاني يتعلق بوضع الطلبة الاقاميين، و تلخص مكانتهم القانونية و المهنية، إلا أنها لا تخلو من دلالات أخرى، تظهر على مستوى " التمثل الجمعي "، يحقن فيها المكان بقاطنيه بقيم و معايير ترتيبية و تصنيفية، بهذا المعنى فان طلبة الأحياء الجامعية، هم فئة من الداخليين – بحسب وصف الخارجيين – غالبا ما تتميز بالانتشار الحر الغير المراقب، والشخصي داخل المدينة لذات السبب

4- Bachelard (G), La Poétique de L'Espace, 1967, P 18, PUF, Paris,..

نجد الحاجة إلى التمايز و إلى الفرز الاجتماعيين، تضع هذه الفئة في أدنى السلم، و ذلك في إطار ما يحدث من تفاعل وتبادل في ما بين الداخليين و الخارجيين .

فالطلبة " الخارجيين " شأنهم في ذلك شأن الكثير من الأهالي في المدينة، بالأخص سكان الأماكن القريبة من الاقامات الجامعية، عادة ما يرتبون أحكاما مسبقة، ينعتون من خلالها الكثير من الطلبة الاقاميين بنعوت سلبية، فيصفونهم " بالأعراب " و " المنفلتون " تارة و بمن يجدون في الإقليم الجديد مكانا مفضلا لإطلاق العنان لرغباتهم و لحريتهم تارة أخرى، لقد ترتب عن مثل هذه التصورات في أكثر من حالة عنفا حضريا، شهدته الأحياء العمومية المجاورة للاقامات البنات، فانتشار السلوكيات الحرة و العلاقات العاطفية، من أمام مقر السكنات الجماعية للناس، عدة خرقا مشينا للآداب العامة، وعدم مبالاة بالخصوصية العائلية التي يتواجد عليها السكان، ما أدى في بعض الأحيان إلى ردود فعل عنيفة، تمثلت في تصدي شباب الأحياء العمومية، بالحجارة و أحيانا بقارورات المولوطوف على الاقامات الجامعية الخاصة باللبنات [5] و على " الغرباء " الذين يأتون بسياراتهم من كل حدب وصوب للمعاكسة الطالبات، دون مراعاة أو انتباه للجيران المحاذون للمقر الإقامة.

إن الملاحظة التالية تعبر تماما على ما يدور في ذهن السكان، من تصورات و تمثلات تجاه طالبات الأحياء الجامعية: ففي إطار عملي بالبحث كثيرا ما كنت أتردد على مقهى الانترنت، الواقع مقره بين إقامتي C1 ذكور و C3 إناث، كان صاحب المقهى صديقا لي، و مطلع على طبيعة بحثي، في أحد الأيام دخلت علينا امرأة متوسطة العمر، تطلب من صاحبي أن يكتب لها تصريحا شرفيا على الحاسوب، في ذات الوقت دخلت إحدى الطالبات، تطلب هي الأخرى من صاحب المقهى، أن يسحب لها بعض الأوراق تتعلق بدراستها، فأثناء جلوسها للانتظار دار بينها وبين تلك المرأة التي يبدو أنها من سكان الحي القريب من الإقامة، حوار طريفا!!.

" قالت المرآة للبنت – هل أنت طالبة ؟ – الطالبة: نعم أنا طالبة في السنة الأولى علوم سياسية ؟ المرأة: – وتسكنين بC3 ؟، الطالبة: أنا أسكن في مدينة المحمدية و أقيم هنا، نعم تتلمح المرأة مليا في صورة البنت و في ملبسها ثم تقول ضاحكة سيغمركي

[5] - تطلعنا أخبار الصحف بشكل مستمر على المستوى الوطني عن أحداث احتجاج و عنف مختلفة تحدث بسبب الممارسات التي تفرزها الاقامات الجامعية، خصوصا المرتبطة منها بالمراكز الجامعية أو الجامعات حديثة العهد التي تتنامى بشكل مطرد في كل ولاية من ولايات البلد، إذ لا يخفى على الملاحظ الذي يتجول في المدن المتوسطة من مدى امتعاض الناس من تغير السلوكيات

و القيم التي طرأت على مدينتهم، و ذلك بسبب بناء الجامعة و الاقامات الجامعية داخل سياقهم الحضري، ماذا يعني ذلك على المستوى السوسيو مجالي؟.

إن المعالم الجديدة هاته أعطت إضافة فيزيقية للإطار الحضري الرسمي، انتعشت معه حركة المواصلات وتسارع معها الإيقاع العام في المدينة و ذلك بسبب تدفق الطلبة الوافدين من بقاع شتى على فضائها، لقد انعكس ذلك مباشرة على جملة المعايير و القيم التي شهدت بدورها تحولا لم يكن مألوفا من ذي قبل، أنظر على سبيل المثال لا الحصر جريدة الشروق اليومية الأحد 8 جانفي 2012، العدد3527

هواء وهران يا بنيتي و سياستهويك جوها، فتغيرين من ملبسك و من مشيك!، تقضي البنت حوائجها، ثم تنصرف من المقهى مودعة، لكن المرأة تستمر في تعليقها قائلة، لقد شاهدناهن هؤلاء الطالبات الداخليات، يأتين إلى هنا في العام الأول، " كالقطط المغمضة العينين "، الواحدة منهن مهترئة في قوامها، أو حتى ثخينة، لكن ما إن تألف العيش هنا و تتعرف على الأماكن، و على الناس، تصبح ولا الراقصة " شكيرة " في قوامها و ملبسها!!.

الطريف في كل هذا، أنه بعد مرور ثلاث سنوات على هذا الحوار، جاءت ذات الطالبة إلى مقهى الانترنت التي أصبحت زبونة فيه، لتطبع مذكرة تخرجها، لكن هذه المرة بـ" look " جديد مختلف تماما عن المظهر الأول الذي رأيناه بها، فالسروال الجينز اللاصق " slim " والخمار الملون والمرتب على طريقة الموضة، و الاعتناء بأناقة الوجه و القوام و طريقة التحدث، كلها تشي بتحول ما طرأ على شخص تلك الطالبة الاقامية، لقد همس لي صديقي مبتسما بعد الذي رآه قائلا: لقد تحققت بالفعل نبوءة تلك المرأة !! "، لكن هذه النظرة التفاؤلية للمكان، ليست محل إجماع عند الطلبة، بل على العكس من ذلك تماما، هناك من أصيب بإحباط شديد، لما ترك بيت أهله و جاء ليسكن الإقامة الجامعية، فعامر 22 سنة، السنة الثالثة علوم اقتصادية، بعد ثلاث سنوات قضاها في الإقامة يقول " لما أتيت من بيتنا، كنت في صحة جيدة و لا بأس بي، لكن مذ جئت إلى هنا تدهورت صحتي و تفاقمت حياتي، وذلك بسبب الأمراض وسوء التغذية و مشاكل الإيواء، هذا فضلا عن سوء العناية الصحية الموجودة داخل الإقامة، هكذا هي حياتي التي أعيشها هما ".

إذن لا يوجد اتفاقا على مستوى المعنى و الدلالة المضافة للمكان، فالنظرة متعاكسة من قبل الطرفين تماما، ماذا يعني ذلك في الفهم الأنثرولواوجي؟، إن تقاسم المجال الحضري من قبل فئات اجتماعية غير متجانسة، يلفت الانتباه إلى الأهمية البنيوية للمجال، إذ يتدخل هذا الأخير في إثارة النقاشات والحوارات و التفاوضات، كما يعيد رسم المكانات و التسلسلات الضرورية، في إعادة انتشار الناس وتوزعهم على المكان، لذلك فالأوصاف و النعوت القاسية التي يوجهها عموم السكان، إلى فئة الطلبة المقيمين بالأحياء الجامعية، تأتي في هذا السياق الذي يعبر عن العلاقة التفاعلية، المتصلة بالمجال فليس من الغريب إذن، أن يسجل الطلبة الاقاميون امتعاضهم واستيائهم، فيظهرون ذلك علنا، لقد خرجت الطالبات المقيمات باحدى الأحياء الجامعية، في أكثر من مرة في اعتصامات جماعية نهارا الى الشارع المجاور للإقامة، يؤطرهم في ذلك الاتحاد العام الطلابي الحر، وذلك من أجل لفت الانتباه وإرسال رسالة، إلى الجهات الرسمية، تعبر فيها عن رفضهن لوقوف السيارات الأجنبية طوابير أمام الحي الجامعي، و محاصرة الشباب للباب الخارجي، الذي تدخل منه الطالبات المقيمات، و ذلك قصد معاكستهن، إن التفاعل هنا ذو قيمة رمزية، الغرض منه إنقاذ صورة الطالب و الحفاظ على "واجهته" [(6)].

[6] - بحسب Goffman (E)، فان الأصل في تفاعلات الناس، ينطوي على أساس معياري، إذ تتدخل هذه المسألة بشكل حاسم في ضبط مختلف المبادلات الإنسانية، فالأفراد يجهدون أنفسهم إما لأجل إنقاذ واجهتهم و إما لأجل إظهارها و التميز بها، فالحالة الأولى تقتضي تتبع سير التفاعلات الاجتماعية و التعرف على الشيفرة التي يحترمها الناس فيتبعها الأفراد و هم يتقاطعون مع مشاريع الآخرين، أما الحالة الثانية ،أي إظهار الواجهة فتقتضي تتبع خطا سلوكيا جيدا يرجوه الفرد و يتمناه، يتم ذلك من خلال تأثر الآخرين بخط سيره فيتقمصون الواجهة التي يمنحها لهم و بذلك يجد هو واجهته، إن كل المبادلات الإنسانية مشروطة بهذه المسألة، لذلك تتداول بشكل طقوسي لدى الناس.أنظر:

دلالة أخرى نضيفها هنا إلي ما تقدم، إن استئناس المكان في إطار علاقة سكان الأوساط الحضرية بالطلبة المقيمين أو العكس، يختلف من منطقة إلى أخرى، فالمؤشرات التي ذكرتها تسمح بالقول أن المدينة الكبيرة، -كبيرة بكثافتها وتنوعها - (حالة مدينة وهران مثلا)، تسمح إلى حد ما بانتعاش السلوك الحر و لا تفرض عليه رقابة اجتماعية نسبيا، بل إن " التضامنات الميكانيكية " عادة ما تفصح عن نفسها عند " جماعة طلبة " الأحياء الجامعية، الذين يحملون معهم موروثاتهم العائلية و المناطقية و ذلك عندما يستشعرون أنها باتت مهددة ضمن السياق الحضري الجديد، في حين أن حالة المدن الصغرى و الداخلية، حديثة العهد " بظاهرة الاقامات الجامعية "، فان السكان المحليون هم من يسجلون، ردات فعل تجاه الممارسات التي لا تخضع للرقابة الاجتماعية، فيعلنون أنفسهم حماة للتضامنات الميكانيكية العتيدة. ما يعني على مستوى التصور الأنثروبولوجي، أن وجه الحضرية مشروط مسبقا في تلونه و تنوعه، بلائحة القيم والمعايير المتفق عليها جماعيا، " فعلاقات القوة وعلاقات المعنى- يذكر Augé M - تسيران جنبا إلى جنب، لذلك يصعب الاكتفاء في فهم ما يجري على المستوى المادي، دونما الرجوع إلى ما هو روحي و معنوي " [(7)] (بالتصرف الشخصي)، إن التغير الحضري في كلا الحالتين المذكورتين، هو نتاج التغير الحاصل على المستوى المعياري، وعلى المستوى المورفولوجي بشكل غير متجانس .

3- من بيت العائلة إلى بيت الطالب، الثابت والمتحول:

بين مسار طويل في التنشئة و التربية، اتكأ فيه الطالب مطولا على بيت العائلة، و ما يوفره له من متاع مادي و معنوي وبين تجربة اقامية ناشئة، خرج فيها الطالب لأول مرة في حياته، ليعتمد بشكل شبه منفرد في ترتيب شؤون سكنه و مقامه، و بناء علاقته الحميمة في مثل هذا الحيز الضيق، فمن بيت العائلة إلى بيت الإقامة، تجربة تستأهل الملاحظة و التفسير بحيث تعيد تسليط الضوء على الرابطة الاجتماعية، وعلى تعريف الحدود مجددا في ما يتصل بثنائية، مفهومي الفرد والجماعة[(8)] فكيف يصف الطالب المقيم هذا المسار؟. كيف يقارب و يلامس محيطه السكني الجديد؟، إن تصويرا اثنوغرافيا لطرق و أساليب تسجيل الطالب نفسه

Goffman (E),1974 Les rites d'interaction, p 12-15-20, Paris, Edition de Minuit, 230p.

7- Augé (M), in Table Ronde " Ethnologie et fait religieux ", Revue française de sociologie.1978.XIX. 4 : 573 PP.

8 - في كتابه Les mutations de la société Algérienne، يحلل عدي الهوا ري الرابطة الاجتماعية التي على أساسها تتشكل العائلة و المجتمع الجزائري، فيقول " إن أزمة الرابطة الاجتماعية في الجزائر، تنحصر ضمن فترة تاريخية من التحول و من إعادة تعريف الحدود في مابين المصلحة الفردية و مصلحة الجماعة و بين المصلحة العائلية و المصلحة الوطنية أنظر:

Addi (L), Les mutation de la société Algérienne, Famille et Lien social dans L'Algérie contemporain, P 124, Edition La Découverte, Paris 221 P.

على الأرض في هذا المجال، يعد مهما في عملية استخراج المعاني و الدلالات، ذات الصلة بمفهوم البيت أو العائلة و الرابطة الاجتماعية.

مع بداية كل سنة يتجشم الطالب المقيم عناء البحث بنفسه عن لوازم الغرفة، حيث تجده متنقلا من مكان إلى آخر باحثا في ذلك عن الأفرشة وعن اللوازم التي تحوي أغراضه وأمتعته الشخصية، يتم ذلك في جو من الفوضى حيث يسعى الكل إلى تحقيق ذات الغرض، ما يجعل الغرف محل اكتضاض و ضوضاء، يكثر فيها الحديث و الضجيج و يطلق فيها صوت المذياع، إلى أقصى حد و تنشط فيها الحركة و الزيارات، خصوصا إذا كانت بعض الغرف، تطل على أحد الأجنحة الخاصة بالبنات، ما يجعل النوافذ، تتحول إلى شاشة عرض و حوار لا تخلو من الفضوليين و المتحدثين، يستمر ذلك حتى وقت متأخر من الليل، متسببا بذلك في إزعاج الآخرين.

مثل هذا الوضع يدفع بكثير من الطلبة للجوء إلى ساحات الإقامة، أو إلى قاعة الصلاة بحثا عن الراحة ومراجعة الدروس و ذلك بدلا من البقاء داخل الحجرة، التي يتعذر على الطالب فيها الخلو بنفسه، بل من الطلبة من يترك الإقامة مطلقا، و يتجه نحو بيت أهله خصوصا في فترة الامتحانات ليستعد للحدث، ذلك أن الحجر شأنها في ذلك شأن الرواق أو قاعة المطالعة، باتت أماكن غير ملائمة للدراسة، بسبب كثرة الفوضى و الضجيج من جانب الذكور أو المبالغة في الزغاريد و الموسيقى من جانب البنات.

إن العلاقة الغير المتوازنة داخل الحجر تورث في بعض الأحيان ممارسات خارقة للخصوصيات ومتعدية لها، فتراكم عدة أفراد بشكل غير مدروس من شأنه أن ينتج هذا الوضع، فايزة على سبيل المثال 25 سنة، طالبة في السنة أولى فلسفة تقول " في الحجرة التي أقيم فيها يوجد ستة أفراد، ثلاثة منهم في السنة الأولى، واثنان في السنة الرابعة وواحدة فقط في السنة الثانية، غالبا ما نتشاجر في ما بيننا وذلك بسبب، إما سرقت المال أو الهاتف النقال، أو حتى بسب اقتناء البعض حاجيات و ملابس البعض الآخر "، لكن داخل هذا الوضع المفتوح، الذي لا يحتكم فيه الطالب المقيم إلا إلى شيفرته الثقافية الخاصة و إلى، " تأثيرات المكان " الجديد الذي يتواجد فيه، تنشأ قابليات اجتماعية مغايرة أخرى تجعل من السكن الاقامي ، مكانا منتجا للسعادة و التلاؤم و اكتساب الخبرة و التجارب البناءة أيضا.

في هذا المعنى تقول كريمة 23 سنة، السنة الثالثة تاريخ، نحن هنا في الغرفة ثلاث بنات جد متفاهمات، نتعاون على النظافة و على مصاريف الغرفة، نتكاثف و يساعد بعضنا البعض على مواجهة الدروس علاقتنا جد ممتازة، نتحدث في المواضيع الاجتماعية و في العلاقات الشخصية، علاقتنا مثل الأخوات، نتقاسم الحلو و المر في ما بيننا، نضحك و نتألم سويا، وعندما تتعرض إحدانا إلى مشكلة ما نساعدها و نواسيها، لم يسبق لنا وأن تخاصمنا أو أساء بعضنا للبعض الآخر، وان شئت الصراحة

أكثر، فان قربي من صديقاتي في الحجرة يفوق علاقتي بأختي أو بعائلاتي، ذلك أنني أقضي من الوقت مع صديقاتي ما لا أقضيه مع عائلتي " .

إن السكن الاقامي يحسب ملاحظاتنا المتقدمة، هو مجال للتحرر و الانعتاق من بعض القيود العائلية التقليدية، الممثلة في السلطة على أساس الجيل و السلطة الذكورية، إن حجرة الإقامة التي تغيب فيها هذه العناصر القرابية، تضع الرابط العائلي أمام امتحان حقيقي، يعيد الطالب على إثرها تعريف نفسه لنقترب من الحقيقة و نرى كيف يتعامل الطالب مع هذه المسألة، تحدثنا بديعة 23 سنة، السنة الرابعة علوم تجارية على هذا الجانب قائلة، " أنا والديا جد متفتحين، لم يتحفظوا منذ اللحظة الأولى على ذهابي للسكن في الإقامة الجامعية، إنما أوصوني بعدم المخالطة و الابتعاد عن رفقاء السوء، فأنا أطيعهم و لا أعصي لهم أمر، كما ترى فمازلت مثلما جئت محافظة ومحجبة، يزورني أهلي من فترة إلى أخرى، يدعمونني بالمال وبالأغراض الضرورية، لم يتغير مني شيء، بل على العكس من ذلك ازددت تمسكا ومحافظة " .

بينما فتيحة، 26 سنة، السنة الثالثة آداب تقول " أنا في البيت، أخي الأكبر هو من له الكلمة العليا حتى على والديا فعلى الرغم، من أن أوليائي يقبلان بإقامتي الجامعية، إلا أن أخي المتسلط يرفض ذلك مطلقا بحيث توعدني في كدا من مرة، بالقتل إذا ما رآني أقطن بالإقامة، لقد اضطر والدي للكذب عليه حتى يرضى، حيث قال له أنها مقيمة عند أختها في وهران، فلا تحتاج للسكن مع الطالبات في الجامعة، لذات السبب أنا أجد راحتي هنا بدلا من البيت ".

و في وضعية أخرى تقول سارة 25 سنة، السنة الثالثة نظام جديد تخصص بيولوجيا " أنا الحي الجامعي حررني من ضغوط العائلة و ممنوعاتها، فانفتحت على الحياة أكثر، و ذلك على خلاف ما كنت عليه في مراحل سابقة من حياتي، حيث أستطيع أن أتحدث في الهاتف النقال بكل حرية، و في أي وقت أريد، أصرخ وأرقص و ألبس مثلما شئت، لا أحد يمنعني هكذا هي حياتي مع صديقاتي في الحجرة، فلا نجد فرصة أفضل من هذه للحرية "، على المستوى السيكولوجي القرابي فان الأفراد هم " الأب" " الأم " " الابن " " الأخ " ليسوا شيء آخر، رابطتهم طبيعية " ليبيدية " libidinal، إذ على هذا الأساس تنشأ مشروعية الحقوق والواجبات الداخلية في ما بين أعضائها، إن سؤال المسافات وامتلاك الأمكنة يأتي من ضمن هذه الرابطة، لذلك تعد حجرة الطالب و السكن الاقامي بشكل عام موضوعا يمس في العمق هذه المسالة.

إن الانفتاح و التحرر أو الانغلاق و المحافظة، الناجم عن تغير المكان واستبدال بيت العائلة ببيت الإقامة الجامعية، يضع الأصبع مباشرة على تلك الرابطة الطبيعية، أين يصبح إشكال المسافات والمكانات محل رهان، لنتعمق أكثر في هذه المسألة و نسلط الضوء على جوانب أخرى متصلة بالموضوع، تقول حورية 20 سنة، السنة الثانية ترجمة " إن أقصى مدة أقضيها في الإقامة لا تتجاوز الخمس عشرة يوما، فإذا ما زدت عن ذلك ببضعة أيام، يأتي أهلي عندي ليزوروني، حاملين معهم المؤن الضرورية

"، بينما راضية 23 سنة، السنة الثالثة إعلام آلي و تسيير تقول، " أنا والديا منفصلين عن بعضهما البعض، ولا يسألون عني أو يقدمون لي شئ، لذلك أشعر بالوحدة هنا، لكن لدي رفيق العمر الذي يعوضني عن بعض ما أفتقده ".

لم يعد من قبيل السر أن اقامات البنات الجامعية، أصبحت في نظر الحس العام، مجالا لانبعاث العلاقات الحرة و انتشار الدعارة، لكن إذا ما اقتربت من هذه الأماكن، لأجل فهم ما يجري عن كثب فسيشرح لك المعنيين، أن ظروفهم المادية وأوضاعهم العائلية، هي من تدفعهم للاسترزاق و التربح من خلال تعاطي تجارة متعة الجسد، قد تكون عدم قدرة الأولياء على الإيفاء بالمتطلبات المادية تجاه أبنائهم الطلبة، حافزا و مبررا مشجعا على حرف بوصلة القيم، التي نشأ عليها الطلبة إجمالا في بيت العائلة، لكن هذا لا يعني أن كيان العائلة التقليدية قد اضمحل و انحل، و لا يعني البتة أن الطالب المعني قد تحرر منها و فاختار الدخول في " اجتماعيات " بديلة أخرى، فما يتراءى للعيان من مظاهر تحرر و انعتاق بادية، من أمام محيط بعض الاقامات الجامعية الخاصة بالبنات، هي ممارسات آنية مستجدة تتصل بطبيعة المؤثرات الحضرية المفتوحة على كل الاتجاهات، بدليل أن الطالب بعد نهاية مشواره الدراسي، سيعود مجددا إلى مدرجه الأول الذي جاء منه، فينصهر منه و يذوب كل ما لحقه من " شوائب " علقت به و هو يعيش حياة المدينة، لكن هذا لا ينفي أن ذات الأفعال المذكورة، تحمل إرهاصات التحول و التغير، إن تجربة السكن الاقامي، مثلما تمكن الطالب المقيم من امتلاك مساحة ومسافة، تمكنه أيضا من امتلاك أساليب في التكسب، – مثلما سنرى – ما يد فعنا إلى القول، أن ما بين بيت العائلة و بين بيت الإقامة الجامعية، تنشأ أشكالا جديدة من الذاتيات الفردية المستقلة التي قد تدخل تغيرا جزئيا على العائلة التقليدية نفسها، " فالمؤسسات الحية – يقول Mauss – تحيا، أي بمعنى تتغير دونما انقطاع "[(9)]، ربما يكون السكن الاقامي في هذا المعنى، شاهدا على هذا التحول .

4-الغرف و المهن:

لا يمكن التسليم بأن السكن الاقامي هو ذو وجهة واحدة، يخضع للوائح و القوانين المنظمة للسير الحياة الداخلية، فهو لا يشبه في حقيقته المعيشة، لا السكن الوظيفي الذي يفرق فيه الموظف لدى الدولة بين موطأ راحته و موطأ نشاطه، و لا السكن الاستعمالي كما هو الحال في الفندق، حيث ينزل فيه الزبون للمدة مؤقتة قصد المبيت ثم يتركه، و لا السكن العائلي الذي ينمي الفرد ماديا و معنويا وفق تقاليد و معايير مضبوطة، إن حجرة الطالب المقيم هي متعددة المهام و الوظائف، فهي مكان لتلاقي الثقافات أين يتعارف الطلبة الوافدين من مناطق شتى، على أعراف و عادت بعضهما البعض، و هي مكان للتحرر من وصاية الأولياء والكبار، والإقبال على تجريب علاقات جيلية موحدة، و هي أيضا مكان مستغل للكسب المادي والنشاط التجاري، حول هذه المسألة الأخيرة، نحاول أن نتعرف على نمط آخر من الاستعمال للسكن الجامعي من قبل الطلبة المقيمين.

---

[9] -Mauss (M), 1969, " Fragment d'un plan de sociologie générale Descriptive ", in Mauss M, œuvres III, Paris, Les Edition de Minuit P.303-358

بحسب الملاحظة فان حجرة الطالب في وجه من وجوهها، هي ذات منافع اقتصادية مهمة، فلك أن تشاهد و أنت تتجول في ما بين الأجنحة والأروقة المتعددة، الكم الهائل من الإعلانات الملصقة أو المكتوبة على الحائط الدالة على ذلك، كأن تقرأ على سبيل المثال " حلاق ماهر بأسعار عقولة " بالغرفة " ب "، أو " تعبئة بطاقات المحمول بأسعار مخفضة "، بالغرفة " ج" أو " طبع و نسخ المذكرات بأربعة دنانير " بالغرفة " د "، في الأجنحة بإمكان الملاحظ أن يميز بين عدة أصناف من الغرف، فهي ليست على نفس الطريقة من الاستعمال، فهناك الحجرة الكشك و الحجرة الصالون والحجرة الأستوديو التصوير وحجرة بيع الملابس و أدورات التجميل، فأحمد 23 سنة، السنة الثالثة تاريخ يضع على باب حجرته " حلاق ماهر بأربعين دينار "، لما دخلت على " محله " الذي كان كل عتاده مقصان و آلة حلق كهربائية وبعض الأمشطة، هذا إضافة إلى مرآة عريضة وبعض الصور الفنية الملصقة التي يضعها على الجدار، حيث وجدت لديه مجموعة من الزبائن ينتظرون دورهم في الحلاقة، و في معرض الدردشة الدائرة في المحل، سألته أن يحدثني على نشاطه هذا فأجاب قائلا " أنا أزاول هذه المهنة هنا منذ ثلاث سنوات، أقدم فيها في نفس الوقت خدمة للاخواني الطلبة، كما أتكسب منها حتى أواجه مطالب الحياة اليومية، فأهلي لا يستطيعون تغطية كل حاجاتي " .

عن نفس المهنة و بنفس الكيفية تقول شهرة 25 سنة، السنة الثالثة علم الاجتماع " في ما يخص الإقبال الحمد لله أنا لدي الكثير من الزبائن هنا، حيث أشتغل من الصباح إلى وقت متأخر من الليل أحصل على المال الوافر، لأسد به حاجياتي الضرورية وأساعد به حتى أسرتي المعوزة "، لكن هذه الأنشطة عادة ما تكون محل تشكي من قبل الجيران، فكثرة حركة الراجلين من الزبائن و الضجيج المنبعث من تلك الحجر/ المحلات، اضطرت بعض الطلبة لتقديم شكاوى إلى الإدارة حتى تتدخل من أجل إزالة الضرر، لكن الرد مثلما تذكر صاحبة المحل " أنه يتعذر على الإدارة القضاء على هذه الأنشطة، و ذلك لحاجة الطلبة الماسة إليها فعلى الرغم من إزالة الإعلانات و توجيه الإنذارات، إلا أن الطالبات يعرفن لوحدهن المحلات، فلا جدوى إذن من وعيد الإدارة ".

هذا عن الحجرة المحل أما عن الحجرة الكشك، فلا يكاد يخلو جناح من أجنحة الإقامة من وجود هذا النوع من الأكشاك الذي تباع فيه كل أنواع الحلوى، و علب السجائر و بالأخص شحن و تعبئة الهواتف النقالة، حول هذه المسألة يقول عمر 23 سنة، السنة الرابعة علوم قانونية وإدارية " أنا أمارس هذه المهنة لأنها طريقة سهلة في كسب المال، حيث أشتري البطاقة بخمس مئة دينار، و أبيعها بخمس مئة و أربعون دينار، كان لدي إقبال كبير لكنه قل و انخفض في هذه الأيام، و ذلك بسبب ظهور المنافسة، إلا أنني استدركت هذا النقص خصوصا مع حلول الظلام، إذ أستأجر شريحة 070 للهواة الأحاديث الليلية، أين يكثر الطلب عليها، ابتداء من الساعة التاسعة ليلا إلى مطلع الفجر".

ثمة نوع آخر من الاستعمال تستغل فيه حجرة الطالب، لأغراض تجارية و أخرى إنسانية، فبمبادرة من الطالب الباحث عن علاقات مغايرة، يحقق بموجبها مكاسب نفعية ذات صلة بوضعه السكني، في مثل هذه الحالة لا يتوانى الطالب، عن إبرام علاقات مع عمال الإدارة أو أعوان الأمن الذين يشرفون على حراسة الإقامة أو رؤساء الأجنحة، فهذا يزوده بحصص غذائية معتبرة و يجنبه الانتظار في الطوابير الطويلة داخل المطعم، مقابل إيواء للصديقة أو صديق " خارجي " غير مرخص له، حيث

يتكفل الطالب أو الطالبة المقيمة باستضافته عنده في الحجرة، و ذاك يفتح حجرته أو حجرتها للبيع الملابس و أدوات التجميل التي يموله بها مسؤول الجناح، مقابل حصوله على أدواة النظافة أو اختيار مكان الحجرة التي يريد.

كل هذه العلاقات التبادلية التي تجري بشكل غير رسمي، فان الغرض منها هو إعادة إعطاء وجهة أخرى للمكان و الاستفادة منه في غير بعده الوظيفي، ذلك أن الحياة داخل الإقامة بحسب التوجيه الرسمي لها [10]، لا تسمح بمجال لأي نوع أو نشاط تجاري أو مهني يغزو أجنحتها وأروقتها، فهي معدة للإيواء الطلبة بشكل ملائم حتى يتمكنوا من التحصيل و الدراسة ليس إلا، بمعنى آخر إن الفضاء الاجتماعي داخل الإقامة، مرصود من الناحية الرسمية لاستقبال المتشابهين المتماثلين في السن والجنس و المهنة، فهو لا يقبل حالة للاتجانس و التنوع، فالمجتمعون بداخله هم طلبة وحسب، لا مجال لمواصفات أخرى داخل الإقامة، إن السكن الجامعي بهذا المعنى لا يمكن أن يطلق عليه اسم حي cité مادامت تعوزه عناصر المبادلات المختلفة الحرة، و كثافة الاتصالات فهو مجال فاقد لصفة الحضرية.

من هنا تأتي أهمية رصد ما يعتمل و يركب، في الجانب الغير الرسمي من حياة التسكن اليومي داخل الإقامة، إذ من شأن ذلك أن يكشف لنا عن كيفيات و أساليب الخروج من أحادية البعد الاقامي الرسمي، وإبداع أبعاد متعددة شبيهة بتلك الموجودة داخل الحياة الحضرية، " فالذات الحضرية – يقول Paquot – كفيلة بتحويل مكان ما إلى مكان للسعادة و التلاؤم " [11]ضمن هذا المعني يمكننا فهم دلالة الأنشطة و الأعمال و مختلف المبادلات الموجودة داخل السكن الاقامي، فهي بمثابة تقسيم العمل الموجود داخل المدن و الحواضر، حيث ينجر عن مزاولته انبثاق المباينات والتعدديات و الاختلافات و ليس التشابه و التماثل، إن الأنشطة الغير المعلنة أعلاه تعطي وجها حضريا للإقامة، بحيث تجعل منها حيا حقيقيا، تنتعش فيه العلاقات التكاملية التي تضاف إلى أنماط التضامنات الموجودة الأخرى بمعنى آخر، نحن أمام أساليب حرة تعمل من أجل " حضرنة " فضاء رسمي، لا يتحمل الممارسة العفوية .

---

10 - أنظر النظام الداخلي للاقامات الجامعية، حيث ينص قانون العقوبات أنه من بين المخالفات التي ترقي إلى الدرجة الثانية، الإخلال بالسير الحسن للإقامة الجامعية : العنف، التهديد، فوضى منظمة، تحويل أملاك الإقامة الجامعية، ص 10، الملحق

11 - Paquot (T), 1990, Homo Urbanus, P 136, Paris édit du Félin 177 p

خلاصة القسم:

تؤكد لدينا من خلال عروضنا الأنثروبولوجية، المتعلقة بأنماط تداول المكان الجماعي وأساليب العيش فيه، أن المنطق الذاتي المبني على استراتجيات القوة والسيطرة و على المخزون الديني والرمزي و كذا المناطقي، و الروابط الجيلية الباحثة عن تجريب و اختبار أنماط العلاقات الجديدة وعناصر متدخلة لا بل متحكمة أحيانا، و ذلك بحسب الحالات والوقائع، في إعادة صياغة التوزيع والانتشار داخل الأجنحة، و تنظيم العلاقات المكانية والإنسانية في ما بين الطلبة، إن نماذج العيش معا داخل الحي الجامعي، لم تعتمد في بنائها على الانتماءات العلمية والتخصصية، أو كما ترتب الإدارة الوصية و تخطط، هذا البعد و إن كان معمولا به و حاضرا بشكل نسبي، بالأخص مع أصحاب التخصصات التقنية، إلا انه لا يكاد يظهر في زحمة العلاقات، التي تفضل الميولات الذاتية والتقسيمات الثقافية، التي تعد مراجعا إجرائية، في السكن اليومي على مستوى الغرف و الجناح ككل .

إن كسر طوق التنظيم الرسمي للمكان المسكون، من خلال تحويله إلى مجال للتربح وممارسة المهن المختلفة، يشير إلى الحاجة الجماعية لحضرنة المكان، و إزالة الصورة النمطية بداخله، التي يحبذها التسيير الرسمي، هذا النوع من الأنشطة يغير من الوجه الأحادي و الموحد، فيملئه بمختلف الممارسات، المشابهة للحياة العامة داخل الحواضر و المدن، و التي لا يفصلها عنها، سوا الصور الفاصل و الحاصر للمجال الإقامة الجامعية.

أستدرك وأقول إن إمعاننا في إبراز الجوانب الذاتية، لا يعني أن الجوانب الموضوعية والرسمية عديمة الجدوى و النجاعة، بل إن استيفاء الشروط الإدارية و استكمال الملفات واستحضار البطاقات هي بمثابة شروط الوجوب، التي تعترف بمكانة الطالب المقيم داخل الحي الجامعي، فمن دون هذه الوسائل يفقد الطالب المعني مبررات وجوده، هذا ما هو معروف و متداول ظاهريا لكن حدود تأثيره لم تخرج عن الإطار العام، و لم يتغلغل إلى صلب العلاقات البينية، فيشرع لها المكانة القانونية، ربما هذه الفراغات هي من تفسر لنا سر حضور العناصر العفوية و التقليدية، التي تتدخل بشكل مباشر في إعادة رسم خارطة السكن الجماعي داخل الجنحة، و ترتيب و تنظيم شؤون الغرف، و التواجد فيها .

الخلاصة العامة :

عود على بدء، إن ما طرحناه على مدار هذه الدراسة، اشتمل على منهج و موضوع، أما المنهج فكان ينتمي إلى الأنثروبولوجية التفسيرية، التي ترى في الخطابية la discursivité المادة المثلى لأجل إنتاج المعطيات الميدانية، المبنية أساسا من الوضعيات الجزئية المتعددة الغير المنتهية، لكن هذه المسألة تحتاج إلى ضبط منتظم، و تفكير ممنهج، لذلك ننظر إلى الوضعيات ليست كحالات عابرة تأتي في مسلسل التدفق الاجتماعي، الذي لا يعرف توقف أو انقطاع، إنما مثلما يعبر Goffman في مقاربته، المسماة باسم " الوضعيتية المنهجية " situationnisme méthodologique، على أنها " تمظهرات مضبطة موجهة للكشف عن منطق بنيوي، متصل بإعادة الإنتاج و بأنماط السيطرة والتغير، الذي يخلف في الأخير دمغة محلية "[12]، لقد اجتهدنا رينا من أجل الوصول إلى الوضعيات الناجعة، و أعادنا استجماع ما تنافر منها و ما اختلف، و إعادة تركيبها في صور و نماذج، لكن ذات صفة حيوية و حركية وليست مثبتة أو مجمدة على الواقع، أي بمعني أوضح، لقد حرصنا أن تكون الوضعيات "الممثلة " تتصف بالنشوء و التخلق و التفاوض، مع الواقع المسترسل، الذي لا يعرف الرسو و لا الانحباس في و على أي حال من الأحوال، ضمن هذه الانسيابية، استخرجنا المسارات وصنفنا النماذج .

أما الموضوع فقد كانت تدور رحاه حول، ميدان طلبة الأحياء الجامعية، ذلك أن إشكالية الطالب المقيم بالأحياء الجامعية تكاد تتصل بمختلف الجوانب الأساسية الخاصة بالمجتمع وبمؤسساته العتيدة والحديثة، إنها تحرك العائلة و تحدث بداخلها نقاشا عميقا، يرتبط بمدى جدوى إرسال الابن أو البنت، إلى أحياء الخالية من الرقابة الأبوية، و تبلور لدى المخطط وصانع القرار صياغة سياسات تموينية بالعتاد المادي اللازم، و ذلك من أجل إنشاء بنية تحتية تسهم في دعم الحواضر و المدن، بما تحتاج إليه في خارطتها و مشهدها الديمغرافي و العمراني العام، كما تطرح أيضا إشكال القيم و المعايير بالنسبة للطالب الاقامي، الذي يجد نفسه أما م حقل جديد ينخرط فيه عن طريق التجريب و الاختبار، للمختلف العلاقات المتاحة، التي يقدمها له الوسط الميدني المتسع الآفاق، إن موضوع الطلبة و الاقامات الجامعية، عبارة عن رزمة من المواضيع، مجمعة في إشكال السكن الجامعي، إذ من خلاله يمكننا الإطلال و الاطلاع، على مختلف الجوانب الاجتماعية الموصولة، بشخص الطالب القاطن أو النازل بالأحياء الجامعية .

من أجل كل هذه التفصيلات و غيرها، كان موضوع طلبة الأحياء الجامعية مهما، فهم ذوات تضفي على الحياة الحضرية إيقاعا جديدا، و حيوية يظهر أثرها على يوميات المدن، فالطلبة الاقاميون يغدون و يروحون، ينتشرون و يتوزعون عبر مختلف دروب الحواضر، جماعات ووحدانا، فيتواجدون في معظم الساحات و الأماكن العمومية، مشكلين بذلك جزء مهم من الحدث اليومي الخاص بالمراكز الكبرى، كيف يمكننا قراءة تجربته، و استخراج مساراتهم الحضرية ؟، فللمسألة إذن مدخلات ومخرجات مستهل و تراكم و تكيف، عند هذه العتبة يمكننا رصد الخطوات الأولى، الخاصة بالطلبة القادمين من المناطق العميقة و الأطراف المتوسطة والنائية، حول هذا الصعيد نجد أنفسنا، أمام أنماط متعددة و غير متجانسة من القابليات الاجتماعية، ذات الطابع

[12] - Joseph (i), 2003, Erving Goffman et la microsociologie, p 8, Paris, PUF, 126 P.

الشبابي الخالص، التي يعيد فيها الطالب المعني، امتحان موروثة العائلي، و استحداث قيم و ممارسات جديدة، يكتسبها بطريقة التجريب والاختبار التي تتيحها له رحابة الحياة الحضرية، و ما تطرحه من بدائل و فرص و تنوع في العلاقات و الروابط المؤدية إلى كل الاتجاهات .

أمام هذا الوضع و الوسط المستجد، نجد الطلبة المعنيين في مفترق طرق حقيقي، فمنهم من ينظر إلى المدينة المتواجد فيها على أنها مكان للفسحة و المتعة و إشباع نهم النزوات، التي مافتئت أن انطلقت و راحت تعبر عن نفسها في علاقات حرة، لما وجدت نفسها بعيدة عن الرقابة الأبوية و سلطة التقاليد و الأعراف، و منهم من وطن نفسه و ترشح لخوض تجارب جادة معتمدا في ذلك على مواهبه ومطامحه، الساعية نحو تحقيق النجاح و الاندماج المهني و الاجتماعي، داخل المدينة التي جاء إليها أو من أجلها، واستقر في أحيائها الجامعية ردحا من الزمن.

إن حالة الطالب المهووس بالتفوق العلمي والحصول على أعلى الشهادات، و حالة الطالب النقابي النشط، عناوين رئيسة تسطر مسار وخبرة، كيفية الانضمام إلى النسيج الحضري العام، فالجامعة في هذا المعني لا تزال في نظر من يحلم في تحقيق النجاح و الوصول إلى مبتغاه، تمثل قارب نجاة وطوق أمان، و ذلك في الوقت الذي أصبح الكثير من الطلبة، ينظر إليها على إنها جهاز للإنتاج الشهادات، المبتورة الصلة عن الحياة الاقتصادية و الحيوية ككل فانكفأ إلى أساليب اندماجية أخرى دونما تفريط في انتماء و لو شكلي إلى ذات الجهاز، حالة اللامعيارية و عدم التأكد هاته، و التي أكدتها دراسات الباحثين في مؤلفات عدة و التي يضاف إليها انكسار و إفلاس الأيديولوجيات التنموية الواعدة، التي أملت بضجيجها الحياة الوطنية والإقليمية و حتى الدولية، في عقود مضت، فتحت الباب أمام عودة الجماعة، وعودة القبيلة[13] مجددا، ضمن هذا السياق يفهم معنى اكتساح الطلبة السلفيون مجال الجامعة المختلط ومشاركتهم ممتطين في ذلك، المقدس و الخالص، من أجل إعادة ابتكار توبولوجية الفضاء الجامعي عموما و الأحياء الجامعية خصوصا، و تقسيم مراكزه و أطرافه على أساس من الاستحقاق العقدي و ليس المدني، بتعبير الأنثروبولوجيين، نحن بصدد الرجوع إلى المحل والى عناصره الأولية، من أجل إعادة تنظيم المجال المشترك، ذو الواجهة المؤسسية الحديثة التي امتثلت أو حتى تمفصلت في صميمها، مع المرتكزات العتيقة .

إذن فهل نحن أمام أزمة حقيقية تطال الرابطة المدنية، شملت العمل المؤسسي و إطاره الرسمي ؟ يبدو لي أن مصطلح أزمة هنا، هو عبارة عن تعبير إعلامي و أسلوب حكمي يريح استعماله عناء البحث و التنقيب، عن المنطق الحقيقي الكامن وراء سير الأمور، إن تنظيم الحي الجامعي، كصورة جزئية مترابطة الأوصال مع ما هو جاري، في قطاعات اجتماعية أخرى غير بعيدة، لا يعدم فيها وجود نموذج التقاطع و التراكب، بين منطقي الفعل الذي تتجاذب أطرافه و تتردد في ما بين، الأشكال الفيضية و الأشكال الفردانية .

13- Maffesolo (M), 2004, les rytmes de la vie variation sur les sensibilités postmodernes, Paris, edition la tables ronde, 220 P .

إن سير عمل المنظمات الطلابية التي تمنح للحي الجامعي شكله و مضمونه، و تحليل بنيتها البشرية و إعادة توجيه أهدافها و أنشطتها، بما يتناسب و تركيبة النفوذ بداخلها، يجعلنا نحصر الوضعية التي يتواجد عليها الرابط المدني، بحيث يظهر فيها هذا الأخير في صورة غير مكتملة، يثبط استوائها واستيفائها لكامل الشروط، تغلغل العناصر الذاتية المكونة للمشاعر الجماعية، التي تبدوا متحكمة في عقل و فعل، الإطار الجمعوي النظامي، علما أن الحركة الطلابية في تاريخها المعاصر والقريب كانت في طليعة الحراك المجتمعي و السياسي الذي عرفته الجزائر، خلال العقدين الأخيرين من القرن الماضي، فساهمت بشكل ايجابي في توليد النشاط الجمعوي التعددي وإثراء الحياة السياسية، من خلال خلق المجال الحيوي المتمثل في المجتمع المدني، الضروري لأي تأسيس لمكانة المواطنة الحديثة المغلبة للمصالح العامة المتجاوزة للخصوصيات الأيديولوجية أو المناطقية .

و عليه فان تعثر هذه العملية أو عدم اكتمالها، يعود بالأساس في ما نرى إلى مدى شرعية الإطار التنظيمي و المؤسسي و جديته في قيادة حقيقية و تنمية مباشرة و شفافة، تتلاقى فيها الإرادة العامة مع إرادة النخب الحاكمة، على أرضية مشتركة من الاتفاق و التفاهم، أما ماعدا ذلك فان أي نشاط تحديثي أو عمل رسمي، فهو مشروع للالتفاف و التحوير، يقلب الصورة ويعكس اتجاه الإرادة العامة، و التي بدلا من أن تتحرك نحو الأمام تتجه نحو الخلف، تمشي نحو المستقبل، لكن بأعين مثبتة في الماضي وبخضوع إلى تقسيمات المحل و نفوذه .

لعل تفاصيل كيفيات التسكن في الجناح و أساليب تداول الغرف، و الحراك الدائر في هذا الفضاء الحميمي، يكشف عن المنطق المدسوس المشار إليه آنفا، فتشكل العلاقات البينية أو الجماعية ضمن المجال الجماعي و السكني في الحي الجامعي، يتجاوز بفعله الخطة الإدارية المرسومة في التوزيع والانتشار في المكان، إن أنماط صياغة العملية التسكنية و تنظيمها، ما تفتأ أن تركن إلى علاقات أبناء البلاد أو أبناء المعتقد أو العلاقات الحرة، المكتسحة للمكان وإدارته، ضمن هذه المساحات الغالبة تنشط تجارب الطلبة الاقاميون و تتحرك، و ذلك من أجل إعطاء للمكان ذاتية معينة، لا نستثني من ذلك بطبيعة الحال، علاقات التخصص والانتماء إلى الشعبة العلمية، التي تضمن خارطة الانتشار داخل الجناح، بنوع من الشرعية المؤسسية في التواجد بعين المكان .

هل تمكنت دراستنا المتواضعة من لملمة شتات الموضوع ؟، هل وفقت كما كان أملنا، في النزول إلى الأغوار و إلى العمق و الإمساك بالخيوط الخفية المشكلة للمشهد الخارجي الخاص بالظواهر والأحداث ؟، ثم هل أصبنا الوصول، إلى ابتكار بنية خطابية خاصة بموضوع الطلبة، الأحياء الجامعية و المجال الحضري ؟، كل تلك الأسئلة و غيرها، كانت تخالجنا و نحن نجهد و نجتهد في بناء هذا النص، الذي راهنا فيه على حدود معارفنا القليلة المتصلة بالعلوم الإنسانية و الأنثروبولوجية على وجه التحديد، و على علاقاتنا الحية المتمثلة في انجاز المقابلات و جمع الملاحظات و تجسير المسافات، لقد بدا لنا في نهاية المطاف وبعد كتابة الصياغة النهائية للموضوع، أن ثمة مسائل ومواضيع لم يتم التطرق إليها و لا حتى الإشارة إليها، فكيف يمكننا تلافي هذا النقص ؟، في اعتقادنا أن ما طرحناه حول إشكالية الطالب الاقامي و مكانته الحضرية، يجزأ في ملأ الفراغ الخاص والموجود

في مثل هكذا أرضية بحث، على الأقل من حيث بناء الموضوع و طرح السؤال، و تدشين البحث بالمقاربة و المنهجية المتبعة النقائص و الهفوات واردة أكيد، فنحن في طور التمرن و التدرب والتعلم المستمر و الدائم فلا يعيينا ذلك في شيء، لذلك نقول أن ما كان ينبغي القيام به أو بالأحرى إضافته، و لم نقم به في مثل هذا الموضوع، هو تتبع ظاهرة الطلبة الاقاميين بالموازاة مع ما بات يعرف بالإعلام التواصلي الجديد، الذي أصبح ذا خصوصية شبابية بامتياز عابرة للأقاليم و القارات خصوصا و أن نوادي الانترنيت داخل الاقامات، تعرف ازدحاما مستمرا، بل كثيرا ما حركت تقنية wifi جموع الطلبة و المنظمات، فخاضوا من أجل طلبها الإضرابات و الاعتصامات، إن موقع التواصل مثل facebook و twitter، دخلت في الاستعمال اليومي فأصبحنا نلمس وجودها و ثقافتها في حياة الطلبة ككل، فلم تعد نشاطا نخبويا أو عمل راق لا يقتصر إلا على فئة من الناس من هنا كان من الضروري الالتفات إلى هذا الموضوع و مجالات استعماله من قبل طلبة الأحياء الجامعية، إذ من غير الممكن عدم الالتفات إلى هذه الظاهرة في زمن الثورة المعلوماتية، و الذي يفترض أن يكون طلبة العلم أول من يتصدر لها و ويعمل بها .

لذلك ووعيا منا بذات المسألة، فإننا نعتزم بعد الفراغ من هذا الجهد، أن تتوجه اهتماماتنا البحثية نحو كتابة مقال مختص يشمل هذا الموضوع، و ذلك من أجل استكمال الصورة وتدارك البعد الدولي و العولمي، الذي أصبحت مؤثراته جلية في حياة الشباب، بالأخص الطلبة منهم، بهذا المعنى تصبح مسألة المحل و العودة إليه المشار إليها آنفا، و تجاورها مع مسألة التواصل الالكتروني العابر للحدود و للهويات موضوعا مثيرا، يمهد إلى تساؤلات جديدة و إشكالات حديثة من نوع مثلا، هل سيكون التواصل الالكتروني داخل الأحياء الجامعية، مشروعا يخفف من حدة الشرذمة و التجزئة، فيفتح جسورا و أفاقا وطنية، أو حتى إقليمية و دولية ؟، هل يوطئ و يمهد الطريق، لظهور أرضية مشتركة ما فوق إقليمية تتحول معه الأحياء الجامعية المحلية، إلى فضاءات واسعة للتبادل الكوني و التعددي ؟ أما أن الظاهرة ذاتها، ستعزز و تعمق من الخصوصية و النزعة المحلية والعقدية ؟، مثل هذه المسائل تبدو مثيرة حقا و مهمة، تحتاج إلى بحث و جهد مستقلين، لذلك ستكون محور اهتمامنا في قابل الأيام بإذن الله.

الملاحق

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية

أبو اللوز عبد الحكيم ، " تصلب الأيديولوجية السلفية الجديدة "، إضافات، العدد الثالث و الرابع/ صيف و خريف 2008، ص، ص 94-108

الجابري عابد محمد، العقل السياسي العربي، 1991، العقل السياسي العربي : محدداته و تجلياته، بيروت، المركز الثقافي العربي ، ط2.

النظام الداخلي للاقامات الجامعية، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي.

المرسوم الأول رقم 81/91، المرسوم الصادر يوم 23 مارس سنة 1991، المنشور في الجريدة الرسمية، للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المرسوم الثاني رقم 82/91، المرسوم الصادر يوم 23 مارس سنة 1991، المنشور في الجريدة الرسمية، للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية .

المرسوم الثالث رقم 83/91 المرسوم الصادر يوم 23 مارس سنة 1991، المنشور في الجريدة الرسمية، للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

المرسوم الرئاسي رقم 18/89 العدد التاسع، المادة 40، المنشور في الجريدة الرسمية، للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الصادرة بتاريخ 28 فبراير 1989 .

الشروق اليومية الأحد 8 جانفي 2012، العدد3527..

العروي عبد الله، 2008، السنة و الإصلاح، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي، 222 ص.

قانون الطالب الجديد، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي .

الصديقي سعيد، "تالجامعات العربيةوجودة البحث العلمي : قراءة في ابلمعايير العالمية "، المستقبل العربي، 2008/ 11/ العدد375، ص، ص 70-93.

دراس عمر، " المشاركة الجمعوية و علاقة الشباب بالسياسة في الجزائر "،الحركة الجمعوية في المغرب العربي، عن دفاتر المركز، CRASC ، رقم 5،2002، ص،ص 13- 33 .

ديمون لوي ، 2006 مقالات في الفردنة منظور أنثر وبولوجي للأيديولوجية الحديثة، ترجمة د. بدر الدين عركوكي، مركز دراسات الوحدة العربية: ط1، بيروت

مروفل مختار " أنثروبولوجية المغرب : بيرك / بورديو / جالنر و جارتز نموذجا "، التدوين، ديسمبر 2010، العدد 2 ، ص، ص، 41 -46 .

المراجع بالفرنسية:

Abéles (M), Henri-Pierre Jeudy, 1997 Anthropologie du Politique Paris, Edition Armand Colin282P.

Addi (L), 1990, L'impasse du populisme, L'Algérie : collectivité politique et Etat en construction, Algérie ENAL, 242 P.

Addi (L), Les mutation de la société Algérienne, Famille et Lien social dans L'Algérie contemporain, , Edition La Découverte, Paris 221 P.

Affergan (F), (sous sa direction), 1999, construire le savoir anthropologique, , France, P.U.F, 144 P.

Akoun (A), " Sociabilité (formes de) ", Encyclopoedia Universalis, PP 116-118

Albwachs (M), " la mémoire collective et le temps ", Cahiers internationaux de Sociologie, Vol 101, 1996 PP 45-65 .

Althabe (G)-Hernandez (V.A), " implication et réflexivité en anthropologie ", Journal des anthropologue, N 98-99, 2004, PP 15-35 .

Atfa. M, Abla. R, " Massification a L'Université et Qualité de L'Enseignement ", LAPSI, N7, Décembre 2010, P.143-16.

Augé (M), 1994, Le Sens des autres, actualité de l'anthropologie, P 90, Paris, Edition Fayard ..P .

Augé (M), 2006, Le métier de l'anthropologue, sens et liberté. Paris, Edition Galilée, 68 P.

Augé (M), in Table Ronde " Ethnologie et fait religieux ", Revue française de sociologie.1978.XIX. 4 : 573 PP.

Bachelard (G), La Poétique de L'Espace, 1967, PUF, Paris,214

Badie (B), 1986, Les deux Etats, pouvoir et société en occident et en terre d'Islam, P 124 Paris Fayard, 334 p.

Balandier (G), 1985, Anthropologique,France, Biblio essai,316 P.

Balme (R), " La participation aux associations et le pouvoir municipale, capacités et limites de mobilisation par le associations culturelles dans la communes de banlieue " in Revue française de sociologie, 1989, N XXVIII, Paris, CNRS, PP 601-639 .

Barthes (R), 1984, Le bruissement de la langue, Paris, Edition du Seuil258 P

Belguidoum (S), Millet (D), 1985, " Détournements et retournements des modèles urbains et architecturaux à Sétif ", dans N. Humont et A. Marie (sous la dir), Politiques et pratiques urbaines dans le pays en voie de développement, Tome 2, Paris, L'Harmattan, PP. 228-247.

Bensa (A), 2006, La fin de l'exotisme, Essai d'anthropologie critique, P 304, France Toulouse, Anacharsis. 364 P.

Berque (J), 2001, " médinas, ville neuves et bidonvilles ", Opéra Minora II, PP 239-271, Pais Bouchéne, 480 P .

Besnard (PH), Massimo (B), Vogt (P), (sous sa dir.), 1993, Division du travail et lien social, La thèse de Durkheim un siècle après,Paris, P.U.F. 329 P

Bidart (C), 1997, L'amitié un lien social, Paris, Edition La Découverte, 402 P

Bloch (F), 1999, Faire Société, les associations au cœur du social, Paris, Edition, Syros, 263 P .

Bonnin (PH), " pour une ethnologie sociale de l'espace et sociétés Espace et Société, 2000, PP 113-149 .

Bourdieu (P), 1993 " effet de lieu " la misère du monde (ouvrage collectif), Paris, Edition le seuil .949 P
Bourdieu (P), Passeron (J.-C), 1985, Les Héritiers Les étudiants et la culture, Paris, Editions de Minuit, 189 p.

Bourdieu (P),1972, Esquisse d'une théorie de la pratique, Paris, librairie droz, Geneve, 269 P .

Céfai (D),2003, L'enquête de terrain, Paris, La découverte, 624 P.

Champy (P), Etévé (C), 1994, (sous la direction de), Dictionnaire encyclopédique de l'éducation et de la formation, Nathan, Paris, 1097 P.

Chambart de Law, P.-H, 1976, Transformation de l'environnement des aspirations et des valeurs. Paris, CNRS. 222 P.

Chamboredon, J, C, Classes scolaires, classes d'âges, classes sociales, les fonctions de scansion temporelle du systèmes de formation, Enquête Revues.org/ document 144, html .consulté le 4 avril 2012 .

Collyn (J.- P), Dozon (J.- P), " Lieux et non-Lieux de Marc Augé " L'Homme, L'anthropologie et le contemporain : autour de Marc Augé 185-16/ 2008, PP 7-32.

Copeans (J),1999, L'enquête ethnologique du terrain, Paris, Edition Nathan, P 128 .

Dastur (F), " Heidegger, Espace, Lieu, Habitation ", Les Temps Modernes, Juillet- Octobre, 2008, PP 140-157 .

De Fornel (M), Orgien (A), Quéré (L), L'Ethnométhodologie une sociologie radicale, Paris, collection " recherches ", 444 P.

De Sardan (O. J.P), La politique du terrain, sur la production des données en anthropologie, Enquête sur les terrain de l'enquête, 1995, (en ligne), url: http//enquete.revues.org/document263.html.consulté 5/4/2012

Duber (F), Filiatre (D), Merrien (F), Sauvage (A),Vince (A), 1994, Universités et Villes, Paris, Edition L'Harmattan, 318P .

Dubet (F), " Des jeunesses et des sociologies le cas français ", Sociologie et société, 1996, Vol XXVIII, PP 23-35 .

Dubet (F), " Dimensions et figures de l'expérience étudiante dans l'université de masse ", Revue Française de Sociologie, Vol 25, 1994, PP 551-532.

Duchesne (S), 2000, Les méthodes au concret, France, P.U.F. P126.

Dumont (L), 1983, Homo hierarchicus, Essai sur l'individualisme, une perspective anthropologique sur l'idéologie moderne, Paris, Edition le seuil, 267P.

Eliade (M), 1965, Le Sacré et le Profane, P23 Paris,Gallimard, 185 P.

Enquête, de L'Université à la vie active, 1986, (En Ligne), mis en ligne le 14 décembre 2005 .URL: http:// enquéte.revues.org/document51 .html. Consulté le 8 juin 2011.

Erich (V), 1998, Les nouveaux étudiants, un groupe social en mutation, P 194, Paris, Edition Armand colin, P 265

Erlich (V), 2004 " L'Identité étudiante : particularités et contrastes ", (sous la dir), Dubet (F), Dechavanne (E), 2004, Comprendre les jeunes, France, P.U.F, 328 P.

Fabien J.-L, Pour en finir avec la réalité unilinéaire : le parcours méthodologique de Andrew Abbott, Annales HSS. Mai-Juin 2003, N 3, PP 549-565 .

Farrugia (F)," Le syndrome narratif : Théorie et Terrain ", Cahiers internationaux de Sociologie, 2009, Vol.CXXVII, PP 269-289.

Felonneau (M), " Les Etudiants et leurs Territoires " Revues Françaises de Sociologie XXXV. 1994, 533-559.

Felonneau Marie-Line 1994 " les étudiants et leurs territoires " Revue Française de Sociologie, Vol 25, 533-559.

Felouzis (G), 2001, La condition étudiante, Sociologie des étudiants et de L'Université, P 60,61, Paris, P.U.F. 300 P.

Gagné (N), " théorisation et importance du terrain en anthropologie ", Anthropologie et Sociétés, Vol.25, N 3. 2001:103-102

Galland (O), Stellinger (A), " les jeunes et la ville ", 2008, (sous sa dir) Vivre en Ville, Paris, P.U.F. 250 P.

Gardet (L), La cité musulmane, 1954, Paris, Librairie Philosophique 404 P .

Geertz (C), " la description dense, vers une théories interprétative de la culture ", Enquête / 6 - 1998 / PP. 73-105.

Geertz (C), 1986, Savoir local Savoir global, les lieux du savoir, Paris, Edition P.U.F, 293 P.

Geertz (C), 1996, Ici et Là- Bas, L'anthropologue comme auteur, Paris, Editions Métailié , 152 P .

Geertz (C), 1998, La Description Dense, Vers une Théorie Interprétative de la Culture, Enquête, N 6, PP 73-105.

Genestier (PH) L'université et la Cité" Espace et Société, Ville et Université, N80-81 1-2/ 1996, ,Paris 2dition L'Harmattan,21-46.

Gellner(G), 2003, Les Saints de l'Atlas, sur l'économie de bazar, Paris, Edition Bouchéne, 374 P .

Gillet (C),(sous sa direction), 2001, Les associations, des espaces entre utopies et pragmatisme, France, presse universitaires de Bordeaux, 171 P .

Girard (L), Mayol (P), préface de De Certeau (M), 1980, L'invention du quotidien, 2/ Habiter, Cuisiner, P 8, Paris, Gallimard, 316 P.

Goffman (E),1974 Les rites d'interaction, Paris, Edition de Minuit, 230p.

Gosselin (G), 1993, Les nouveaux enjeux de l'anthropologie, autour de G, Balandier, Paris, Edition L'Harmattan, 302P .

Grafmeyer (Y), Dansereau (F), (Textes Réunis) 1998; Trajectoires familiales Espaces de vie en milieu urbain, Press Universitaires de Lyon, 525 P.

Guérid (D), 1998, " L'Université entre Etat et Société ", L'Université Aujourd'hui, (Actes de Séminaire), Edition, C.R.A.S.C. P 25-36.

Gauchet (M), 1985, Le désenchantement du monde, une histoire politique de la religion, Paris, Edition, Gallimard, 306 P.

Habermas (J), 1962, L'espace public, Archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société Bourgeoise, Paris, Edition Payot, 324 P.

Harbi (M), 1992, L'Algerie et son destin croyen ou citoyens, Paris, Arcantere,353P.

Haumont (B), Morel (A), 2005, La société des voisins, Paris, La maison des sciences de l'homme, 334 P .

Humont (R), Humont (N), Humont (A), 1966, L'Habitat Pavillonnaire,Paris, Centre de recherche D'urbanisme et institut de sociologie urbaine, 148 P .

Johannes Fabien, 2006, Le Temps et les autres, France, Toulouse, Anacharis, 313 P.

Kaufmann (J.C), 2001, Ego; Pour une Sociologie de l'individu, P 224, Nathan, Paris, 228 P

Keck, F.2004 « individu et événement dans la pensée sauvage », les temps modernes, n628 AOUT- SEPT-OCT.59 Année, pp37-57

Kilani (M), (sous sa dir), 1998, Islam et changement social, Lausanne, Edition Payot,334 P .

Khosrokhavar (F), 1997, L'islam des jeunes, Paris, Flammarion, 323P

Kunian (F), Houzel(G), 2009, Politique de vie étudiante des universités, Paris, la documentation Française, 270 P.

Lahir (B), Les manières d'étudier. Collection les cahiers de O.VE. Edition. La documentation française, Paris 1997. 175 P.

Lainé (F.-B), (sous sa dir) 1999, faire société les associations au cœur du social, Paris, edition, SYROS

Lainé (F.B), (sous sa dir), 1999, faire société les associations au cœur du social, P 130, Paris, Edition, Syros, P.

Lambert (Y), Michelat (G), Piette (A), 1997, le religieux des sociologues Paris, Edition L'harmattan, 254 P.

Lannony (P), 1966, Le Village Périphérique, un autre Visage de la Banlieue, Edition, L'Harmattan, Paris, 217 P.

Lapeyronnie (D), Marie (J), 1992, Compus Bleues, les étudiants face à leurs études, Paris, Seuil, 265 P .

Laplantine (F), Pensé Anthropologiquement la Religion ", in Anthropologie et Société, Vol. 27, N 1, 2003: 11-33, p.11-33.

Lassault (M), 2007, L'homme Spatial, la construction sociale de L' espace humain, Paris, Edition du Seuil, P 363

Latour (B),2006, changer de société, refaire de la sociologie, P 206, Paris, La découverte, 400 P.

Laurence Costes 2009,Henri Lefebvre, le droit à la ville, vers la sociologie de l'urbain, Paris, Ellipses, Edition, 159p .

Le Breton (D), 2006, La Saveur du monde, une anthropologie des sens, Paris, Edition Maitailié .451 P

Leca (J) " Paradoxe de la Démocratisation. L'Algérie au chevet de la science Politique ", Pouvoirs, N86, 3 trimestres 1998, P.7-28.

Le financier, Mardi 11 Octobre 2011,N 1401

Le Petit (B), Pumain (D), (coordonné par), 1993, Temporalités urbaines, Paris, Anthropos, 316 .

Lefebvre (H), 1981, La production de l' Espace, Paris, Edition Anthropos 485 P .

Lefebvre (H)? 1973, Le droit à La ville, Paris, Anthropos, 135 P .

Madani (M), " Ville Algérienne, entre panne de projet et urbanisme de fait ", 2002, Naqd, N 16, PP 12-25 .

Mairi (L), 1994, Faut-il fermer l'université ?, Alger, ENAL. 222 P .

Marcus (G), au-delà de Malinowski et après Writing culture: à propos du futur de l'anthropologie culturelle et du malaise de l'ethnographie http://www. ethnograhiques.org/2002/Marcus.htlm (consulté le 7/02/2008).

Mauss M,1969, " Fragment d'un plan de sociologie générale ", œuvres III, Paris, Les Edition de Minuit P.303-358.

Merlin (P), " Les Universités et les Villes nouvelles de L'île de France ", in Les annales de la recherche urbaine N 62-63, Juin 1994 P.212.

Morin (E), " Culture adolescente et révolte étudiante. Annales. Economies, Sociétés, Civilisations. N 3, 1969. PP765-776,

Mouline (N), 2011, Les Clercs de L'Islam, Paris, PUF, 357 P.

Moussaoui (A), " La mosquée au péril de la commune ", Peuples Méditerranéens, N 52-53, Juillet- décembre 1990, PP. 81-89.

Moussaoui (A), " le pur et l'impur ", document de travail, URASC Université d'Oran, Sept. 1989

Muhlmann (W), 1968, Messianismes révolutionnaires du Tiers Monde, P Paris, Gallimard, 389 P .

Neyrand G, Tomasi A, 1993, Jeunes défavorisés et vie associative. Les conditions de l'engagement associatif des jeunes. P 22, CIMERSS-Fondation de France, P .

Ostrowski (S); Poggi (H)," L'espace Universitaire et la Ville, les enjeux sociaux de la localisation des espaces universitaires " in Espaces et Sociétés, 1996, N80-81, Paris, L'Harmattan, P75-100.

Paquot (T), 1990, Homo Urbanus, Paris Edition du Félin, 177p

Paquot (T), 2008, Conversation sur la ville et l'urbain, France, collection archi graphie urbanisme, 986 P.

Peneff (J), 1990, la méthode biographique, Paris, Edition Armand Colin, 144 P .

Perrot (M), De la Soudière (M- De), " L'écriture des sciences de l'homme : enjeux " Communications, 58, 1994, PP. 5-21.

Perraton (Ch.), Bonenfant (M), 2009, Modèles de gestion du pluralisme : grandeurs et misères : (sous la direction de), Vivre ensemble dans l'espace public, Presses de l'université du Québec, 224 P. www.peresse.fr/web/revues/home/prescript/comm_0588-8018_1994_num_58_1_1875 (consulté le 17 décembre 2011).

Prenant (A), 2002, " L'informel en Algérie ", Cahiers du GREMAMO, N 17, PP. 71-93. Recensement Général de la Population, 1998. Armature urbaine, coll. " Statistiques ", N 97, Alger.

Racine (J.-P), 1993, La ville entre dieu et les hommes, Paris, Anthropos Economica, 354 P.

Remaoun. N, " Les Etudiants de Première Année ", Les Cahiers de CREAD, N56/60, 1 et 2 Trimestre, 2002, P. 285-253

REMMM, N 125 premier Trimestres 2009, PP 89-110 .

Rosanvallon (P), 1992, le sacre de la citoyen, histoire du suffrage universel en France, P Paris, Gallimard,   P.

Roselyne de Villanova, 2007, Conjuguer la ville, Paris, Edition Gallimard 335p.

Roy (O), " Quel archaisme ", Autrement, " Islam, le grand malentendu ", hors serie, N 95, 1987, P. 207-213.

Roy, O. 2008 «sécularisation et mutation du religieux », Esprit, n 348 pp 07-17
Segaud (M), 2007, Anthropologie de l'espace, Habiter, Fonder,

Distribuer, Transformer, P 199, Paris, Armand Colin. Coll. " U ", 223 P.

Tarot (C), 2008, Le symbolique et le sacré, Théories de la Religion, Paris, Editions La découverte/M.A.U.S.S. 910 P.

Thual (F), " Territoires et Identités ", Identités et Histoires, (Janv.- Juin), 1998, N 16 PP 23- 27.

Ville et université ", Espaces et sociétés, N 80-81, 1-2, 1995

Weber (M), " L'épanouissement de l'esprit capitalistes "; Enquête Janvier 2006, n 07, PP1-16.

Weber (M), 1996, Sociologie des religions, P358-359, Paris, Gallimard, 565 P.

Wieviorka (M), " La différence dans la différence ", Kymlicka (W), Mesure (S) (sous sa dir), 2000, les identités culturelles, , Paris, P.U.F, 422 P. www.peresse.fr/web/revues/home/prescript/article/ahess_0395-2649_1969_num_24_3422094.

	الفهرس	
	مدخل عـام..	3
	مقدمة..	4
	ميدان البحث...	6
	منهج البحث..	9
	سياسة العمل الميداني..	9
	الأنثروبولوجية التفسيرية...	12
	إشكالية البحث...	14
	فرضيات البحث خطة البحث...	15
	خطة البحث...	16
القسم الأول المدينة و الجامعة: تثبيت المصطلحات		
	مقدمة القسم..	18
	تمهيد...	19
	امتلاك المجال...	20
	التجربة الطلابية..	22
	الطلبة..	23
	التضامن	26
الفصل الثاني: المدينة و الجامعة		
	المدينة وجامعة...	30
	تهيئة المجال الجامعي، لمحة تاريخية..	31
	في الثمانينيات..	32
	في التسعينيات..	33
	في الألفية الثالثة...	34
	الاصلاح و اثره على الطلبة...	35
	الجامعة الجزائرية بوتقة للصراعات السياسية...	37
	خلاصة القسم...	42
القسم الثاني: الطالب المقيم موضوعا للحضرية، مستهل التجربة		

الفهرس:

	مقدمة القسم الثاني..	44
الفصل الثالث: لماذا الاقامات الجامعية		
	لماذا الاقامات الجامعية...	45
	الطالب موضوعا للحضرية..	47
	الإقامة الجامعية بوابة الطالب نحو المدينة...	48
	الطالب و المدينة، أوجه الاستعمال..	50
الفصل الرابع: التمرن على الحياة الحضرية		
	مقدمة..	54
	التمرن على الحياة الحضرية..	54
	المدينة، الجاذبية و الإغراء...	58
	الطالب في الصالونات و مرافق التسلية..	60
	خلاصة القسم..	65
القسم الثالث: المدينة بين الاندماج المهني و الاندماج الرمزي		
	مقدمة القسم الثالث...	67
الفصل الخامس: الاستعمال الناضج و الجدي للمدينة		
	الاستعمال الناضج و الجدي للمدينة	68
	السكن و الاندماج...	70
	الطالب النقابي...	71
	السكن في الإقامة و الوعي التنظيمي..	72
	من الإقامة إلى المدينة مسار التجربة	74
الفصل السادس: الطالب السلفي وجه آخر من الخبرة الحضرية		
	مقدمة..	77
	سلفي في الجامعة ثنائية الديني و الدنيوي..	78
	سلفي في الحيز العمومي..	80
	سلفي في المدينة..	84
	خلاصة القسم..	88
القسم الرابع الحي الجامعي، الرابط المديني في رهان		
	مقدمة القسم الرابع..	90

الفهرس:

	الفصل السابع: المنظمات الطلابية في الأحياء الجامعية	
	المنظمات موضوعا..	91
	المنطق و الممارسة..	91
	المنظمات أنواعا...	93
	المنظمات مضمونا..	95
	البنية الداخلية...	97
	المنظمات للبيع...	99
	الفصل الثامن: المسجد و تنظيم الإقامة	
	مقدمة...	102
	تهيئة المسجد...	103
	تنظيم المسجد..	105
	المسجد و العلاقات العامة بالحي	109
	خلاصة القسم...	113
	القسم الخامس السكن الجماعي ومنطق تداوله	
	مقدمة القسم الخامس	115
	الفصل التاسع: الجناح علاقات القوة و علاقات المعنى	
	مقدمة...	116
	الأجنحة التنظيم و العلاقات..	117
	الجناح رقم 12..	119
	الجناح و الالتمام الجهوي...	121
	الجناح و الشعبة..	124
	الفصل العاشر: حجرة الطالب	
	حجرة الطالب الكلمات و الأشياء..	127
	وصم المكان، التلقيب و دلالته	128
	من بيت العائلة إلى بيت الطالب، الثابت و المتحول....................................	131
	الغرف و المهن..	134
	خلاصة القسم..	137
	الخلاصة العامة..	138

	الملاحق..	142
	قائمة المراجع..	178
	المراجع باللغة العربية..	179
	المراجع باللغة الفرنسية...	180